



أَسَّسَهَا:
مَحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من:

دار القلم - دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية - بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير - جدة

ص.ب: ٢١٤٦١ هاتف: ٢٨٩٥ فاكس: ٦٦٥٧٦٢١: ٦٦٠٨٩٠٤



هناك - حملو اللقاء

الدكتور حسان شمسِيّ باشا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

وزارة القاء
دمشق



المقدمة

• حين يجتمعُ الشمْلُ في جنّاتِ خُلْدٍ..

وتحظى برؤية ربّ السماء..

ويصحبك خيرُ خلقِ الله سيد الأنبياء..

الذي طالما دعاك لهذا اللقاء..

هناك يحلو اللقاء..

• حين يُطلُّ الكونُ في ودِّ وصفاء..

وتختفي غيومُ البغضِ والشحناء..

هناك يحلو اللقاء..

• حين تشرق شمسُ محبةٍ وإخاء..

ويُزهر الوردُ عطراً بأبهى رداء..

هناك يحلو اللقاء..

- حين تسمو أوطاننا في مجدٍ وإباء..
ويعبق الياسمينُ بأنقى هواء..
هناك يحلو اللقاء..
- حين تطمئنُ قلوبٌ خفقتُ بالرجاء..
وعيونٌ تسكبُ دمعاً لربِّ السماء..
هناك يحلو اللقاء..
- حين يرحل اليأسُ من أعين البؤساء..
ويبزغُ فرجٌ يبعثُ فينا عزّاً وعلاء..
هناك يحلو اللقاء..
- فارفعوا لله أكفّاً.. بأخلص آيات الدعاء..
ربّنا تَوَلَّ أمرنا.. في كلِّ سراءٍ وضراء..
واكشفِ البأسَ عنا.. وكلِّ ضروبِ الشقاء..
واجعلْ فيما بيننا سلماً وأمناً..
ومحبةً.. وكلِّ أوصافِ الهناء..
عندها.. وعندها وحدها.. يحلو هناك اللقاء..

• وليس هناك أروع ولا أعظم ولا أهنأ.. من لقاء أهل الجنان..
 - قِيلَ لِلْقَعْقَاعِ الْأَوْسِيِّ: قُلْ لَنَا شَيْئاً عَنِ الْجَنَّةِ يُشَوِّقُنَا إِلَيْهَا..
 قَالَ: «فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ»..

- قال بعض السلف: رأيتُ الجنةَ والنارَ حقيقةً!..
 قيل له: وكيف؟.

قال: رأيتُهما بعيني رسول الله ﷺ.. ورؤيتي لهما بعينه أثرٌ
 عندي من رؤيتي لهما بعيني..

- ناموا وأنتم تخططون لأعمال تدخلكم الجنة.. حتى إذا حال
 بينكم وبين عملها ظروفٌ أقوى منكم.. فيكتبُ لكم أجرٌ نيتكم..
 وتفوزون فوزاً عظيماً..

• وفي الحياة الدنيا تحلو لقاءات..

لقاء عزيزٍ بعد فراق.. وغالٍ بعد غياب..

لقاء أمٍّ فقدت ابنها.. وظننت أن لن يعود.. فأعادها الله إليها..

لقاء أبٍ وأمٍّ لولدهما العاق.. فرجع إليهما تائباً مستغفراً..

لقاء المحبِّ لحبيبه في شرع الله..

لقاء إخوة في الله.. تحابوا فيه.. واجتمعوا عليه..

لقاء مريضٍ شفي من مرضٍ حسبه ميئوساً..

لقاء الخير في عمل الخير أنى كان..

• قيل لأحد العارفين: صف لنا مَنْ تحب!..

قال: لو رآه الرسول ﷺ لفرح به..

• ويقول الفاروق عمر رضي الله عنه: «ما أعطي العبد بعد الإسلام نعمة

خيراً من أخ صالح.. فإذا وجد أحدكم وداً من أخيه.. فليتمسك به»..

فمع الإخوة الأصفياء يطيب اللقاء..

• وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرآن.. هل تحدّث نفسك بشيء؟.

قال: فهل هناك شيء أحب إليّ من القرآن حتى أحدث به

نفسي؟.. فما صاحب القرآن شيئاً إلا باركهُ.. فمع القرآن يحلو اللقاء..

• وهذه أستاذة فاضلة.. أيقظت ابنها للقاء الله في صلاة الفجر..

فلم يستيقظ..

ثم أيقظته بعدما انتهت صلاة الجماعة.. ولم يستيقظ..

ثم ذهبت إلى دوامها.. ولم توقظه لجامعته.. وكان لديه اختبار

في التاسعة صباحاً!..

وعندما استيقظ في التاسعة والنصف اتصل بها وقال: يا أمي

فاتني الاختبار.. لماذا لم توقظيني؟..

قالت: عندما رأيتك فشلت في اختبار الآخرة.. لم يعد يهمني

اختبار الدنيا!..

• فاستفد من كل ما يقابلك.. فهي رسائل من الله لك..

تأملها.. وخذ من معانيها..

فنبِيُّ الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.. استفاد من نملة!..

وقايلُ تعلَّم من غراب!..

• وكن في لقاءات الحياة كالماء..

يتحمَّل أثقل الأحمال على سطحه..

ويحوي أثمن الأشياء في باطنه..

إذا نزل على أرض ميتة.. - بإذن الله - أحيها..

وإذا اعترضته صخرة.. دار حولها..

لا يتأثر بالمظاهر.. ولا بالأشكال..

فسواء قدَّمته في أكوابٍ من ذهب..

أم أكوابٍ من فخَّار..

فإنَّه لن يتغير.. سيبقى ماء زلالاً..

فكن كالغيث الطيب.. أينما وقع.. نفع..

• وإن كان هناك مَنْ يكره أن يراك سعيداً.. حين يلقاك..

فاسأل الله أن يهبه سعادةً.. تُنسيه أمرَ سعادتك..

فإسعادُ الآخرين شجرةٌ تزرعها لغيرك.. فتثمرُ في قلبك..

ولا تكثرث.. ولا تحزنن.. فالله تعالى هو المعطي الوهاب..

﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ

مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

• ولا تنس في كلِّ حينٍ دعاء رسول الله ﷺ: «وَتَوَلَّيْنِي فِيمَنْ

تَوَلَّيْتَ»:

كَرَّرُهُ.. متيقِّناً بمعناه..

فإذا تولاك الله سحَّر لك كُلَّ شيءٍ.. ولو بدا لك مستحيلاً..

فأبى أذى يصيبك.. وأبى حرمانٍ يجرحك.. وأنت في ولاية الله؟!..

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها..

لا تخش من بأسٍ فأنت تُصانُ

وبكلِّ أرضٍ قد نزلتَ قفارها..

نم.. فالمخاوفُ كُلُّهنَّ أمانُ

• ويأتي هذا الكتاب على غرار سابقه.. يحمل رسائل

سريعة.. وكل موضوع بصفحتين أو أكثر بقليل.. لا تستغرق

قراءتها أكثر من دقائق معدودة.. تشجيعاً وتحميساً للذين لا يجدون

وقتاً للقراءة!..

• وقد نالت هذه السلسلة من الكتب.. بفضل الله تعالى وكرمه.. إقبالاً وإطراءً واسعاً..

بدأت بـ «سهرة عائلية في رياض الجنة» و«عندما يحلو المساء».. ثم «قلوبٌ تهوى العطاء» و«همسةٌ في أذن زوجين».. وآخرها كان «قممٌ تهوى النجاح» و«عندما يشرق الصباح».. وإني لأحمدُ الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً.. أن أجد الكثير من التعليقات على صفحتي في الفيس بوك.. تعبر عن شعور أصحابها.. فهذا يقرأ تلك الكتب مرات ومرات.. وذاك تأثرته حياته وتبدلت بعد قراءته لتلك الكتب المباركة..

وآخرون يجعلونها دروساً في المساجد والمجالس.. فأقول حامداً لله معترفاً بفضلِهِ.. ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً﴾ [النساء: ٧٠] .. و﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]..

• أسأل الله العظيم أن يحسن قبولها يوم تبيضُّ وجوهٌ وتسوّدُ وجوه.. ويجعل أعمالها كلها خالصة لوجهه الكريم.. وأن تكون في موازين حسنات كاتبها وناشرها وقارئها.. ولا تنسوني من دعائكم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

جدة في ٣ ذي القعدة ١٤٤٢هـ

الموافق لـ ٢٤ يونيو (حزيران) ٢٠٢٠م

الدكتور حسان شمسى باشا



لقاء أهل الجنان

• لقاء في جنة الخلد.. جنان عرضها السماوات والأرض..
فيها ما لا عين رأت.. ولا أذن سمعت.. ولا خطر على قلب بشر.
شَرُطٌ وحيدٌ حتى تتحقق اللُّقيا مع الأحبة في جنات عدن..
طاعة الله ورسوله في حياتنا الدنيا.. فمفتاحها لا إله إلا الله..
محمدٌ رسول الله..

عندها في الجنة سنسعد باللقاء.. ستطيب الصُّحبة وتحلو
الرفقة.. ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ
وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69].

• أول لقاء في الجنة.. تشتاق إليه نفوسنا.. وتتوق إليه أرواحنا.
كم ستكون تلك اللحظات جميلة!.. بل هي الأجمل.
وكم ستكون سعيدة!.. بل هي الأسعد.
لحظات نجني بها ثمارَ عمر طويل.

كم تمنيناها بشغف!.. وكم حلمنا بتلك اللحظات!..

• أوّل لقاءٍ في الجنة.. يعني: أوّل لقاء بيننا وبين النعيم الدائم..

أوّل لحظةٍ في الجنة.. فيها راحتنا من همومِ تركناها وراء ظهورنا.. ونعيمٍ مقيمٍ وُعدنا به منذ الأزل^(١).

أوّل يومٍ سيكون دون هموم.. ولا تفكيرٍ في مستقبل.. ولا تخطيطٍ للحياة..

فقط نعيمٌ ونعيمٌ.. ونعيمٌ مقيمٌ!

• أوّل لقاءٍ بين الأحبة الذين فارقناهم في الدنيا.

لذّةٌ لا تضاهيها لذة.. ونعيمٌ لا يقابله نعيم..

يا الله كم أتوقُ إليها.. وتشتاقها روحي!..

كم نتوق إليها جميعاً.. ومنتظرها بفارغ الصبر!..

وبشّر الله تعالى عباده الأبرار بأنه يجمعهم بأسرهم في الجنة.. فيلتقي الأبناء والآباء والأمهات.. والزوجات في الجنة.. وهذا فضل من الله **عَلَيْكُمْ**: ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

(١) عهد صادق: أوّل صباح في الجنة. (بتصرّف)

وَدُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَيْكَةَ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿ [الرعد: ٢٣] أي: يجمع بينهم وبين أحبائهم فيها من الآباء والأهلين والأبناء، ممَّن هو صالح لدخول الجنة.. لتقر أعينهم بهم..

حتى إنه ترفع درجة الأدنى إلى درجة الأعلى.. من غير إنقاص لذلك الأعلى عن درجته.. ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١، ٢٢].

• والجنة فيها مئة درجة.. ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.. والفردوس أعلاها.. ومنها تفجَّر أنهار الجنة.. ومن فوقها عرش الرحمن..

فيها نهر من عسل مصفى.. ونهر من لبن.. ونهر من خمر لذة للشاربين..

أهل الجنة لا يفنى شبابهم.. ولا تبلى ثيابهم.. لا يبولون ولا يتغوّطون.. ولا يمتخطون ولا يتفلون.. أمشاطهم الذهب.. ورشحهم المسك.. ومباخرهم من البخور..

• في الجنة لن نبكي.. ولن نحزن.. لن نغار.. ولن نحسد.. ونساء الدنيا المؤمنات اللائي يُدخلهن الله الجنة هن ملكات الجنة.. وهن أفضل وأكمل وأجمل من الحور العين (لعبادتهن الله في الدنيا)..

• ولن تكتحلي يا عين إلا برؤية الرحمن.. فخير نعيم يدركه المؤمن في الجنة هو رؤية ربهم.. فيا إلهي أنعم علينا بالرضا الذي لا سخط بعده..

لعل الله يوصلنا إليها.. وما ذلك على الله بعزيز!.





رافق نبيك في الجنة



• إن مرافقة النبي ﷺ في الدنيا من نعم الله على صحابته رضي الله عنهم.. وهي أشرف صحبة وأعظم مكانة.. فكيف بمرافقته ﷺ في الجنة؟!..

وإذا كانت قد فاتتكَ صحبة نبيك ﷺ في الدنيا.. فاظفر برفقته في الجنة.. ولكن لهذه الرفقة وسائلها الموصلة إليها..

• المرء مع من أحبَّ: فعن أنس بن مالك، قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، متى قيامُ السَّاعةِ؟ فقام النَّبِيُّ ﷺ إلى الصَّلَاةِ، فلمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَن قِيَامِ السَّاعَةِ؟» فقالَ الرَّجُلُ: أنا يا رسولَ الله.. قال: «ما أعددتَ لها؟» قالَ يا رسولَ الله، ما أعددتُ لها كبيرَ صلاةٍ ولا صومٍ، إلَّا أنِّي أحبُّ اللهَ ورسولَهُ.. فقالَ رسولُ الله ﷺ: «المرءُ مع من أحبَّ، وأنتَ مع من أحببتَ».. فما رأيتُ فرحَ المسلمونَ بعدَ الإسلامِ فرحهم بِها»^(١).

(١) صحيح الترمذي: ٢٣٨٥.

• أطع الله ورسوله تنل صحبته يوم القيامة: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إِنَّكَ لِأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَإِنَّكَ لِأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَأَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ وَلَدِي، إِنِّي لِأَكُونُ فِي الْبَيْتِ، فَأَذْكُرُكَ فَمَا أَصْبِرُ حَتَّى آتِيكَ، فَأَنْظِرَ إِلَيْكَ، وَإِذَا ذَكَرْتُ مَوْتِي وَمَوْتَكَ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِذَا دَخَلْتَ الْجَنَّةَ رُفِعَتْ مَعِ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِذَا دَخَلْتُ الْجَنَّةَ خَشِيتُ أَلَّا أَرَكَ. فلم يردَّ عَلَيْهِ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى نَزَلَ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] ^(١).

• أَكْثَرُ مِنَ السُّجُودِ: فعن ربيعة بن كعب الأسلمي، قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فَأَتَيْتَهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مِرَافِقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَلِكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ» ^(٢).

قال العلماء: المراد بذلك هاهنا ليس السجود مجرداً.. بل المراد به صلوات النوافل والتطوع لله ﷻ.

• أَحْسِنُ أَخْلَاقَكَ: فالرسول ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِساً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقاً» ^(٣).

(١) صحيح أسباب النزول: ٨٠.

(٢) رواه مسلم: ٤٨٩.

(٣) صحيح الترمذي: ٢٠١٨.

- اكْفُلْ يَتِيمًا: فرسول الله ﷺ يقول: «أنا وكافلُ اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السَّبَّابَةِ وَالْوَسْطَى (١).
- أَحْسِنِ إِلَى الْبَنَاتِ: فالنبي ﷺ يقول: «من كان له أُخْتَانِ أَوْ ابْنَتَانِ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا مَا صَحِبَتْهُمَا، كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ، وَقَرْنَ بَيْنَ أُصْبَعِيهِ» (٢).
- أَكْثِرْ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: فالرسول ﷺ يقول: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً» (٣).



(١) رواه البخاري: ٦٠٠٥.

(٢) السلسلة الصحيحة: ١٠٢٦.

(٣) صحيح الترغيب: ١٦٦٨.



لقاء أسري



• مسؤولية التربية أمرٌ خطيرٌ وكبيرٌ.. وكلنا يعلم هذا.. لكن البعض منا لا يولي هذا الأمر من جدولته اليومي بل والأسبوعي أو الشهري شيئاً يذكر.. والله تعالى يقول: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴾ [طه: 132]، والنبي ﷺ يقول: « **وإنَّ لأهلك عليك حقاً** »^(١).

يقول أحد خبراء التربية: «إن لم يكن لديك الوقت لساعة واحدة على الأقل في الأسبوع.. يجتمع فيها شمل الأسرة.. فأسرتك ليست صاحبة الأولوية في حياتك»!..

• واللقاء الأسري اجتماع حميمي بين أفراد العائلة الواحدة.. تُطرح فيه موضوعات تهم الأسرة..

- وعلينا - كآباء وأمهات - أن نتفق مع أبنائنا على موعد ثابت كل أسبوع نجتمع فيه معاً لندرس شؤون أسرتنا.. ونطمئن على

(١) رواه البخاري.

بعضنا.. ويزيد من تواصلنا.. يتعلم فيه الأبناء أسلوب الحوار والإقناع.. وكيفية حلّ المشكلات.. والعمل ضمن فريق واحد.. ويزرع الثقة في نفوس الأبناء.. ويعلمهم تحمل المسؤوليات.. ويشعرهم أنهم شركاء في صنع القرار..

- ويسهم هذا اللقاء في علاج الكثير من أخطاء وعيوب أبنائنا.. حيث يساعد الآباء على اكتشاف تلك العيوب وعلاجها بطرق مختلفة..

- احرصوا في البداية على ألا تزيد مدة اللقاء عن (٢٠) دقيقة حتى لا يملها الأبناء.. ثم تزداد تدريجياً..

- واحرصوا على تنوع فقرات اللقاء.. وتوزيع الأدوار والموضوعات بين الأبناء.. وجميل أن يتخلله سماع مقطع صوتي.. أو مشاهدة جزء من برنامج تلفزيوني مفيد.. أو مقطع على اليوتيوب ونحو ذلك.

- وليحرص الوالدان على ألا ينفردا بالحديث.. بل يتيحان الفرصة الأكبر للأبناء.. للتحدث وطرح الآراء.. ولو كانت مخالفة لوجهات نظر الوالدين.

- ويُستحسن التنويع في مكان عقد اللقاءات.. فمرة في البيت، وأخرى في منتزه أو على شاطئ البحر، أو نحو ذلك..

- علّموا أولادكم كتابة جدول أعمال اللقاء ولو بأسطر معدودات حتى يتهيأ التحضير له بشكل فعّال.. واحرصوا على توزيع دور القيادة (رئيس اللقاء) من أسبوعٍ لآخر.

- أدخلوا جَوَّ المرح والنشاط.. والتجديد في اللقاءات.. حتى لا ينتاب الأبناء الملل..

- وحولوا ما يُطرح في اللقاء إلى تطبيق عملي حتى يشعر الأبناء بثمرة تلك اللقاءات^(١).

- ويمكن أن يكون في اللقاء مسابقات للأولاد تشحن هممهم وتنمي قدراتهم.. كأن يكون في الجلسة (سؤال الأسبوع).. يُطرح ويُطلب الجواب عليه في تاريخ معيّن..

• ما أجمل أن ننتهز فرصة اجتماعنا.. لنرشدهم إلى عيوبهم بأسلوبٍ تربوي لطيف!.. ولا ننسى أنّهم ربما يعرفون من عيوبنا ما يخفى علينا.. وعلى الآباء ألا يهملوا كلمات أطفالهم.. وليكن شعارنا في ملتقى تهادي العيوب ما قاله يحيى بن معاذ: «أخوك من عرّفك العيوب، وصديقك من حدّرك من الذنوب»..

وعلى الآباء أن يبدؤوا بأنفسهم.. فقد يكون في الأب أو الأم خطأ يقعون فيه؛ كعدم صلاة الفجر.. أو التأخر عن

(١) أ. وضاح بن هادي: اللقاء الأسري. (بتصرّف).

المواعيد.. أو الانفعال الدائم وضرب الأبناء وغير ذلك..
وبعض الأخطاء التي يرتكبها أبناؤنا قد تعلّموها منا نحن الكبار
دون أن نشعر.. لذلك إذا أردنا علاج أخطائهم.. فلنبداً نحن
بعلاج عيوبنا^(١).



(١) أ. عبد الله محمد عبد المعطي: كيف نُعالج أخطاء أبنائنا؟.



رفاق الروح والإيمان



• ما أجمل لقاء الأحبة في الله.. يبتُّ الأنس.. ويطرد
الأحزان!..

فهنالك أشخاص تحبهم في الله.. فهو لاء أحبوا الله.. فجعل الله
حُبَّهُم في قلوب الناس.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦].

يقول القرطبي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: صدَّقوا، ﴿وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ﴾ .. ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ أي: حباً في قلوب
عباده..

كان هرم بن حيان يقول: «ما أقبل عبداً بقلبه إلى الله.. إلا أقبل
الله بقلوب المؤمنين إليه.. حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم»..

ويقول القرطبي: «إذا كان العبد محبوباً في الدنيا.. فهو كذلك
في الآخرة.. فإن الله تعالى لا يحب إلا مؤمناً تقياً.. ولا يرضى إلا
خالصاً نقياً.. جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه»..

• وليس معنى المودة الاتصال كل يوم.. يقول الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ لَنَا إِخْوَانًا لَا نَرَاهُمْ إِلَّا مَرَّةً فِي كُلِّ سَنَةٍ.. نَحْنُ أَوْثَقُ بِمُودَتِهِمْ مِمَّنْ نَرَاهُمْ كُلَّ يَوْمٍ..».

فما أجمل القلوب التي إن وصلتها شكرت.. وإن قصرت عنها عذرت!..

ورحم الله من قال: «إذا تقاربت القلوب.. فلا يضربُ تباعد الأبدان»..

• وقد منَّ الله تعالى علينا بما نحن فيه من وسائل تواصلٍ.. تقربُ البعيد.. وتجمع الشمل.. ترى أهلك وإخوانك.. تأنس برؤيتهم.. وتطرب لسماع صوتهم.. وتزيد من مشاعر الألفة والمودة فيما بينكم..

• والمتحابون في الله يظلمهم الله يوم القيامة.. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «أين المتحابون في جلالي، اليوم أُظلمهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلي»^(١).

ويقول ﷺ فيمن يظلمهم الله تحت ظل عرشه: «ورجلانٍ تحابَّا في الله، اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه»^(٢).

رفاقُ الروح ما زلُّم..

بوسَطِ القَلْبِ أَحبابًا..

(١) رواه مسلم: ٢٥٦٦.

(٢) متفق عليه؛ البخاري: ١٤٢٣، مسلم: ١٠٣١.

وإنْ غِبْتُمْ وإنْ غَبْنَا..
فإنَّ الحُبَّ مَا غَابَا..
هي التَّقْوَى تجمُّعُنَا..
وحُبُّ الله قَدْ طَابَا..
رضا الرَّحْمَنِ غايَتُنَا..
وللفِرْدَوْسِ طَلَابَا..

• ورحم الله أختين أو أخوين لم يجمعهما قرابة ولا نسب..
نأت بهم الديار.. وتفرقت بهم الأمصار.. ولكن جمعتهما دعوة
في جوف الليل..

سئل حكيم: كيف تعرف ودَّ أخيك؟
فقال: يحمل همِّي.. ويسأل عني..
ويسدُّ خللي.. ويغفر زللي.. ويذكرني بربي..
ف قيل له: وكيف تكافئه؟
قال: أدعو له بظهر الغيب.
سأظلُّ أذكركم إذا جنَّ الدُّجى..

أو أشرقت شمسٌ على الأزمانِ

سَأْظَلُّ أَذْكَرُ إِخْوَةَ وَأَحَبَّةً..
هُم فِي الْفُؤَادِ مَشَاعِلُ الْإِيمَانِ
سَأْظَلُّ أَذْكَرُكُمْ بِحَجْمِ مَحَبَّتِي..
فَمَحَبَّتِي فِيضٌ مِنَ الْوَجْدَانِ
فَلْتَذْكُرُونِي بِالذُّعَاءِ فَإِنَّنِي..
فِي حُبِّكُمْ أَرْجُو رِضَا الرَّحْمَنِ
• وَكُلُّ مَحَبَّةٍ يَقْطَعُهَا الْمَوْتُ.. إِلَّا الْمَحَبَّةَ فِي اللَّهِ..
فَإِنَّ حَبْلَهَا مَمْدُودٌ إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ..
إِذَا صَدَعَ الْأَذَانَ بِكُلِّ وَادِي..
وَجَلَجَلَ فِي الْفَضَا صَوْتُ الْمُنَادِي
ذَكَرْتُ أَحَبَّتِي وَرَفَعْتُ كَفِّي..
دَعْوَتُ اللَّهِ مِنْ عُمُقِ فُؤَادِي
عَسَى رَبِّي يُظِلُّكُمْ بِعَرْشِي..
عَظِيمِ الشَّانِ فِي يَوْمِ التَّنَادِي
وَيَجْمَعُ شَمْلَنَا فِي دَارِ سَعْدِي..
مَعَ الْأَحْبَابِ فِي كَنْفِ الْجَوَادِ





لقاءً على موائد القرآن



• يقول النبي ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ» قالوا: من هُم يا رسول الله؟ قال: «أَهْلُ الْقُرْآنِ هُم أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»^(١).

ويقول رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

• فعلى مائدة القرآن.. تنزاح أثقال الهموم.. وتغور أنفاس الغموم..

هنا.. في حلقة القرآن.. بعيداً عن ضجيج الفتن.. ودروب الشر والمحن..

هنا.. تتحابب النفوس.. ويجود أهل القرآن على بعضهم.. بما حباهم الله من علم..

(١) صحيح الترغيب: ١٤٣٢.

(٢) رواه مسلم: ٢٦٩٩.

• فما أعظم أجر من أعان طالباً على تعلم القرآن!.. يأخذ بكل حرف يتلوه أو يصححه حسنة.. يقول ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^(١)...

فلا بأس.. ولا يأس.. فمدارسة العلم تسبيح.. والقرآن كلام الله..

• لا تحزن إن قيل لك: أعد..

لا تتعب إن وجدت مشقة.. وأنت تتعتع في تصحيح لفظك لكتاب الله..

وما يدريك.. لعل الله - وأنت تصحح نطقك إجلالاً لكلام الله - ينظرُ لك نظرة رضاً.. ويقول: اكتبوا عبي (أو أمّتي) في عليين فاصبر.. فإنّما أنت في طاعة.. والمجد لا يناله إلا الصابرون..

• فله دُرُّ الحفّاظ.. تراهم يتلون بلا مصاحف وبلا أجهزة..

لله درهم.. وشتان بين مَنْ القرآنُ يجري في دمه ولحمه.. وبين من لا يستطيع أن يقرأ إلا بمصحف أو جهاز..

• وأغلب أصحاب المدرسة يتفرّقون.. ورفاق الجامعات ينشغلون..

ويبقى ودُّ أهل القرآن.. وإن انعدم اللقاء..

(١) رواه البخاري: ٥٠٢٧.

فستذكرهم مع كل صفحة تراجعها.. أو آية ترددها..
 فأصدقاء القرآن ليسوا كأي أصدقاء.. تفرح لفرحهم.. وتتلهف
 لخبر خمتهم.. تحبهم حُباً لم يكن ولن يكون..
 فالصحب وإن تعددوا وتكاثروا.. لا يعدلون صحبة القرآن..
 فصحبة القرآن من النعيم المعجل في الدنيا.. وجنة الله في أرضه.
 • يقول أحدهم: خضت الحياة بحلوها وبمرها.. لكنني لم أر
 في حياتي أحداً قط يحفظ المودة.. كأولئك الذين رباهم القرآن
 وهذب أرواحهم..

إذا اعتلت أبدانهم.. داووها بالقرآن..
 وإن مالت أخلاقهم.. قوّموها بالقرآن..
 وإن نامت لحظة ضمائرهم.. أيقظوها بالقرآن..
 وإذا وهنت برهة عزائمهم.. شدوها بالقرآن..
 وإن أظلمت السبل أمامهم.. أناروها بالقرآن..
 حافظوا على أصدقاء القرآن.. وصحب الحلقات..
 وتغافلوا لو وجدتم منهم ما يكدر قلوبكم..
 يشفع لهم أنهم تركوا الدنيا.. وجاؤوا للقرآن..





لقاء المحبين

• «أحبه.. لا أقدر على نسيانه.. أحلم به ليل نهار».. كلمات لطالما سمعناها ممّن فقدَ لذة العيش بعد غياب من يهوى!..

فالمشكلة الرئيسة التي تعترض فئةً من شبابنا.. تكمن في مشاعر يحملها الشاب للفتاة والفتاة للشاب.. ولا تكون مكلّلة برباطٍ شرعيّ.. فيتألم وتتألم.. وتنشغل عن ربّها وينشغل.. ويتوهان في حبات حبّ من طرف واحد.. أو غير قابل للترجمة العملية الشرعية من خطوبة وزواج..

• وهذا الميل الطبيعي بين الجنسين ناتجٌ عن الفطرة التي غرسها ربنا جلّ وعلا في النفس البشريّة.. لغاية كبرى.. وهي عمارة الأرض.. فهي حاجة في النفس لا يستطيع المرء التخلص منها.. ولكن العاقل من يجريها في جدولٍ حلال! (١) ..

يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: «ما في الحبّ شيءٌ ولا على المحبّين من سبيل.. إنّما السبيل على من ينسى في الحبّ

(١) أ. سحر المصري: الحب.. فطرة أم خطيئة؟! (بتصرف).

دينه أو يضيع خلقه.. أو يشتري بلذة لحظة في الدنيا عذاب ألف سنة في جهنم»..

وقد أقرّ الرسول ﷺ هذه العاطفة.. فقال: «لَمْ يَرِ لِلْمُتَحَابِّينَ مِثْلُ النِّكَاحِ»^(١) فلم يُنكح الحب.. وإنما وضعه ضمن إطاره الطبيعي الذي هو الزواج..

• والإسلام لا يتهم كل أصناف الحب.. إنما يتهم فقط ذلك النوع الذي ينشأ ويستمر في الظلام!.. وكل ما ينشأ في الظلام يختنق ولا ينتهي إلا في ظلام أشد! فالحب ليس حراماً في ذاته.. ولكنه يدخل دائرة الحرام حين يتم التعبير عنه خارج الأطر الشرعية.

ولقد شفع الحبيب ﷺ لـ «مغيث» بعدما رأى كيف تمكّن الحب في قلبه.. فقد روى البخاري من قصة «بريرة» أنّ زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له، وقد صارت أجنبية منه، ودموعه تسيل على خديه. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ مُغِيثٌ، كَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبَّاسٍ: «يَا عَبَّاسُ، أَلَا تَعْجَبُ مِنْ حُبِّ مُغِيثِ بَرِيرَةَ، وَمِنْ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا؟!» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

(١) صحيح الجامع: ٥٢٠٠.

«لو راجعته» قالت: يا رسول الله، تأمّرني؟ قال: «إنما أنا أشفعُ»
قالت: «لا حاجة لي فيه»^(١).

• فالرجل إن أحب امرأة أو العكس.. فليعلم أن الله تعالى الذي جعل فيهما هذه الغريزة.. أمر أن يجعلها الإنسان في مرضاة الله تعالى لا في سخطه.. فقد تقوده تلك الغريزة إلى الخير والسعادة.. وقد يقوده الشيطان بها إلى الشر والتعاسة.. والمعيار هو في ضبطها بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ.

فإن فعل ذلك واتقى الله في حبه.. وفي علاقته بالمرأة التي يحبها.. فليکف عن الحديث معها - إلا ما كان لا بد منه في شأن الخطبة والزواج - وليتقدم إلى خطبتها.. فإن رضوا به.. كان بينهما موعد لقاء المحبين على مرضاة رب العالمين.. بالزواج على كتاب الله وسنة نبيه.. وإن لم يرضوه زوجاً لمن يحب.. أو حال حائل بينهما وبين الزواج فليتعفف وليصبر.. وليعلم أن هذه محنة ابتلاه الله بها.. لينظر هل حبه لله أعظم من كل محبوب.. فليصبر على قدر الله وليرض بقضائه! وليجعل تقوى الله بين عينيه.. وطلب مرضاة الله في كل سكناته وحركاته.



(١) رواه البخاري: ٥٢٨٣.



عائدٌ إلى الرحمن



• إنَّها الفرحة الكبرى التي لا نجد في تصويرها.. والتعبير عن مداها.. أبلغ من حديث رسول الله ﷺ عندما قال: «لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن، من رجلٍ في أرضٍ دويَّةٍ مهلكةٍ، معه راحلتهُ، عليها طعامه وشرابهُ، فنام فاستيقظ وقد ذهبَتْ، فطلبها حتى أدركه العطشُ، ثمَّ قال: أرجعُ إلى مكاني الذي كنتُ فيه، فأنام حتى أموتَ، فوضع رأسه على ساعده ليُموتَ، فاستيقظ وعنده راحلتهُ وعليها زادُه وطعامه وشرابهُ، فالله أشدُّ فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده»^(١).

ألا يُبهرك هذا الترحاب الغامر؟! أترى سروراً يعدل هذه البهجة؟!..

• حسبك أيها التائب أن الله يحبك.. ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ

الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

(١) رواه مسلم: ٢٧٤٤.

• فله دُرُّ القلب التائب.. هرع إلى مولاه يحمل أحاسيس الندم ومشاعر الألم.. يرجو رحمته وغفرانه..

لكأن التوبة نهرٌ عذب جارٍ يتطهر العبد به من أدرانه.. ينغمس في مياهه مَنْ لَوَّثته الشهوات.. واكتوى بنار المعاصي.. فإذا النهر مغتسلٌ باردٌ يغسل تلك الأوزار.. فيخرج العبد منه نقياً من الأوساخ^(١)..

• فليس عجباً أن يُذنب ابن آدم.. ليس عجباً أن يتورّط في المعصية.. فهذه طبيعة خلقه أنه خُلِقَ خلقاً مزدوجاً.. فيه قبضة من طين، وفيه نفخة من روح.. الطين يهوي به إلى الأسفل.. والروح ترقى به إلى الأعلى.. أحياناً ينزع إلى الطين ويخلد إلى الأرض.. فيكون كالحيوان وأضلُّ سبيلاً.. وأحياناً يعلو ويعلو حتى يكون كالملائكة أو أرفع مقاماً.. إنّما العجب أن يتمادى في الذنوب.. يستمرئ طريق المعصية.. ينسى ربّه وينسى التوبة إليه.. فتتراكم عليه الذنوب..^(٢).

• ربّاه.. ما أجمل التوبة!.. عودة إلى الله غانمة.. وتجارة مع ربِّ غفورٍ رابحة.. إنّها شلال العفو والمغفرة من كوثر الرّحمن

(١) أ. أحمد الحموي: التوبة.

(٢) د. هاني درغام: قلب يغتسل في أنهار التوبة.

الفواح بأريج عطاء الله وكرمه.. إنها غسل القلب بماء الدموع
وحرقة الندم..

• لا تنتظر يوماً تقول فيه: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]..
﴿يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَّةً﴾ [الحاقة: ٢٥]..

﴿لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٨].. ﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]..

تلك هي الأمنيات المستحيلة.. التي لا ينفع معها حسرة ولا
ندم..

أدركها بالتوبة ما دامت روحك في جسمك..
وليخش المتكاسلون عن التوبة ما حذر منه الحسنُ البصري:
«إنَّ قوماً ألْهَتْهم أمانِي المَغْفرةِ حتَّى خَرَجوا مِنَ الدنْيا بِغَيْرِ توبَةٍ..
يقول أحدهم: إنِّي أحسن الظنَّ بربِّي.. وكذب.. لو أحسن الظنَّ
لأحسن العمل».

فوا أسفاه عليك يا قلبي.. كم تذب ولا تتوب؟.. كم قد كتبت
عليك ذنوب؟..

خلّ الأمل الكذوب.. فربَّ شروق بلا غروب..

قل لي بربك.. متى ترجع إلى الله.. متى تؤوب؟!..^(١)

(١) المرجع السابق.

• وأخيراً.. هل شممت مسكاً أزكى من أنفاس التائبين؟!..

هل سمعت بماء أعذب من دموع النادمين؟!..

هل رأيت لباساً أجمل من لباس المنكسرين؟!.. هل سمعت

نداءً أجمل وأروع من نداء الله ﷻ الرحيم لعباده المذنبين العصاة:

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا

تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].





حِجَابٌ مِنْ مَوْتٍ بِالطَّيْرَانِ..



• روى فضيلة الشيخ الدكتور خالد سيد علي قصة واقعية يقول فيها:

في عام (١٩٧٩م)، قرّر جدّي أن يهاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية - ولاية كاليفورنيا - تاركاً خلفه وطنه الحبيب سورية ليبدأ حياةً جديدةً هناك..

كانت الترتيبات تقضي أن يسافر جدّي في البداية لوحده، ثم تلحق به جدتي.. وأبناؤهم السبعة بعد ذلك..

كانت رحلتهم إلى أمريكا بتاريخ: (١٩٧٩/٥/٢٥م) تتضمّن النزول أولاً في نيويورك.. ثم السفر إلى شيكاغو قبل الوصول إلى محطتهم الأخيرة في كاليفورنيا.

كان قرار الجهات الأمنية في نيويورك يُلزم جميع المهاجرين عند وصولهم تعبئة طلب الإقامة الدائمة «الغرين كارد» قبل السفر للمحطة التالية.

كانت عمّتي «هالة» في ذلك الوقت قد تحجّبت منذ فترة بسيطة.. ولمّا طلب منها الموظف المختص أن تخلع حجابها من أجل التقاط صورة شخصية لها لإتمام المعاملة، رفضت! فأوضح لها الموظفون أكثر من مرة، أنها لن تحصل على «الغرين كارد».. ولن تسافر إلى محطتها التالية.. إلّا إذا التقتوا لها صورة وهي حاسرة الرأس.. وبالتالي فإنّها لن تستطيع اللحاق بالرحلة القادمة!. بدأت جدتي المرهقة من السفر الطويل تفقد صبرها.. فلم يبقَ إلّا الوقت القليل على إقلاع طائرتهم التي اشترتوا تذاكرها بكل ما يملكونه من مال.. لذلك كانت تتوسّل لابنتها هالة أن توافق على خلع الحجاب لأخذ الصورة (من باب الاضطرار).. ولكن عمّتي ظلت مُصرّةً على موقفها..

استدعى الموظفون بعض المسؤولين الكبار في المطار كمحاولة لإقناعها.. ولكنها كانت ثابتةً على موقفها وقالت لهم: لا يهئم منّ تستدعون.. فلن أخلع حجابي!..

وبعد مرور ثلاث ساعات ساخنة من الحوار والجدال مع مسؤولي الأمن.. وافقوا أخيراً على التقاط صورتها وهي مرتديةً الحجاب!.. ولكن بعد ماذا؟ بعد أن فات الوقت وأقلعت طائرتهم المتجهة لشيكاجو.. واضطروا عندها لشراء تذاكر جديدةٍ والبقاء ليلةً كاملةً في نيويورك!.

بطبيعة الحال.. كانت جدتي في تلك اللحظات تصبُّ جامَ غضبها على عمّتي.. وتندمّر ممّا فعلت.. ومن عنادها الذي كلّفهم فوات رحلتهم إلى مكان استقرارهم في كاليفورنيا مع جدي.. وفي اليوم التالي.. وصلت رحلتهم إلى كاليفورنيا.. وكان جدي باستقبالهم.. وهو يبكي غير مصدق أنه يراهم أمامه أحياء! فما أروعه من لقاء؟!..

كان يقول لهم وسط دموعه: اللهم لك الحمد أنكم على قيد الحياة!.

كانوا مستغربين من لهفته تلك.. وتعجّبوا من أنّهم ما زالوا أحياء.. فكان ردّه الصادم:

رحلتكم الأصلية التي حجزتم عليها أمس (رحلة رقم ١٩١) على الخطوط الأمريكية (AA)، تحطمت الطائرة نتيجة خلل في المحرك.. ومات جميع الركاب الذين كانوا على متنها.. وعددهم (١٧١) راكباً!.. كانت الصدمة والدهشة.. والفرحة والبكاء.. والحمد والشكر لله.. سيّد الموقف في تلك اللحظات.. لأن الله نجّاهم بفضله وكرمه.. ومن ثم بسبب بركات حجاب عمّتي!.. فأصرارها على الحجاب أنقذ - بفضل الله - ثم بها حياتها وحياة أسرته.. صورة ترمز للشجاعة والعزة.. ولفخر فتاة مسلمة بحجابها..





لقاء يوم العمر

• ما يوم العمر؟.. يقول أحدهم: «يوم الزفاف».. وآخر يقول: «يوم التخرج».. وهكذا..

ولكن قد يكون غير ذلك كله..

- لم يكن ذلك الرجل يعلم أنّ اليوم الذي أَمَاطَ فيه الشوكَ عن طريق الناس كان أفضلَ أيام حياته؛ إذ غفر الله له به..

- ولم تكن المرأةُ البغيُّ تتوقَّعُ أن يكونَ أسعدَ أيام حياتها ذلك اليوم الذي سَقَّت فيه كلباً أرهقه العطشُ.. فشكر الله صنيعَها وغفر لها..

هل علم هؤلاء أنّ قَصَصَهُمْ ستروى على لسان الحبيبِ محمدٍ ﷺ.. ثم يتناقلها المسلمون جيلاً بعد جيل نقل إطراء واقتداء؟!..

وهل علموا أنّ مواقفهم مع شوكٍ وكلبٍ.. ستُكتب على صفحات أصدق الكتب بعد كتاب الله في الصحيح؟..

- ولقد كان أسعد أيام يوسف عليه السلام ذلك اليوم الذي انتصر فيه على داعي الغريزة، ووقف في وجه امرأة العزيز لما قالت له: هَيْتَ لَكَ.. ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فترقى عليه السلام في معارج القرب.. وحظي بجائزة ﴿إِنَّهُ مِنَّ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

- وكان أسعد أيام الذين شهدوا بدماء يوم اطلع الله تعالى عليهم، فقال: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١).

- وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه يحدث عن ساعة من ساعات السعد، قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُصْعِدِينَ فِي أَحَدٍ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى ظَهْرِهِ لِيَنْهَضَ عَلَى صَخْرَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِعْ، فَبَرَكَ طَلْحَةَ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه تَحْتَهُ، فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى ظَهْرِهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ، قَالَ الزُّبَيْرُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، يَقُولُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةَ»^(٢).

• فقد يُكْتَبُ للعبد سعادة الأبد بموقفٍ يُهَيِّئُهُ اللهُ له..

فأينَ يومك؟ هل أدركته أم ليس بعد؟^(٣).. فقد يكون بدمعةٍ في خلوة.. أو مخالفةٍ هوى في رغبة..

(١) متفق عليه؛ البخاري: ٤٢٧٤، ومسلم: ٢٤٩٤.

(٢) رواه ابن حبان، والترمذي: ١٦٩٢، وحسنه الألباني.

(٣) د. جمال الباشا. (بتصرف).

أو في سرور تدخله إلى مسلم..
 أو مسح رأس يتيم.. أو تقبيل يد أم.. أو ابتسامة في وجه
 مسلم..

أو قول كلمة حق.. أو إغاثة ملهوف.. أو نصره مظلوم..
 أو كظم غيظ... أو إقالة عشرة.. أو ستر عورة..
 فنحن لانعلم من أين ستأتينا ساعة السعد..
 قد رؤي الشاعر أبو الحسن التّهامي في المنام بعد موته..
 ف قيل له: ما صنع الله بك؟..

فقال: غُفر لي بقولي:

جاورتُ أعدائي وجاورَ ربّه

شَتَّانَ بين جِوارِه وجِواري

وهو بيتٌ من قصيدةٍ طويلةٍ رثا فيها ولده..

• فليكن لنا في كلِّ يومٍ عملٍ صالحٍ.. وحبذا لو كان خفيًّا..
 فقد يكون هو المنجي.. ويكون يومنا الموعود..





في أعماق البحر لقاءان



• يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ .. دعا قومه إلى الإيمان.. فأعرضوا وتكبروا.. فغضب.. وركب البحر مع سفينة.. فلمَّا ثقلت بهم خافوا أن يغرقوا جميعاً.. فعلموا أنه لا بد أن يخففوا الحمل بإلقاء أحد ركابها إلى البحر.. عملوا القرعة مراراً.. فوقع على يونس.. ألقوه في البحر.. فالتقمه الحوت.. ثم نزل به إلى الأعماق..

كل شيء حدث بسرعة.. يونس في الظلمات.. يسمع تسبيح الحصى الذي في قعر البحر.. فانتفض.. ﴿فَكَادَى فِي الظُّلْمَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].. فقرعت كلماته أبواب السماء.. فنزل عليه الفرج..

• أما يونس اليوم فيقول:

كنت شاباً أظن أن الحياة.. مالٌ وفير.. وفراشٌ وثير.. ومركبٌ وطيب..

كان يوم الجمعة.. جلست مع مجموعة من الرفاق على الشاطئ.. وهم كالعادة مجموعة من أصحاب القلوب الغافلة.. سمعت النداء: حيّ على الصلاة.. حيّ على الفلاح.

ولكني لم أفقه يوماً معنى كلمة «فلاح».. فقد طبع الشيطان على قلبي..

كان الناس حولنا يفرشون سجاداتهم.. ويجتمعون للصلاة.. ونحن كنا نجهّز عدة الغوص وأنايب الهواء.. استعداداً لرحلة تحت الماء..

لبسنا عدّة الغوص ودخلنا البحر.. ابتعدنا عن الشاطئ حتى صرنا في عرض البحر.

وفجأة تمزّقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم.. ولتمده بالهواء.. وفجأة دخلت قطرات الماء المالح إلى مجرى التنفس.. وبدأتُ أموت..

بدأت رثتي تستغيث وتتنفّض.. تريد هواء..

أخذتُ أضطرب.. والبحر مظلم.. ورفاقي ابتعدوا عني..

بدأت أدرك خطورة الموقف.. إنني أموت.. بدأ الماء المالح يدخل إلى أعماقي..

وبدأ شريط حياتي بالمرور أمام عينيّ.. عرفت كم أنا
ضعيف..

بضع قطرات مالحة سلطها الله عليّ ليريني أنّه هو القوي
الجبار..

آمنت أن لا ملجأ من الله إلاّ إليه.. حاولت التحرك للخروج
من الماء.. إلاّ أنّي كنت في مكان عميق..

تذكرت الشهادتين.. فأردت أن يختم لي بهما.. فغصّ حلقي..
وكان يداً خفية تطبق على رقبتني لتمنعني من نطقها..

حاولت جاهداً.. بدأ قلبي يصرخ: ربي ارجعون.. ربي
ارجعون.. ساعة.. دقيقة.. لحظة.. ولكن هيهات..

بدأت أفقد الشعور بكلّ شيء.. أحاطت بي ظلمة غريبة.. هذا
آخر ما أتذكر..

لكن رحمة ربي كانت أوسع.. فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى
صدري مرة أخرى..

انقشعت الظلمة.. فتحت عينيّ.. فإذا أحد الأصحاب يضع
خرطوم الهواء في فمي.

رأيت ابتسامة على محيّا.. فهمتُ منها أنني بخير..

عندها صاح قلبي ولساني.. أشهد أن لا إله إلا الله.. وأشهد أن
محمد رسول الله..

خرجت من الماء.. وأنا شخص آخر.. تغيرت نظرتي للحياة،
وزادتني الأيام من الله قرباً..

مرّت أيام.. فتذكرتُ تلك الحادثة.. ذهبتُ إلى البحر.. ولبست
لباس الغوص..

وتوجهت إلى المكان نفسه في بطن البحر.. وسجدت لله
تعالى سجدة ما أذكر أنني سجدت مثلها في حياتي.. في مكان
لا أظنُّ أن إنساناً قبلي قد سجد فيه لله تعالى..

عسى أن يشهد عليّ المكان يوم القيامة.. فيرحمني الله
بسجدتي في بطن البحر ويدخلني جنته..





لقاء البصيرة لا البصر



• يُروى: أنه بينما كان أحد العلماء يعطي درساً.. إذ دخل عليهم رجلٌ غريب.. ولا يبدو عليه مظهر طالب العلم.. جلس الرجلُ حيث انتهى به المجلس.. وأخذ يستمع للشيخ بأدب وإنصات..

وكان في يده قارورةٌ فيها ما يشبه الماء..

قطع الشيخُ حديثه والتفت للرجل الغريب..

تفرّس في وجهه ثم سأله: ألك حاجة فنقضيتها أم لك سؤال فنجيبك؟..

فقال الرجل: لا هذا ولا ذلك.. إنّما أنا تاجر.. سمعتُ عن علمك وخلقك.. فجئتُ أبيعك هذه القارورة التي أقسمتُ ألا أبيعها إلا لمن يُقدّر قيمتها.. وأنت حقيق بها!..

قال الشيخ: ناولنيها.. فناوله إياها..

أخذ الشيخ يتأملها ويحرّك رأسه إعجاباً بها.. ثم التفت إلى الرجل: فقال له: بكم تبيعها؟..

قال: بمئة دينار..

فردّ عليه الشيخ: هذا قليل عليها.. سأعطيك مئة وخمسين..

فقال رجل: بل مئة كاملة لا تزيد ولا تنقص.

فقال الشيخ لابنه: أحضر مئة دينار من الصندوق..

أخذ الرجل المبلغَ ومضى في حال سبيله..

ثم انفضّ المجلس.. وخرج الحاضرون وكلهم متعجبٌ من

هذا الماء الذي باعه بمئة دينار!..

دخل الشيخ إلى مخدعه للنوم.. ولكن الفضول دعا ولده

إلى فحص القارورة ومعرفة ما فيها.. حتى تأكد أنّه مجرد ماء

عاديّ!..

دخل إلى والده مسرعاً صارخاً: لقد خدعك الرجلُ الغريب..

فوالله ما زاد على أن باعك ماءً بمئة دينار.. ولا أدري أأعجبٌ من

دهائه وخبثه.. أم من طبيتك وتسرعك؟..

ضحك الشيخ وقال لولده: يا بنيّ.. لقد نظرتَ ببصرك.. فرأيتَه

ماءً عاديّاً..

أما أنا فقد نظرتُ بنور بصيرتي.. فرأيتُه جاء يحمل في القارورة ماءً وجهه.. الذي أبتُ عليه عزةً نفسه أن يريقه أمام الحاضرين بالسؤال!..

وكانت له حاجةٌ في مبلغ يقضي به حاجته.. لا يريد أكثر منه!..
فالحمد لله الذي وفَّقني لإجابته.. وحفَظَ ماءً وجهه أمام الحضور!..

• وقد اعتبر القرآن رؤية البصيرة أهم بكثير من رؤية البصر..
فالله تعالى يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

والبصيرة: نورٌ يقذفه الله في القلب يُهتدى به.. يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها..

وكثير من الناس من حُرِمَ نعمة البصر ونورَ العين.. لكنه ما حُرِمَ نورَ القلب.. وذكاءَ العقل.. وفصاحةَ اللسان.. فابن عباسٍ رضي الله عنهما بعدما ذهب بصره يقول:

إِنْ يَأْخُذِ اللهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمَا

فَفِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورٌ

قَلْبِي ذَكِيٌّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ

وَفِي فَمِي صَارِمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورٌ





لقاء مع شيخ علماء الشام



- إنَّه الشيخ بدر الدين الحسني رَحِمَهُ اللهُ (١٨٥٠ - ١٩٣٥م).
أقَرَّ له جميعُ علماء الشام.. ومن عَرَفَه من علماء الدنيا.. بقدم
السبق في العلم..
- كان أقلُّ مزايا الشيخ بدر الدين الحسني أنَّه يحفظ صحيحي
البخاري ومسلم بأسانيدهما.. وموطأ مالك.. ومسند أحمد..
وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، ويروي لك منها
ما تشاء كأنَّه ينظر في كتاب..
- تواضع لله.. فأنا له رفعه ما أناله سلطاناً.. وانصرف عن
الدنيا فأقبلت عليه الدنيا.. ورغبَ عن الجاه.. فأقبل عليه الجاه..
- ومن أغرب قصصه حادثة عجيبة رواها تلميذه الأستاذ
محمد المبارك رَحِمَهُ اللهُ..
- فقد استدعى الشيخُ أحدَ أصحابه.. وكان شيخاً في الستين من
عمره.. وذا لحية كبيرة وعمامة.

ثم قال له: تذهبُ إلى محل البغاء.. وتسالُ عن الكبيرة التي تدير شؤون البغايا.. وتعطيها هذه الدنانير الذهبية العشرة وتقول لها: إِنَّ الشيخَ يطلب منك أن تأمري مَنْ عندك من البنات أن يغتسلن.. ثم تعطي كل واحدة منهن ديناراً ذهبياً.. وتقول لها: (إِنَّ الشيخ بدر الدين يسلمُ عليك.. ويطلب منك الدعاء!)..

فاحتار الرجل في أمره كيف يذهب بهيئته هذه لمثل هذا المكان؟..

ذهب الرجل إلى بيت البغايا.. وفعل ما أمره الشيخ.. وعندما سمعن أن الشيخ بدر الدين يطلب منهن الدعاء.. انتحبن بكاءً..

تقول إحداهن: أنا البغيُّ أدعو لكبير علماء الشام.. الشيخ بدر الدين الحسنني؟!..

قال: وقد نَقُذْتُ ما قال لي.. ولم أخرج حتى سمعت بكاءهن ونحيبهن..

• وكانت غرفة الشيخ في دار الحديد بدمشق حِمَى قد حماه الله بهيبة العلم..

كان يأتيها العتاة الجبارون الذين يخشاهم أهل البلد.. فيخلعون نعالمهم بأيديهم.. ثم يدخلون مطأطي رؤوسهم حتى

يجلسوا على ركبهم بين يدي الشيخ.. لا يتكلمون إلا أن يأذن لهم بالكلام.. وربّما وعظّمهم أو علّمهم.. ولا يقول إلا كلمة الحق..

كان الشيخ يرى أنّ عزة الإسلام يجب التمسك بها..

زاره مرة «جمال باشا السفاح» فلم يقم له أيضاً.. وحاول وقتئذٍ أن يأخذ فتوى منه في إعدام من سمّوا لاحقاً بـ «شهداء السادس من أيار».. فرفض الشيخ ووعظه.

• وعندما احتل الفرنسيون سورية.. أعلن الشيخُ الجهادَ حتى جلاء آخر جندي فرنسي.

وجاء إليه الجنرال الفرنسي غورو المندوب السامي الأول.. فلم يقم له الشيخ..

• وذات يوم أتت امرأةٌ نصرانيةٌ إلى الشيخ بدر الدين تبكي وتستنجد.. فقد حكّم جمال باشا على ابنها الوحيد بالإعدام.. بعد أن فرّ من الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى.. فما كان من الشيخ إلا أن ذهب معها إلى جمال باشا الذي كانت ترتعدُّ الأرض تحت قدميه.. وطلب منه أن يعفو عن ابنها..

فهاهله أمرُ الشيخ.. أيأتي عالم الشام الأكبر بنفسه ليشفع لابن المرأة النصرانية؟!.. فما كان منه إلا أن أفرج عنه.. وعن كل المسجونين المسلمين.. إكراماً للشيخ!..

• ومرةً كان يمشي في الطريق مع تلاميذه.. فاقترب منه رجلٌ يهودي وسلّم عليه..

فقال الشيخُ بدر الدين لليهودي: ادعُ الله لي!.. فقال مَنْ حوله: يا شيخنا.. هذا يهودي!.. فغضب الشيخُ وقال: اليوم هو يهودي.. وما أدراكم ما يكون في الغد؟..

فلعلّه يُسلم.. ويسبقني في عمله الصالح..





ازرع حبي في قلب ابني



- تقول فتاة: إنَّها تزوجت شاباً.. وكانت في كلِّ مرة تُحضر له طعاماً يحبه يقول لها: «طيبة.. لكن أُمي تطبخها أحسن من هذا».. فتبتسمُ وتنظر إلى عينيه.. وتتمتم بعضَ الكلمات.. وفي كل مرة تضع عطراً جميلاً يقول لها: رائع.. وكأنَّه عطر أُمي.. فتبتسم أيضاً.. وتتمتم ببعض الكلمات.. وهكذا قضت حياتها كلها معه تسمع كلمة «أُمي تفعل».. «أُمي تقول».. «تشبه أُمي».. ولم تغب أبداً تلك البسمة وتمتمتُ بضع كلمات.. وبعد انقضاء (٢٧) عاماً على زواجهما.. توفيت أمه.. وبعد الدفن وانقضاء مراسيم الجنازة.. جلس الزوج وحيداً.. فذهبت إليه زوجته تواسيه في محنته.. فقال لها: الآن أصبح طبخك كطبخ أُمي.. وكلامك ككلام أُمي.. وضحكتك وعطرك أيضاً..

ابتسمت وقالت: لماذا؟..

فقال لها: لقد تزوجتُك في سن السابعة والعشرين.. وقد مضى سبعة وعشرون عاماً على زواجنا.. فأصبحتِ متعادلةً مع أُمي..

فقالت: رغم أنّك أستاذ في الرياضيات.. إلا أنك ما زلتَ تجهل بعض الحساب!..

لن أتعدلَ مع أمك ما حييت.. فأربعة وخمسون عاماً من عطاء أمك.. لن يعادلها سبعة وعشرون عاماً من عطائي..

ومَنْ تحت قدميها الجنة.. لن تتعدل مع من سترافقك - بإذن الله - الجنة فقط!.. ستبقى هي الأولى دائماً وأبداً..

سقطتُ من عينيه دمعَةٌ وقبّل رأسها.. وقال: ألم تنزعجي يوماً من تكرار تشبيه كل شيء بأُمي.. كما تفعل باقي النساء؟!..

فقالت: لا أبداً.. عكس ذلك تماماً..

فقال: وما تلك الكلمات التي كنتِ تتممينها.. ولم أسألكِ عنها طول حياتي؟..

فقالت: في كل مرة كنتَ تذكرُ أمك وتقارني بها كنت أقول: «اللهم ازرع حبي في قلب ابني.. كما زرعتَ حبَّ جدته في قلب أبيه».. فحُبُّك لها فاق كل الحدود..

كنتُ أتفاخرُ بك.. لأنَّك نلتَ رضاها.. وعلمتَ ابني كيف
ينال رضاي!..

وإذا كانت الجنة تحت أقدام الأم.. تُرى.. ماذا فوق رأسها؟!..

• فمن روائع خلق الله قلبُ الأم..

فليس هناك في الدنيا قلبٌ أحنُّ من قلب الأم.. ولا فؤادٌ أرقُّ
من فؤادها..

عانقوا أمهاتكم وقبّلوا أيديهنَّ.. فإن البيوت بدون أصواتهن
كالقبر!..

يقول أحد الشبان: كلما كنتُ أعودُ للبيت متأخراً في الليل
أجدُ أمي جالسةً تنتظرني.. فتقول لي: ممكن يا ابني تُدخل لي
الخيطة في الإبرة؟!..

سألْتُها مرّةً: وماذا تُخيطين يا أماه في هذا الوقت من
الليل؟!..

قالت: والله ما أحيطُ شيئاً!.. ولكنني كنت أريد أن تقترب
مني.. فأستمتعُ برؤية وجهك.. ولو لثوانٍ معدودات قبل أن
أنام!.. فعندها يحلو اللقاء..

فمن يملك قلباً مثل قلب الأم؟!..

• يقول أبو العلاء المعري:

العَيْشُ مَاضٍ فَأَكْرَمُ وَالِدَيْكَ بِهِ

وَالأُمُّ أَوْلَى بِإِكْرَامٍ وَإِحْسَانٍ

وَحَسْبُهَا الْحَمْلُ وَالْإِرْضَاعُ تُدْمِنُهُ

أَمْرَانِ بِالْفَضْلِ نَالَا كُلَّ إِنْسَانٍ





أرى بها وجهك الغالي



• يُحكى أنّ امرأة عوراء عاشت حياة قاسية بعد رحيل زوجها.. فقد خَلَفَ لها ولداً من دون أيّ سندٍ مادي أو معنوي.. فعملت ما أمكنها من أعمال لتربي طفلها الوحيد..

أدخلته المدرسة.. فكانت تسمح دمعة رقراقة على فراقه وهو ذاهب إلى المدرسة..

لم تُطق صبراً على بُعده.. فلحقت به إلى المدرسة.. لتطمئنّ عليه وتُسعدَ قلبها برؤيته..

عادا إلى البيت.. فلمحت مظاهر الحزن على وجه وحيدها.. سألته عن السبب: فأجاب ببراءة الطفولة: لا أريدك يا أمي أن تأتي إلى المدرسة.. فقد سخر منك رفاقي.. وضحكوا على عينك المقلوعة!.

لم تهتم الأم لملاحظة وحيدها.. إذ علّلت صراحته بعفوية الطفولة..

مرّت الأيام.. والأم تسقي وحيدها من نبع حنانها.. حتى غدا
 يافعاً تفتخر به وتزهو بشبابه.. لكنه كان يصرُّ في كل مناسبة على
 إبعادها عن حياته العامة.. لئلا يخلطها منها ومن عينها المقلوعة..
 فلا يُخرج بها!.

كان إذا صادف أن لمحها أحد رفاقه ثارت ثائرتة.. وأجبرها أن
 تختفي من أمام أصحابه.. كانت تلملم جراح عاقتها في نفسها
 المطعونة بسيفِ أغلى الناس عليها.. وتذرف الدموع من عينها
 الوحيدة..

كانت الأم تدعو لولدها بالهداية.. وتحاول أن تعوض عن
 عينها بإغداق حنانها عليه.. لكنها اكتشفت أنه لا سبيل لإقناع
 ولدها بقبول عاقتها.. فقرر ترك أمه والسفر إلى أمريكا.. حيث
 يتحرر من وجود أمه بجانبه.. بل إنه انقطع حتى عن مراسلتها..
 إلا عندما يحتاج إلى مال أو معونة!..

مرّت الأيام.. وسمعتُ من أقارب لها أن ولدها قد تزوج
 ورزق بأبناء..

فهاجت عاطفتها.. وجمعت ما تبقى لديها من قوّة ومال..
 للسفر إليه واحتضانه.. فيفرح قلبها الجريح ولو قليلاً بلقائه..
 وأخذت تمّني النفس بلقاء أحفادها الصغار.. وقد ذاب قلبها
 حبّاً لهم.

حملت ما حملت من هدايا.. وقصدت ابنها في أمريكا.
فتحت لها كَتُّها الباب.. ورَحَّبت بها.. وأسرعت إلى زوجها
تبشره بقدم أمه..

لكن ابنها الوحيد خرج إليها متجهِّم الوجه.. وبادرها بفضاظة
الولد العاق: لماذا لحقت بي إلى هنا؟!.. ألم أهرب منك؟!.. ماذا
تريدين مني؟!..

نزل كلامه كالصاعقة على رأس الأم المسكينة.. فلم تحتمل
الصدمة..

تحاملت على جرحها.. وعادت إلى بلدها.. حيث الوحدة
والكرامة.. ومرَّ الزمن.. وعرف قيمة الأم والأب من خلال
أبنائه..

وفي يقظة ضمير.. ندم على فظاعته وسوء معاملته لأمه.. فقرَّر
العودة إلى بلده لزيارة أمه.. يستغفرها على ما فعل بها.

قصد بيتها ليفاجأ بأنَّها رحلت عنه إلى شقة تكاد تكون مأوى
لا بيتاً.

سأل الجيران عن أمه فأجابوه: أمك فارقت الحياة قبل أيام..
لكنها تركت لك رسالة..

أمسك الابنُ بالرسالة بيدٍ انتابتها قشعريرة الحسرة والندامة..
وقرأ فيها:

ولدي الغالي: يعزُّ عليَّ أن أفارق الدنيا دون أن أراك.. لكنها
رغبتك أن أظلَّ بعيدة عنك.. كي لا تُحرج برؤية أمِّ عوراء..
سأحكي لك حكايةً أخفيتها عنك عمراً.. كي لا أحملك فوق
طاقتك..

فعندما كنتَ طفلاً صغيراً.. تعرضتَ لحادثٍ مريعٍ ذهبَ
بعينك.. ولم يكن هناك بديلٌ لي عن أن أهَبَك عيني.. لترى
بواسطتها الدنيا بعينين!..

أما أنا.. فقد أقنعتُ نفسي أنه تكفيني عينٌ واحدة.. أرى بها
وجهك الغالي..





لقاء أهل الفضل والإحسان



• روت إحدى النساء قصة واقعية..

تقول: لي ثلاثة أبناء وقد تزوّجوا منذ سنين.. فزرتُ مرةً ابني الكبير.. وطلبتُ أن أبيتُ عنده..

وفي الصباح.. طلبتُ من زوجته أن تأتيني بماء للوضوء..

فتوضأتُ وصليتُ.. وسكبت باقي الماء على الفراش الذي كنت أنام عليه.. فلما جاءني بشاي الصباح قلت لها: يا ابنتي هذا حال كبار السن.. لقد تبولتُ على الفراش!

فهاجتُ وماجتُ.. وأسمعتني سيلاً من قبيح الألفاظ.. ثم طلبتُ مني أن أغسله وأجففه.. وألاً أفعل ذلك مرةً أخرى..

ثم ذهبتُ لأبيت عند ابني الأوسط.. وفعلتُ الشيء نفسه..

فاغتاظتُ زوجته.. وأزبدتُ وأرعدت.. وأخبرت ابني فلم

يزجرها!..

فخرجتُ من عندهم لأبيت مع ابني الأصغر..

ففعلتُ الشيء ذاته.. فلمَّا جاءتني زوجته بشاي الصباح وأخبرتها بتبؤلي في الفراش. فقالت: لا عليك يا أمي.. هذا حال كبار السن.. كم تبؤلنا على ثيابكم ونحن صغار!.. ثم أخذتُ الفراش فغسلته وطيبته..

وفي المساء.. ذهبت الأم إلى السوق.. واشترت ذهباً بمال كثير.. ثم دعت أبناءها وزوجاتهم إلى بيتها وأخرجت الذهب والحلي.. وأخبرتهم أنها صبّت الماء على الفراش.. ولم يكن بولاً!..

وضعتُ الذهب في يد زوجة ابنها الأصغر وقالت: هذه ابنتي التي سوف ألجأ إليها في كبري.. وأقضي باقي عمري معها... ضُعتُ الزوجتان.. ثم قالت لابنيها الكبيرين: هذا ما سوف يردهُ لكم أبناؤكم في كبركم.. فاستعدوا لندم في ذلك اليوم.. وهذا ما حرمتكم منه زوجاتكم.. عندما لم تعلموهن قدر أمهاتكم!..

• وقفة اعتذار للحبيبة!..

فقلُّبها.. ليس له مثل بين القلوب..

ورحمتها.. لا حدود لها أمام رحمة الموصوفين بالرحمة من
المخلوقين..

وعاطفتها.. لا تدانيها عاطفة أحدٍ من العالمين..

وعطاؤها.. لا تقف أمامه أقسى العقبات.. ما دام قلبها ينبض
وعيناها تَطْرُفان..

كم نغفل عن هذه المعاني الجميلة.. ولا نعطي هذه الحبيبة
مكانتها من الحب والاحترام والإجلال والإحسان.. بل ربما
يَقْلِبُ لها البعض ظَهَرَ الْمَجْنِّ... فيسيء إليها.. يظلمها.. ولا
يراعي مشاعرها.. فتضع رأسها على وسادتها.. وتسيل دموعها
على خدها.. لا تنام عيناها.. ولا يهنأ ليلها.. وهي تحمل بين
جنبَّيها ذلك القلب نفسه.. وتلك الرحمة والعاطفة عَيْنها.. وتحلم
في يقظتها المُرَّة بأجمل الأيام لنا.. وليس لها.. وبعضنا في غفلة..
بل في سبات عميق! عذراً.. أيتها الأم الكريمة!..

كم نظلم.. ونحن لا نعلم!.. وكم نسيء.. ونحن لا نشعر!..

وكم نقصّر.. ونحن نظن أننا أهلُّ العطاءِ والمَنِّ!..





تائب من الهجران!..



- وهذا لقاءً مع ولد عاق.. أراد أن يتوب ويكفر عن خطاياہ..
- كتب الدكتور سمير أيوب: «تِلْكَ لَيْلَةٌ لَمْ يَغْمُضْ لِي فِيهَا جَفَنٌ.. تَوَجُّعاً عَلَى صَدِيقٍ عَمَرَ لِي.. يَرْقُدُ حَزِيناً مِنْذُ بَضْعِ سَنِينَ.. يُصَارِعُ أَوْجَاعَ السَّرَطَانِ فِي أَحَدِ الْمَسْتَشْفِيَّاتِ.. فَقَدْ أَتَانِي هَاتِفٌ مَفَاجِئٌ مِنَ الْإِبْنِ الْبَكْرِ الْعَاقِّ لِهَذَا الصَّدِيقِ.. يَرْجُونِي بِالْحَاحِ زِيَارَتِهِ.. بِسَبَبِ حَالَتِهِ الصَّحِيَّةِ الْحَرِجَةِ إِثْرَ حَادِثٍ سَيَّرِ مُرْوَعٌ..
- تَرَدَّدْتُ كَثِيراً.. وَلَكِنِّي سَارَعْتُ إِلَيْهِ.. مُحَاوِلاً تَنَاسِي عَقُوقَهُ الْبَشَعِ لَوَالِدِهِ..
- أَلْفَيْتُهُ وَحِيداً مُتَوَجِّعاً عَلَى سَرِيرٍ فِي أَحَدِ أَرْقَى الْمَسْتَشْفِيَّاتِ.. مَلْفُوفاً بِكُلِّ أَنْوَاعِ الضَّمَادَاتِ.. مَوْصُولاً بِالكَثِيرِ مِنَ الْأَسْلَاكِ وَالْخِرَاطِيمِ الطَّبِيَّةِ!..
- مَا إِنْ رَأَنِي حَتَّى تَنَاطَرَتْ دُمُوعُهُ وَارْتَجَّ صَوْتُهُ.. وَقَالَ: قُلْ لِي يَا عَمُّ نَاصِحاً..

أشرت له قائلاً: اهدأ شفاك الله.. وتب واستغفر الله.. فالله يُحِبُّ
التَّوَّابِينَ.. فأنت لم تُعْزِزْ بَعْدُ والحمد لله.. فَوَيْلٌ لِعَاقٍ سَبَقَهُ
الموت قبل التوبة.

فَقُلْتُ: اسأل نفسك بقسوة لَوَامَةٍ.. وأنت في لُجَّةِ أَلْمِكِ.. أي
الأبناء أنت؟.. فالأبناء ليسوا للوالدين سواء!..

فأحدهم: لا يفعل ما يأمره به والداه.. فهذا (عاقٌّ) والعياذ
بالله..

وآخر: يفعل ما يُؤمَرُ به وهو كارهٌ، فهذا (لا يُؤَجِر)..
وصنفٌ ثالثٌ: يفعل ما يُؤمَرُ به.. وَيُتَّبِعُهُ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى.. فهذا
(يَأْتِم) والعلم عند الله..

وهناك من يفعل ما يُؤمر به بطيبِ نفسٍ.. فهذا (مأجور) إن
شاء الله..

وأفضلهم من يفعل ما يُريده والداه قبل أن يأمروا به.. فهذا هو
(البَارُّ الْمُؤَفَّق)..

حَدَّق في وجهي مطولاً.. وسأل بعبراتٍ مُخْتَنِقَةٍ: كيف أصلح
أمري.. وأبرِ وَالِدَيَّ.. وقد بلغا - كما تعلم - خريف العمر؟..

قلتُ مُشْفَقاً عليه: كل صباح.. وقبل أن تشرب قهوتك.. وكل
مساء قبل أن تقبل زوجتك أو أياً من أبنائك.. اسأل نفسك: ما هو

بر الوالدين؟! لتعلم أن البر ليس مُجرّد قبلةٍ تطبعها على وجنة أمك أو خدّ أبيك.. أو على أيديهما ورأسهما.. أو حتّى على قدميهما.. فتظنُّ أنّك بلغت غايةَ الرضا.

فالبرُّ هو أن تَسْتَشِفَّ بِحَاسَتِكَ السَّادِسَةَ وَالسَّابِعَةَ وَالثَّامِنَةَ ما في قلبهما ثم تنفذه.. دون أن تنتظر منهما أمراً.. أن تعلم ما يسعدهما.. فتسارع إلى فعله..

وأن تدرك ما يؤلمهما.. فتجتهد ألا يرونه منك أبداً.. ومن البر أيضاً أن تُخَطِّطَ لعمرة أو زيارة للحرم.. لا يديران عنها إلا وهم هناك في الفندق الذي يستحقانه..

فكلُّ ما أنت فيه ما جاءك إلا بسهرهما وقلقهما.. وجهد الليالي في رعايتك.

واعلم أن طُرُقَ البرِّ المؤدّية إلى الجنة كثيرةٌ.. فلا تحصرها بتحيةٍ عابرةٍ مُجاملةٍ من غير نفس.. أو بقبلة تؤديها وكأنها خدمة علم.. أو بكمشة دنانير.. أو ببطيخةٍ أو كيلو معمول.. كأنها رشوةٍ أو صدقةٍ لِمُتَسَوِّلين أو أبناء سبيل.. يعقبا الكثير من التّقصير. واعلم أن برّ الوالدين ليس مناوباتٍ وظيفيّة بينك وبين إخوانك.. بل مُزاحماتٌ على أبوابِ الجنةِ إنْ تمنيتَ وعملتَ^(١).

(١) د. سمير محمد أيوب: أيُّ الأبناء أنت؟ (بتصرّف).

طأطأ الشابُ رأسه والدموع تغمر عينيه.. وقال: ليت طبيبي
يسمح الآن لي بالذهاب إلى أبي.. أقبّل رأسه ويديه.. أمرّغ وجهي
بين قدميه.. أستغفره على كل ما مضى من هجران.. فما أدري
متى يكون ذاك اللقاء؟!..





خمس دقائق أخرى!

• يعتقد كثير من الآباء والأمهات أن أولادهم ملكٌ لهم.. ومن حقهم تشكيهم كما يريدون.. وللأسف ينجح الكثيرون في ذلك.. ولكنهم يفشلون فشلاً ذريعاً.. إذ يقتلون الروح فيهم.. ويحوّلونهم إلى رجال آليين بلا شخصية ولا ملامح!..

يجب أن يعي الآباء والأمهات أن الأولاد والبنات ليسوا لملكهم.. ولكن لتتعلم أن نحبهم بلا شروط وبلا مقابل.. فإن أحسنوا صنعاً.. أحببناهم..

وإن ضلوا سبيلهم.. فما تزال قلوبنا مفتوحة لهم.. وطرق العودة دائماً سالكة لهم..

• أعطوا أولادكم حقهم السوي من الحرية.. حتى يأتوكم مختارين.. لحلّ ما يواجهون.. وإلا غردوا وحيدين.. بعيداً عنكم في التيه..

أولادكم أبناء جيلهم.. وإن كنتم تحرصون على أن تطبعوهم بطابع جيلكم.. هم خلّقوا لجيل آخر غير الذي أنتم فيه..

حقيقة.. عليكم أن تعترفوا بها.. وتدينون..

فالصدق هو منبع الثقة في الروابط الأسرية.. وإلا كلُّ مَنْ في مركب الأسرة غارقون.. انجوا بهم.. تنجوا بأنفسكم.. من كل عاتية..

فهل أنتم.. عن طيب خاطر.. فاعلون؟^(١)..

• جلست سيدة بجانب كهل على مقعد خشبي في حديقة تشرف على ملعب للأطفال.. وكان من الواضح أن كليهما لديه ابنٌ أو حفيدٌ يلعب ضمن من يلعب من الأطفال.. أشارت السيدة إلى أحد الأطفال.. وقالت: هذا الولد هناك.. إنه ابني..

فأشار إلى إحدى البنات اللواتي يلعبن.. وقال: هذه البنت هناك.. تلك التي ترتدي البلوزة السوداء.. إنها ابنتي.. ثم نظر إلى ساعته.. ونادى على ابنته: هيا يا حبيبتي.. أما حان وقت الانصراف؟..

اقتربت البنت من والدها... وقالت بلهجة مستعطفة: ممكن خمس دقائق أخرى يا أبي.. من فضلك خمس دقائق أخرى.. ابتسم الرجل.. وقال: حسناً، خمس دقائق أخرى..

(١) أ. محمود الكباريتي: إن كنتم تحرصون.

انطلقت البنتُ وقد بدت عليها فرحة غامرة..

وعندما حان الوقت نادى على ابنته قائلاً: حان الوقت للذهاب
يا ابنتي هيّا بنا..

اقتربت البنت من والدها وتعلّقت به.. وقالت مستعطفة: ممكن
خمس دقائق أخرى يا أبي.. من فضلك خمس دقائق إضافية!..
ابتسم الرجلُ ووافق.. فقالت له السيدة: يا لك من أبٍ رحيم
صبور!..

ابتسم الرجل وقال: سيدتي.. لقد مات أخوها الأكبر منذ
عامين في حادث سيارة.. ولم أقضِ معه أبداً مثل هذا الوقت
الذي أقضيه الآن مع أخته.. وأنا الآن على استعداد لدفع أي مبلغ
مقابل خمس دقائق أخرى إضافية مع طفلي الراحل..
ولهذا فأنا أحرص ألا أكرر الخطأ مع أخته!..

ثم صمت لوهلة وقال: إنَّها تظن أنها ستلعب خمس دقائق
إضافية.. ولكن الحقيقة هي أنني أنا الذي سوف أستمتع بخمس
دقائق إضافية أشاهدها وهي تلعب!..

• أعطِ من تحب خمس دقائق إضافية الآن.. حتى لا تندم
عليها فيما بعد..





لن أتركك بعد الآن أبداً



• تقول إحداهن: قبل موعد زفافي بأسبوع.. مرضت جدتي وأدخلت المستشفى.. ذهبت أزورها.. فوجدتُ جدي جالساً بجانب باب العناية المشددة وهو يبكي..

كانت أول مرة في حياتي أراه بهذه الحال.. فقلت له: أتبكي يا جدي؟!..

مسح دمعته.. وقال: جدتك «تعبانة» جدّاً! وهي قطعة من أعماق قلبي!..

استغربتُ قوله.. فأنا أعرف جدي شخصاً صارماً من جيل أيام زمان.. وما عرفته يوماً رومانسياً مثلنا.. فسألته: كم مرة تخاصمتم؟! وكيف تحبون بعضكم حتى اليوم؟!..

قال: تخاصمنا كثيراً.. ولكن ما قللنا من احترامنا لبعضنا أبداً في حياتنا!..

عندها تذكرتُ خطيبي الذي يقلل احترامه لي ويعيرني بكل شيء.. حتى بشكلي..

في هذا الوقت.. خرج الطبيب.. فقام جدي وسأله بلهفة: طمئني يا دكتور! كيف هي الآن؟ فقال: الحمد لله.. هي في حالة حسنة الآن.. ويمكنكم زيارتها..

دخل جدي كالطفل الصغير المتلهف لرؤية أمه.. ودخلتُ معه.. والأجمل من ذلك كانت نظرات حبّ جدتي له.. فلم أرَ أصدق من تلك النظرات..

أمسك بيدها وقال: أهكذا يا قطعة من قلبي تمرضين وتتركيني لأول مرة لوحدي؟..

ضحكت جدتي وقالت: أنت تركتني أيضاً قبل يوم عمليتك!.. شدتُ على يده وقالت: لا.. لن أتركك بعد الآن أبداً!..

كنتُ طوال الوقت مستغربة كيف استمرت تلك العلاقة بينهما خمسة وأربعين عاماً بتلك الطريقة.. رغم كل الظروف الصعبة التي مروا بها.

في هذه اللحظة اتصل بي خطيبي.. كان غاضباً لأنني لم أردّ عليه منذ الصباح..

فتحتُ الخط فقال بلهجة حادة: أين كنتِ يا حقيرة؟..

كنتُ بالعادة أمرُّ له مثل تلك العبارات.. لأنه حبيبي قبل أن يكون خطيبي..

لكنني تذكرتُ جدي عندما قال: الاحترام بين الزوجين هو أهم شيء في حياتهما.. وكيف أن علاقتهما استمرت بسبب ذلك..

قلت له: لا تخطئ بحقي!..

فردَّ قائلاً: ماذا؟ منذ متى كان عندك كرامة؟..

غضبتُ أكثر من هذه الكلمة.. وأغلقتُ الخط..

أرسل لي خلال الدقائق العشر التالية أكثر من (١٠٠) رسالة مليئة بالبهذلة والسباب..

في حين كنت أتأمل جدي الذي يمسك بيد جدتي.. وهي نائمة.. ويمسح رأسها..

خرجتُ من عندهم والدموع تملأ عيني.

سألتُ نفسي: ما الحب؟ هل هو حبٌ خطيبي الذي يقول لي: أحبك بمناسبة ودون مناسبة.. لكن تصرفاته لا تدل أبداً على ذلك؟..

أم الحب هو نظرة جدي لجدتي!.. خوفه عليها.. وكيف أمضيا العمر باحترام؟..

استيقظت في الصباح وقلت لأهلي: أريد أن أفسخ الخطوبة!..
 صُدم الجميع.. وعارضتني كل العائلة.. لكنني أخذت قراري
 ولم أراجع..

فُسختِ الخطبة.. وشعرتُ أنني اتخذتُ أحسن قرار في
 حياتي..

اليوم وأنا جالسة مع زوجي.. جاءتني ابنتي وقالت لي: ماما..
 أنا أحبك!..

قلت لها: وأنا أيضاً أحبك.. لماذا تقولين ذلك؟..

فقلت: أبي دوماً يقول لي: إنه يحبك.. ولهذا أنت تحبينه!
 وأنا أحبك كي تحبيني!..

عرفت من جديد ماذا يعني الحب والاحترام بين الزوجين..

ماذا تعني عبارة الكبار: تزوجي الذي ستكبرين معه.. الذي
 يكون لأولادك قدوةً بكلّ تصرفاته.. الذي لن تخافي أن
 يجرحك.. أو يقلل احترامك أمامهم..





أبي.. ما زلت ألقاه!..



• يقول أحدهم: سئمتُ من أبي.. من صراخه ونقده.. من لومه وعتابه..

إذا دخل غرفتي ووجد المصباح مضاءً.. وأنا خارجها.. صرخ في وجهي: لِمَ لا تطفئه؟.. ولِمَ كلُّ هذا الهدر في الكهرباء؟!..

إذا دخل الحمامَ ووجد الصنبور يقطر ماءً.. صرخ بأعلى صوته: لِمَ لا تُحكّم إغلاقه قبل خروجك؟.. ولِمَ كلُّ هذا الهدر في الماء؟..

كان دائماً يعاتب على الصغيرة والكبيرة!.. حتى وهو على فراش المرض!.. إلى أن جاء يومُ الخلاص.. اليوم الذي طالما انتظرته!..

اليوم سأجري المقابلة الشخصية الأولى في حياتي.. للحصول على وظيفة مرموقة في إحدى الشركات.. وإن تمَّ قبولي فسأترك هذا البيت إلى غير رجعة.. وسأرتاح من أبي وصراخه.. ومن توبيخه الدائم لي!..

استيقظتُ في الصباح الباكر.. ولبست أجمل الثياب وتعطرت..
وهممت بالخروج، فإذا بيدٍ تزيّتُ على كتفي عند الباب..
التفتُّ.. فوجدتُ أبي متبسِّماً رغم ذبول عينيه.. وأعراض
المرض على وجهه..

ناولني بعض النقود وقال: أريدك أن تكون إيجابياً واثقاً من
نفسك.. ولا تهتز أمام أي سؤال.

تقبّلتُ النصيحةَ على مضض.. وابتسمتُ وأنا متأفّف من
داخلي.. فحتى في هذه اللحظات لا يكف عن النصح والتنظير..
وكأنه يتعمد تعكير مزاجي حتى في أسعد لحظات حياتي!..

خرجتُ من البيت مسرعاً.. استأجرتُ سيارة وتوجهت إلى
الشركة.. وما إن وصلتُ ودخلتُ من بوابة الشركة حتى تعجبتُ
كل العجب! فلم يكن هناك حراس.. ولا موظفو استقبال.. سوى
لوحات إرشادية تقود إلى مكان المقابلة..

وما إن دخلتُ الباب.. حتى لاحظتُ أن مقبض الباب قد خرج
من مكانه.. وأصبح عرضة للكسر بعد أن اصطدم به أحدهم..
فتذكرتُ نصيحة أبي لي عند خروجي من المنزل أن أكون
إيجابياً.. فقمّتُ على الفور بردّ مقبض الباب إلى مكانه وأحكمتُه
جيداً.

ثم تتبعُ اللوحات الإرشادية.. مررتُ بحديقة الشركة.. فوجدتُ الممرات غارقة بالماء الذي كان يطفو من أحد الأحواض.. فتذكرتُ تعنيف أبي على هدر المياه.. فقمْتُ بسحب خرطوم المياه من الحوض الممتلئ.. ووضعتُه في حوض آخر..

ثم دخلتُ مبنى الشركة متتبعاً اللوحات.. وخلال صعودي الدرج لاحظتُ الكم الهائل من المصابيح المضاءة.. ونحن في وضوح النهار.. فقمْتُ لا إرادياً بإطفائها متذكراً تأنيب أبي الذي كان يصدح في أذني أنني ذهبت..

وصلتُ الدور العلوي ففوجئتُ بعدد كبير من المتقدمين للوظيفة.. فجلستُ أنتظر دوري وأنا أتمعن في ملابس الحاضرين.. فشعرتُ بالدونية من ملابسهم وهيئتي.. وبعضهم يتباهى بشهاداتٍ حاصلٍ عليها من كبرى الجامعات.

لاحظتُ أن كل من يدخل المقابلة لا يلبث إلا أن يخرج في أقل من دقيقة.. فقلت في نفسي: إن كان هؤلاء بأناقتهم وشهاداتهم قد تمّ رفضهم فهل سأقبل أنا؟!..

هممتُ بالانسحاب من هذه المنافسة الخاسرة بكرامتي قبل أن يبلغوني اعتذارهم.

وعندما أردت الخروج.. فإذا بالموظف ينادي على اسمي..
فدخلتُ غرفة المقابلة.. وجلستُ مقابلاً ثلاثة أشخاص..

نظروا إليّ وابتسموا ابتسامة عريضة.. ثم قال أحدهم: متى
تحب أن تستلم الوظيفة؟..

ذهلتُ لوهلة.. وظننتُ أنهم يسخرون منّي.. فتذكرتُ نصيحة
أبي بالأهتز.. فأجبتهم بكل ثقة: بعد أن أجتاز الاختبار بنجاح
إن شاء الله تعالى..

فقال أحدهم: لقد نجحتَ في الامتحان وانتهى الأمر..

فقلتُ: ولكنَّ أحداً منكم لم يسألني سؤالاً واحداً!..

فقال: نحن ندرك جيداً أننا لن نستطيع تقييم مهارات
المتقدمين من خلال الأسئلة.. فقررنا أن يكون تقييمنا للشخص
عملياً.. فصمّمنا مجموعة اختبارات عملية.. تكشف لنا سلوك
المتقدم ومدى إيجابيته.. وحرصه على مقدّرات الشركة.. فكنتَ
أنت الشخص الوحيد الذي سعى لإصلاح كل عيبٍ تعمّدنا وضعه
في طريق كل متقدم.. وقد تمّ توثيق ذلك بكاميرات المراقبة..

عندها اختفتُ كل الوجوه أمام عيني.. ونسيت الوظيفة
والمقابلة وكل شيء..

ولم أعد أرى إلا صورة أبي.. ذلك الباب الكبير.. الذي ظاهره
القسوة.. وباطنه الحب والحنان.. شعرتُ برغبة جامحة للعودة
إلى البيت.. لتقبيل يديه وقدميه.. اشتقتُ إلى سماع صوته..
وموسيقى صراخه..

لماذا لم أر أبي من قبل؟ كيف عميت عيناى عنه؟..

كيف عميتُ عيناى عن العطاء بلا مقابل... عن الحنان
بلا حدود...

تمنيتُ لو ركبْتُ بساط الريح لأعود إلى أبي.. وأحتفل معه
بفوزي بالوظيفة الجديدة..

خرجتُ مسرعاً.. وخطواتي تسابق قلبي.. وما إن وصلتُ أول
الشارع.. حتى رأيتُ ازدحاماً أمام عمارتنا.. استقبلني جاري
باكياً.. واحتضنني قائلاً: (عظم الله أجرك في أبيك)..

تسمَّرتُ قدماى في الأرض.. ولم تعدُ تقويان على حملي..

ضاعتُ فرحتي.. واسودَّت الدنيا في وجهي!..

أحقاً مات أبي؟.. أحقاً رحل ولن يعود؟..

لا.. لا.. لم يمتُ أبي.. فهو موجود...

رحيلك جحيماً عليّ يا أبتاه.. فليس هناك أقسى من رؤية

الحبيب مُسَجَّى بلا حراك.. تراه ولا يراك.. تنظر إليه للمرة
الأخيرة.. ولا تكاد تصدق ما ترى عيناك..



أبتاه يا أيها الطاهر النقي.. لو كنتُ أعلم أنك سترحل بهذه
السرعة.. لتقربتُ منك أكثر.. وتزودتُ من برك وطاعتك.. بما
ينفعني بعد وفاتك..

ليتك تسمعني الآن يا أبي.. لأخبرك أنّ فراقك ينتزع روحي
من جسدي.. ويقذف بي إلى أعماق المجاهيل..
رحلتَ يا أبي.. وفي نفسي حسرةٌ على كل يوم لم أمتّع ناظرِيَّ
برؤية وجهك البشوش.. ولا أذنيَّ بسماع صوتك الحنون..
منحتني كلَّ شيء.. ولم تأخذ مني شيئاً واحداً...

كنتَ أنت البارّ بي.. ولم تنلْ من برِّي ما كان ينبغي أن يكون..
غبتَ يا أبي.. وغاب عني العاقل الرشيد.. والناصح الأمين..
لم يمتْ أبي.. ولن يموت..! بل سيظلُّ حياً في صلاتي
ودعائي.. في صدقتي وعمرتي.. وفي كل عملٍ أتقرب به إليك
يا الله.. أسألك أن تغفر لي تقصيري مع أبي^(١).



(١) لم يمت أبي. (بتصرف).



أعمالك تلقى الأثر..



• السيرة الطيبة.. هي أجمل ما يتركه الإنسان في قلوب الآخرين.. وثروة الإنسان الحقيقية.. هي حُبُّ أصفياء الناس له..
بعد رحيلك.. سيفتقدك مَنْ كان في الله حُبُّه لك.. وَمَنْ كُنْتَ تُواسيه بكلمة طيبة.. أو صدقة مخفية.. مَنْ وَقَفَ إلى جانبك في وقتٍ تَخَلَّى فيه عنك الناس.. مَنْ ضَحَّى ليدفع عنك كيد الكائدين..

فأنتَ في دنياك عابر سبيلٍ.. فاترك الأثرَ الجميل.. فذاك عند الله شأنه - بإذنه - كبير..

مُسَافِرٌ أَنْتَ وَالْآثَارُ بَاقِيَةٌ..

فأتركُ وراءك ما تُحْيِي بِهِ أَثْرَكَ

• اجعل أفعالك وخطواتك في الحياة كمن يمشي على الرَّمْلِ..

لا تسمعُ له صوتاً.. ولكنَّ آثاره واضحةٌ لمن خلفه..

كُن في حياة الآخرين.. كحبات السكر.. حتى وإن اختفت..
تركت وراءها طعماً لذيذاً.

• وترك الأثر حلمٌ يتمناه الكثير.. ولكن هل يترك بصمةً في
الحياة من لم يكن له في حياته أهداف.. يُضَيِّع وقته سُدى كلَّ
يوم؟..

- يقول أحد العارفين: «اترك أثراً.. كلما تذكرك الناس
عبدوا الله»..

فليس الأثر فقط أن يذكرك الناس.. ولكن كلما جئت في
بالهم.. شَجَّعهم ذلك على ذكر الله.. والإقبال على طاعته.

- قال خلف بن هشام: «كان محمد بن سيرين قد أُعطي هدياً
وسمناً وخشوعاً.. وكان الناس إذا رأوه ذكروا الله»..

• فما هي الأعمال الطيبة التي تُنسب إليك بعد موتك.. وتنال
بها أجراً؟..

كم مسلماً علّمت؟.. وكم تائهاً إلى طريق الحق هديت؟..
كم غرساً خيراً في الدنيا غرست؟.. وكم حديثاً عن
رسول الله ﷺ بلّغت؟..

قد مات قومٌ وما ماتت مكارمهم..

وعاش قومٌ وهم في الناس أمواتٌ

• اترك أثراً جميلاً في قلوب الآخرين.. لأن الأثر الطيب سيبقى؟..

ونحن لا نرتّب أماكن الناس في قلوبنا.. فأفعالهم وسجاياهم هي التي تتولّى ذلك.. وكذلك أفعالنا مسؤولة عن ترتيب أماكن لنا في قلوب الآخرين.

• وجميلٌ أن يكون لك ذكرى طيبة عند من تعرف.. وعند مَنْ لا تعرف.. ورائعٌ أن تترك أثراً حولك بطريقة كلامك.. بأخلاقك.. دع ذكرك يعطر المكان.. دع لك أعمالاً صالحة.. فالأثر الطيب الذي يتركه المرء بعد وفاته هو عمُرٌ آخر.. فبه يُذكر.. وبه يُثنى عليه.. فيكون سبباً لعفو الله تعالى عنه..

يُدعى له بسببه.. فيقبل الله تعالى دعوة الداعين.. ويكرمه بحسن المآب.. ويعمل الناس بعلمه.. أو ما تركه خلفه.. من أعمالٍ لوجه الله.. فيجري له ثواب العاملين.. كأنه لم يزل يعيش ويعمل.

فاترك أثراً طيباً يبقى من بعدك.. يكون لك إرثاً ممتداً عبر الأزمان.. وعبر القلوب..





البطُّ يشكو.. والنسورُ تحلّق..



• يقول أحدهم: كنت في خط الانتظار لركوب سيارة من المطار إلى الفندق.. فكان نصيبي سيارة في غاية النظافة.. يلبس سائقها ملابس غاية في الأناقة.

نزل السائق من السيارة وفتح لي الباب الخلفي للجلوس.. وقال: «اسمي أحمد.. وأنا سائقك هذا الصباح.. وريثما أضع حقائبك في صندوق السيارة.. تستطيع أن تقرأ مهامي المدونة في هذه البطاقة»..

قرأت في البطاقة: «أسعد الله أوقاتك.. مهمتي أن أوصلك إلى هدفك بأسرع طريقة.. وأكثر أماناً.. وأقلها كلفة.. وبجو وديّ مُريح»..

جلس أحمد خلف عجلة القيادة بهدوء.. وقبل أن يتحرك بالسيارة نظر إليّ في المرأة وقال: هل ترغب في فنجان قهوة؟.. فلدي (ثيرموس) لقهوة عادية.. وآخر لقهوة دون كافيين!..

فقلت مازحاً: شكراً.. أنا أفضل المشروبات الباردة.

فقال: لدي إذن مياه غازية عادية.. وأخرى دون سكر.. وعصير
برتقال..

فقلت: أفضل عصير البرتقال.. فناولني كأس العصير.. ثم قال:
بسم الله.. وبدأ المسير.. وقال: لدينا حوالي أربعين دقيقة.. فإن
أحببت فهذه بطاقةٌ عليها قائمة المحطات الإذاعية.. تختار منه
ما تشاء.. أو تستمع إلى تعريف سياحي بما تراه في الطريق.. أو
أتركك مع أفكارك.. وإن شئت القراءة فلدي جريدة هذا الصباح
ومجلتا هذا الأسبوع!..

قلت له: يا سيد أحمد، هل تخدم جميع الزبائن بهذه الطريقة
دائماً؟!..

فقال: للأسف بدأتُ هذه الطريقة قبل سنتين فقط.. وكنتُ
قبلها مثل سائر السائقين لخمس سنوات.. فمعظم السائقين
سياراتهم غير نظيفة.. ومنظرهم غير أنيق.. ويصرفون جلّ وقتهم
بالشكوى وندب الحظوظ!..

وجاء التغيير الذي قمتُ به عندما سمعت عن فكرة أعجبتني
اسمها: «قوة الاختيار».. وتقول: «بإمكانك أن تختار أن تكون بطّة
أو نسرًا!..»

فالبطة تشكو بؤسها.. والنسر يرفرف مبتهجاً ويحلق عالياً..
فقررت أن أمارس التغيير شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى
ما ترى..

أشعرُ بالسعادة.. وأنشرُ السعادة بين زبائني.. وتضاعف دخلي
في السنة الأولى.. وها هو دخلي هذا العام يزداد بفضل الله أربعة
أضعاف.. والزبائن يتصلون بي لحجز مواعيدهم.. وأنا أستجيب.
• توقف عن أن تكون بطةً تندب حظها.. وتكثر الشكوى..
وابداً مسيرك لتكون نسرًا سعيداً.. تحلق فوق الجميع..

ولن تحقق ذلك مرة واحدة.. ابدأ الخطوة الأولى.. ثم واصل
المسير.. خطوة خطوة.. ولو خطوة كل أسبوع.. وسترى ما يحدث
لك قريباً بإذن الله..

وتذكر دوماً قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا

بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]..





إخلاص قلب



• إذا مُنعتَ بعد عطاءٍ..

وفتزتَ بعد طاعة..

وأمسكتَ بعد إنفاقٍ..

فراجع إخلاصَ قلبك!..

- أطمعَ أحدُ الصالحين رجلاً أعمى فالوَدَجاً (من أفخرِ الطعام).. فقال أهله: هذا الأعمى لا يدري ماذا يأكلُ!..

فقال: لكنَّ الله يدري!..

فما أجمل أن يعيش الإنسانُ مع الله في كل حياته؟!..

- يقول ابن الجوزي: «إنَّما يتعثَّر مَنْ لم يُخلص»..

- وهذا شابٌ ظلَّ يخدم أمه فاقدة العقل لسنوات طويلة.. وهي تسبُّه وتُهينه..

وعندما سأله أحدهم: لماذا تتحمل كل هذا وتبذل كل ذلك

الجهد.. وهي لا تعلم أنَّها أمك.. وأنك ابنها؟!..

فأجاب الشاب: ولكن الله يعلم!..

فالمخلص لا يعنيه من يمدح أو يقدر.. ولا من أحسن أو أساء.. كل ما يعنيه هو إرضاء ربّ الأرض والسماء..

ففعل الخير يحتاج إلى قلب نقي.. خالٍ من المباهاة والرياء..

• وما أعظم العمل إذا كان خالصاً لوجه الله!..

وما أجمل النفوس التي تستحضر خالقها حين تنوي فعل

الخير!..

فمهما كان عمل الخير صغيراً في أعيننا.. فهو عند الله كبير..

ما يهمُّ: أن يكون خالصاً لله..

- يقول الإمام الجنيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «الإخلاصُ سِرٌّ بينَ الله وبينَ العبدِ..

لَا يَعْلَمُهُ مَلَكٌ فَيَكْتُبُهُ.. وَلَا شَيْطَانٌ فَيُفْسِدُهُ.. وَلَا هَوَى فَيَمِيلُهُ».

- وقال عبيد بن عمير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْوَعًا

مَا كَانُوا قَطًّا..

وَأَعْطَشَ مَا كَانُوا قَطًّا.. وَأَعْرَى مَا كَانُوا قَطًّا..

فَمَنْ أَطْعَمَ اللَّهُ وَعَجَّلَ .. أَشْبَعَهُ اللَّهُ..

وَمَنْ سَقَى اللَّهُ وَعَجَّلَ .. سَقَاهُ اللَّهُ..

وَمَنْ كَسَا اللَّهُ وَعَجَّلَ .. كَسَاهُ اللَّهُ..

- كان المطرّف بن عبد الله إذا حدّث بحديث النبي ﷺ يشتدُّ عليه البكاء وهو في حلقتة.. فكان يشتدُّ العمامة على عينه ويقول: «ما أشدَّ الزكام.. ما أشدَّ الزكام»..

- يقول ابن السماك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

«كم مِنْ مُذَكَّرٍ بالله.. ناسٍ لله؟..»

وكم مِنْ مُخَوَّفٍ بالله.. جَرِيءٍ على الله؟..»

وكم مِنْ مُقَرَّبٍ إِلَى الله.. بعيدٍ عن الله؟..»

وكم مِنْ دَاعٍ إِلَى الله.. فَارٍّ مِنَ الله؟..»

وكم مِنْ تَالٍ لكتابِ الله.. مُنْسَلِخٍ عن آياتِ الله».

- يقول أبو سليمان الداراني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «طُوبَى لِمَنْ صَحَّتْ لَهُ خُطْوَةٌ وَاحِدَةٌ يُرِيدُ بِهَا وَجْهَ الله تعالى».





اغتتم فرصتك

• تمنى أحد الشباب أن يتزوج ابنة المزارع الجميلة.. فذهب إلى أبيها يطلبها منه..

نظر إليه المزارع وقال: يا بني.. اذهب وقف في ذلك الحقل.. وسأقوم بإطلاق سراح ثلاثة ثيران.. الواحد تلو الآخر.. فإذا تمكنت من إمساك ذيل أي واحد منها.. فسأزوجك ابنتي!..

وقف الشاب في انتظار أول ثور.. ففتح باب الحظيرة وخرج ثوراً كبير هائج.. فقرر أن ينتظر الثور التالي الذي سيكون خياراً أفضل من هذا الثور الشرس..

ركض إلى الجانب.. وترك الثور يمرّ خارج البوابة الخلفية..

فتح المزارع باب الحظيرة مرة أخرى.. فرأى الشاب أمامه ثوراً لم يشهد في حياته أكبر منه ولا أشرس منه..

وقف الثور يحفر في الأرض بقدميه ويزمجر.. وهو ينظر إلى

الشاب..

فما كان من الشاب إلا أن قرر أن ينتظر الثور الثالث.. فمن المؤكد أنه لن يكون أسوأ من هذا الثور!..

وهكذا ركض إلى السياج مرة أخرى.. وسمح للثور بالمرور إلى الخارج من البوابة الخلفية..

ولما فُتحت البوابة للمرة الثالثة.. ظهرت على وجه الشاب ابتسامة.. فقد رأى أضعف وأهزل ثور في حياته!..

أجل.. كان هذا هو ثوره المناسب تماماً.. ليمسك به بسهولة بالغة..

وضع نفسه في المكان المناسب.. وقفز على الثور وهو يجري مسرعاً.. مدَّ يده ليمسك بذيله.. لكنه فوجئ بأنه ليس له ذيلٌ يُمسكه!..

وكذلك هي الحياة مليئة بالفرص.. بعضها سيكون من السهل اقتناصه.. وبعضها الآخر ربما يصعب استغلاله.. فلا تسمح للفرص بالمرور عبرك.. على أمل أن تفوز بفرصة أفضل.. فقد تمضي ولا تتاح لك فرصة أخرى..

فإذا وجدت فرصة مواتية لك.. ولو أقل ممَّا كنتَ تتوقع.. فاستخر الله.. وتوكل عليه.. فإن كانت لك خيراً.. وفقك الله إليها..

يقول خالد بن معدان: «إذا فُتح لأحدكم بابٌ خيرٍ.. فليسرع إليه.. فإنه لا يدري متى يُغلق عنه»..

• يُروى أن غواصاً ذهب مع زملائه في رحلة إلى أعماق البحر لجمع اللآلئ..

مرت الساعةُ تلو الساعة.. وهو يتأمل ما حوله من أصدافٍ خلافة.. وفجأةً.. أطلقت إشارة الصعود إلى سطح الماء..

رجع كلُّ غواصٍ بما جمعه من لآلئ.. ورجع الذي لم يجد بين يديه إلا الأصداف.. فقد فاتته جمعُ اللآلئ!..

فعندما تغوص في خضم حياتك.. حدد أهدافك بدقة.. واسعَ إليها مستعيناً برّبك..

اغتنم حياتك بالعمل الصالح.. وأتقن ما تقوم به من عمل.. ولا تكن كمنْ شغلته الأصدافُ الجميلة عن اللآلئ الثمينة.

ولا تنسَ حديث رسول الله ﷺ: «اغتنم خمساً قبلَ خمسٍ: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك»^(١).

(١) صحيح الجامع: ١٠٧٧.

فإن كانت هناك فرصٌ في الدنيا فاتتك.. فلا تدعُ أي عملٍ صالحٍ يفوتك.. فربّما تكون فيه سعادة الدارين.... وكل دقيقة تمرُّ عليك في غير طاعة.. فهي فرصة لك من الله.. لا يمكن تعويضها..





الوفاء شيمة الأصفياء



• يُروى أنّ ملكاً رجع إلى قصره في ليلة شديدة البرد.. رأى حارساً عجوزاً واقفاً بملابس رقيقة.. فاقرب منه الملك وسأله: ألا تشعر بالبرد؟..

فردّ الحارس: نعم يا سيدي أشعر بالبرد.. ولكنني لا أملك لباساً دافئاً.. فلا مناص لي من التحمّل!..

فقال له الملك: سأدخل القصر الآن.. وأطلب من أحد خدمني أن يأتيك بلباسٍ يدفئك..

فرح الحارسُ بوعده الملك.. ولكن ما إن دخل الملكُ قصره حتى نسي وعده..

وفي الصباح كان الحارس العجوز قد فارق الحياة.. وإلى جانبه ورقةٌ كُتِبَ عليها بخط مرتجف: «أيُّها الملك، كنت أتحمّل البرد كل ليلة صامداً.. ولكن وعدك لي بالملابس الدافئة.. سلب مني قوّتي وقتلني».

• فعودك للآخرين قد تعني لهم أكثر ممَّا تتصوّر.. فلا تخلف وعداً.. فأنت لا تدري ما تهدم بذلك الخلف..
فما أشد حاجة الناس إلى الوفاء.. في زمن فشا فيه الجحود والنكران!..

فلا الجميل عند البعض عاد يُذكر.. ولا المعروف لديهم صار يُحفظ.. فحذار من إخلاف الوعد والعهد.. فذلك من خصال المنافق! فقد قال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا - أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا -: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»^(١).

• وحفلت سيرة رسول الله ﷺ بأروع أمثلة الوفاء مع كل من تعامل معه.. فعن عبد الله بن أبي ربيعة رضي الله عنه: أنه قال: استقرض مني النبي ﷺ أربعين ألفاً، فجاءه مالٌ، فدفعه إلي، وقال: «بارك الله لك في أهلِكَ ومالِكَ، إنما جزاءُ السَّلَفِ الحمدُ والأداء»^(٢).

• ومن أجمل الوفاء ما يكون للوالدين.. والزوجة والأرحام.. وذلك ببرهم والتغافل عن أخطائهم..

(١) رواه البخاري: ٢٤٥٩.

(٢) صحيح النسائي: ٤٦٩٧.

- ومن الوفاء ما يكون لسائر الخلق.. مؤمنهم وكافرهم.. في عقود المعاملات.. وغيرها من أمور الحياة.. فقد أمر الله تعالى بذلك كله فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]..

وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

- ومن أنبل الوفاء ما يكون مع أهل الفضل والعطاء.. كوفاء الإنسان لمن أسدى إليه معروفاً.. أو حجب عنه مكروهاً.. أو كان سبباً في تحصيله شيئاً من خيري الدنيا والآخرة..

• ولا ننسى أبداً وفاء الديون.. فإنَّ سدادها من أكد الحقوق عند الله.. بل إنَّ الإسلام حرم الاستدانة إلا للضرورة.. وحرَّره بشدَّة من المماطلة أو التأخير في سدادها..





الوقت الضائع

• سأل شخصٌ صديقَه: كم يستغرق الطريق من بيتك إلى عمك؟..

فأجاب: في وقت الازدحام يستغرق (٨٠٠) تسبيحة..

وفي الأوقات الأخرى.. حوالي (٢٥٠) تسبيحة..

جوابٌ رائعٌ لاستغلال الوقت عند الازدحام..

• ولتعرف قيمة يوم واحد.. اسأل عاملاً بالأجر اليومي يرعى عدة أطفال له!..

ولتعرف قيمة ساعة واحدة... اسأل أمّاً تنتظر ولدها ليخرج من غرفة العمليات!..

ولتعرف قيمة دقيقة واحدة.. اسأل شخصاً فاتته موعد القطار في بلد يسير بنظام دقيق!..

ولتعرف قيمة ثانية واحدة.. اسأل شخصاً نجاً لتوّه من حادث سيارة!..

ولتعرف قيمة عمرك.. اسأل شخصاً يحتضر في آخر لحظات حياته!..

• يقول أحدهم: مرض طفلي الصغير.. فقررت الذهاب به إلى المستشفى.. رغم تعبتي في العمل والإرهاق.. إلا أن التعب لأجله راحة..

كان الناس في غرفة الانتظار كثيرين.. فأدركت أنني ربما تأخر ساعة أو أكثر.. أخذت رقماً للدخول على الطبيب.. وجلست في غرفة الانتظار.

وجوه كثيرة مختلفة.. فيهم الصغير وفيهم الكبير.. الصمت يخيم على الجميع..

أجلت طرفي في الحاضرين.. بعضهم يقلب في صفحات الجوال.. وبعضهم مغمض العينين لا تعرف فيم يفكر.. وآخر يتابع نظرات الجميع..

وكثير منهم تحس على وجوههم القلق.. والملل من الانتظار.. يقطع السكون الطويل.. صوت المُنادي.. برقم كذا.. الفرحة تُشرق على وجه المُنادي عليه.. يسير بخطوات سريعة.. ثم يعود الصمت للجميع.

لفت نظري شابٌ في مقتبل العمر.. لا يعنيه أي شيء حوله.. كان معه مصحفٌ جيب صغير.. يقرأ فيه.. لا يرفع طُرفه.. نظرتُ إليه وعجبتُ من أسلوب حياته.. ومحافظةه على الوقت.. ساعة كاملة من عمري مرّت.. وأنا بلا عمل ولا إنتاج.. بل في انتظار ممل.

أخبرته عن إعجابي به في محافظته على وقته.. فقال: إنه أخذ مصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط.. عندما حثه صديقٌ له بالمحافظة على الوقت..

وقال: إنه يقرأ في الأوقات التي لا يُستفاد منها أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في منزله.. فنحن الآن في غرفة الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف.. فمتى تجد ساعةً ونصفاً تقرأ فيها القرآن؟..

تأملت.. كم من الأوقات تذهب سدى!.. وكم من الساعات تمرُّ في حياتك ولا تحسب لها حساباً!..

بل كم من شهر يمرُّ على البعض ولا يقرأ فيها صفحةً من القرآن!..

أجلتُ ناظري.. وجدتُ أنني مُحاسَبٌ.. والزمن ليس بيدي.. فماذا أنتظر؟!..

قطع تفكيري صوت المنادي.. ذهبتُ إلى الطبيب.
وقررتُ أن أحافظ على وقتي.. فأضع مصحفاً صغيراً في
جيبي.. أو أحمل تطبيق القرآن على جوالي.. فأقرأ منه ولو صفحة
واحدة كل يوم!^(١)..



(١) أ. عبد الملك بن محمد القاسم: الزمن القادم. (بتصرُّف).



إمرأة تحب سبعة رجال



• أنشدت امرأة شعراً في حبِّ سبعة رجال.. فقالت:

كَانَ يُعْجُجُ بِالنِّسَاءِ الْمَنْزِلُ حِينَ تَغَنَّتْ مَرْأَةٌ تَغَزَّلُ
 قَالَتْ: عَرَفْتُ فِي حَيَاتِي سَبْعَةً مِنْ الرِّجَالِ بِهَمٍّ لَا أُخْجَلُ
 هُمْ رِجَالٌ كَمَلُّ فِي نَظْرِي وَحُبُّهُمْ فِي مُهْجَتِي لَا يَذْبُلُ
 وَكُلُّ وَاحِدٍ لَهُ مَحَبَّةٌ وَقِصَّةٌ تُرَوَى وَلَا تُمَلَّلُ
 أَوْلَهُمْ هُوَ الَّذِي تَفْتَحَتْ عَيْنِي عَلَى رُؤْيَاهُ وَالْمُدَلَّلُ
 مُذْ كُنْتُ فِي لُفَافَةٍ وَلِيدَةٌ يَحْمِلُنِي يَضُمُّنِي يُقَبَّلُ
 يَشْرِي لِي الْحَلْوَى لِأَرْضِي وَالذَّمَى وَكُلَّ مَا أَرِيدُ لَيْسَ يَبْخَلُ
 فَذَاكَ يَبْقَى مَثَلِي الْأَعْلَى أَبِي وَوَالِدِي وَهُوَ الْحَبِيبُ الْأَوَّلُ
 يَلِيهِ شَخْصٌ كُنْتُ مَعَهُ طِفْلَةٌ نَلْعَبُ نَلْهُو عَنْ هُمُومٍ نَغْفَلُ
 وَقَدْ حَوَانَا قَبْلُ بَطْنٌ وَاحِدٌ لَنَا سَرِيرٌ وَاحِدٌ وَمَنْزَلُ
 نَقْضِي مَعًا أَوْقَاتَنَا، نَبْكِي مَعًا نَضْحَكُ فِي بَرَاءَةٍ وَنَأْكَلُ

صديقٌ عُمري في الوري المُفَضَّلُ
 أميرةٌ في بيتِه أَكَلُّ
 على جوادهِ، الفتى والبطلُ
 والعشيقُ فوق دارنا يُظَلِّلُ
 أرضى بغيره ولا أُبَدِّلُ
 تشوُّقٍ بلهفةٍ أُمَّلُ
 من الشهرِ بالعناءِ أحملُ
 ربيتهُ وهو صغيرٌ طفلُ
 يفديه قلبي والحشا والمقلُ
 زوجاً يصونُ العِرَضَ ليس يُهملُ
 وفي اختياري لا أراني أُحَذِلُ
 أوصي ابنتي به ولا أثقلُ
 ذلك صهري وهو نعمَ الرَّجُلُ
 قد جاءني في نسبٍ يتَّصلُ
 من ولدٍ كما يقولُ المثلُ
 تبقى وذكري إن طواني الأجلُ
 فخري وعزي حينَ عنه أُسألُ

ذاك ابنُ أُمي وأبي ذاك أخي
 وقد أتاني ثالثٌ جعلني
 فارسُ أحلامِ الصُّبا يأخذني
 تجمَعنا مودةً ورحمةً
 ذلك زوجي وأبو العيالِ لا
 ورابعٌ قد انتظرتهُ على
 بطني له كان الوعاءُ تسعةً
 وضعتهُ شمتهُ أرضعتهُ
 ذلك ابني فلذةً من كبدي
 وخامسٌ رضيتُ فيه لابنتي
 واخترتهُ لحُلُقِه ودينه
 فإنَّهُ كابني وما ولدتهُ
 حماتهُ أنا وفي حمايتي
 وكان من صهري وابني سادسٌ
 قرةُ عيني وهو أعلى في الدنا
 فهو امتدادٌ لي وفيه رَحْمي
 ذاك حفيدي وابنُ ابني وابنتي

ثُمَّ أَتَتْهَا عَبْرَةٌ فَاغْرُورِقَتْ
فَأَمْسَكَتْ عَنِ الْكَلَامِ فِتْرَةً
قُلْنَ لَهَا: وَأَيْنَ صَارَ سَابِعُ
قَالَتْ: مَعَاذَ اللَّهِ فَهُوَ سَاكِنٌ
جَعَلْتُهُ مِسْكَ الْخِتَامِ آخِرًا
أَفْضَلُ سَبْعَةٍ وَمَا رَأَيْتُهُ
أَحْبُّهُ وَلَا أَلَامٌ فِي الْهَوَى
وَكَيْفَ لَا أَحْبُّهُ وَقَدْ هَدَى
ذَاكَ حَبِيبِي إِنَّهُ مُحَمَّدٌ
أَرْجُو بَأْنَ يَجْمَعُنِي رَبِّي بِهِ
صَلَّى عَلَيْهِ اللَّهُ دَوْمًا أَبَدًا

بالدمعِ عيناها كَسَيْلٍ يَنْزِلُ
يَغْلِبُهَا الْبُكَاءُ لَيْسَتْ تُكْمَلُ
وَقَدْ سَكَتَ عَنْهُ أَهْوَى الْمُهْمَلُ؟
فِي مُهْجَتِي، لَكِنْ يَحَازُ الْمِقْوَلُ
حَتَّى يَطِيبَ فِي لِسَانِي الْعَسَلُ
بَلْ وَهُوَ خَيْرُ الْخَلْقِ وَهُوَ الْأَجْمَلُ
فَهُوَ حَيْبُ اللَّهِ وَالْمُبَجَّلُ
بِهِ الْإِلَهُ مَنْ رَمَاهُ الضَّلَلُ
خَيْرُ النَّبِيِّينَ الَّذِينَ أُرْسَلُوا
أَحْشَرُ فِي زُمْرَتِهِ وَأَدْخُلُ
مَا سَبَّحُوهُ الْخَلْقُ أَوْ هُمْ هَلَّلُوا^(١)



(١) القصيدة للشاعر الدكتور عزام صفر.



حكاية برّ



• يقول أحد الأطباء: دخل عليّ في العيادة رجلٌ في الستينيات من عمره.. بصحبة ابنه وهو في الثلاثينيات.

لاحظتُ حرص الابن الزائد على أبيه.. يُمسك بيده.. ويُصلحُ له هندامه.. وأثناء سؤالي عن مشكلته الصحية وطلب الفحوصات.. لاحظتُ أن تصرفات الأب لم تكن موزونة.. فقال الابن: أبي مُعاقٌ عقلياً..

تَمَلِكُنِي الْفُضُولُ فَسَأَلْتُهُ: فَمَنْ يَرَعَاهُ إِذْنُ؟..

قال الشاب: أنا!..

قلت: بَارِكِ اللهُ فِيكَ.. وَلَكِنْ مَنْ يَهْتَمُّ بِنِظَافَةِ بَدَنِهِ وَمَلَابِسِهِ؟..

قال: أنا!..

قلت: وَلَمْ لَا تُحْضِرْ لَهُ خَادِمَةً تَرَعَاهُ بَدَلًا مِنْكَ؟..

قال: لِأَنَّ أَبِي مَسْكِينٌ كَطِفْلِ لَا يَشْتَكِي.. وَأَخَافُ أَنْ تُؤْذِيَهُ

الْخَادِمَةَ.. أَوْ تَقْصُرَ فِي خِدْمَتِهِ..

دُهشت من مقدار بَرّه لوالده فسألته: وهل أنت مُتزوج؟..
 قال: نعم ولديّ أطفال.. وزوجتي لا تُقَصِّر مع والدي أبداً..
 فهي تطهو طعامه وتُقدمه له.. ولكني أحرص على الأكل مع
 أبي.. لأطمئن عليه.. فهو مصاب أيضاً بارتفاع الضغط ومرض
 السكر..

زاد إعجابي بالشاب.. فحبستُ دمعي.. واختلستُ نظرةً إلى
 أظافر الأب.. فرأيتها مشدبةً نظيفة..

نظر الأب لولده وقال: متى تشتري لي «شيبس»؟..
 قال الابن: أبشر يا أبي.. سنذهب الآن إلى البقالة..
 فرح الأب كثيراً.. والتفت الابن إليّ.. وقال: إنني أفرحُ
 لفرحه.. كأنه ولدي الصغير!..

سألته: هل تذكر إن كان أبوك قد رعاك في مرض.. أو اهتَمَّ
 بك؟ أو فرِحَ لفرحك.. أو حزنَ لحزنك؟..

قال: يا دكتور أبي رجلٌ مسكين.. فمنذ أن كنتُ في العاشرة
 من عمري وأنا خادمه الأمين.. أخافُ عليه وأرعاه.
 كتبتُ الوصفة.. وشرحتُ له الدواء..

أمسك بيد أبيه.. وقال: هيّا يا أبي إلى البقالة!..

• وما إن خرجوا من العيادة حتى بكيت كثيراً.. وقلتُ لنفسي:
 هذا البر بأبٍ.. لم يكن قد بذل لولده ما يبذل الآباءُ في تربية
 أبنائهم!.. فقط لأنه أبوه.. وإن لم يرَبّه.. ولم يسهر عليه الليالي
 وهو صغير.. ولم يتألم لألمه أو يبك لبكائه.. ومع ذلك كله..
 يقدم كلُّ هذا البر لأبيه!..

فهل سنفعل بأمهاتنا وآبائنا الأصحاء.. مثلما فعل هذا الابن
 البارُّ بأبيه المعاق؟^(١)...



(١) د. سمير محمد أيوب: حكاية بَرّ. (بتصوُّف).



مع المساكين لقاء



• سألت امرأة البائع العجوز: بكم تبيع البيض؟..

فقال: بجنيه للبيضة الواحدة يا سيدتي..

فقالت: آخذُ ست بيضات بخمسة جنيهات.. أو أرحل؟..

فأجابها العجوز: تعالي خذيها كما أردتِ.. عسى الله أن يفرِّجَ

عنا.. وتكون استفتاحيةً خير. فأخذتها وهي تشعر بالنصر!..

ركبتُ سيارتها الفارهة.. وانطلقتُ لاصطحاب صديقتها إلى

أحد المطاعم..

جلستُ وصديقتها.. وطلبتُ ما طاب لهما من طعام..

وتناولتا قليلاً من الطعام.. وتركنا على الطاولة الكثير.. فهذا

ما تقتضيه قواعدُ (البرستيج)!!..

وبعدها أتى النادلُ بفاتورة الحساب.. وكانت قيمتها (٢٣٠)

جنيهاً.. فأعطته (٢٥٠) جنيهاً.. وقالت له: الباقي لك!!..

قد تبدو هذه القصة عادية لصاحب المطعم.. ولكنها مؤلمة جداً لبائع البيض!..

فلماذا يستقوي البعض منا على المساكين عندما يشترون منهم.. ويكونون كرماء مع مَنْ لا يحتاجون إلى الكرم؟!..
ولماذا الإسرافُ وتركُ الطعام لسلة المهملات.. بينما التقتيرُ على من يحتاجون للصدقات؟!..

• سئل أحد الصالحين: أي أنواع الموسيقى حرام؟..

فقال: صوتُ الملاعق في صحون الأغنياء.. عندما ترنُّ في آذان الفقراء!..

• وبعد أن بخل بعض الأغنياء على الفقراء بمالهم.. ألبسهم الله ثياب الفقراء بأغلى الأثمان!.. فترى البعض منهم يلبس الجينزات الممزقة.. أو الثياب المرقعة!..

• ولم تُغنِ الثروات الطائلة نفوس بعض الأثرياء.. لدرجة تسمح لهم بالاستمتاع بها.. فكلما امتلكوا مزيداً من الأموال.. كبر خوفهم من نفادها.. وزاد حرصهم على توفيرها.

- فبعض هؤلاء الأغنياء يجمعون بقايا قطع الصابون في بيوتهم.. لصنع قالب صابون منها.. ويسحبون آخر الزفرات من معجون الأسنان!..

- وهذه مليونيرة أمريكية نصحت حفيدتها بالألا تُهدر «مشابك الورق» في صفحات دفترها المدرسي.. حتى تعيد استخدامها فيما بعد..

فقال الحفيدة: جدتي.. هذه ثمنها فلس أو يزيد..

فردت عليها الجدة: هل تعرفين لأي مدى قد يأخذك فلس إذا ساءت الأمور؟..

- وملياردير آخر يذهب إلى ماكينة الصراف الآلي كل أسبوع.. يسحب منها مصروفه.. ويعيش أسبوعه كلها منفقاً من هذا القدر من المال.. ولا يفعل أي شيء يتخطى به الحد الذي وضعه لنفسه!..

- وهذا مريض بخيلٍ أعياه المرض على فراشه البالي.. حتى أضحى لا يقوى على متابعة منشآته العقارية واستثماراته المالية التي تخطت ملايين الدولارات.. حتى استسلم أخيراً للموت..

حرم نفسه وزوجته وأولاده التمتع بأمواله بالحلال ودون إسراف.. وعاش فقراً مدقعاً.. رغم ثروة هائلة تُقدَّر بالملايين!..



ما أدري من أيِّ أمريك أعجبُ؟

• أتت امرأةً إلى عمَرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه.. فقالت: يا أمير المؤمنين، إنَّ زوجي يصوم النَّهارَ.. ويقومُ اللَّيْلَ.. وأنا أكرهه أنْ أشكوهُ إليك وهو يقومُ بطاعةِ الله وعلى..

فقال لها: جزاك اللهُ خيراً من مُثنيَّةِ عليٍّ زوجها..

فجعلت تُكرِّرُ عليه القولَ وهو يُكرِّرُ عليها الجوابَ..

وكان كعبُ بنُ سُورِ الأزديُّ حاضراً.. فقال: اقضِ يا أمير المؤمنينَ بينَها وبينَ زوجها..

قال: «هل فيمَا ذكَّرتَ قضاءً؟!..»

فقال: إنَّها تشكو مُباعدةَ زوجها عن فراشه، وتطلبُ حقَّها في ذلك.

فقال له عمَرُ: أما إنَّ فهِمتَ ذلكَ فأقضِ بينهما..

فقال كعبُ: عليٌّ بزوجهَا. فأحضر..

فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتَكَ هَذِهِ تَشْكُوكِ..

فَقَالَ: هَلْ قَصَّرْتُ فِي شَيْءٍ مِنْ نَفَقَتِهَا؟ قَالَ: لَا..

فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ:

يَا أَيُّهَا الْقَاضِي الْحَكِيمُ رَشِدُهُ

أَلْهَى خَلِيلِي عَنْ فِرَاشِي مَسْجِدُهُ

نَهَارُهُ وَلَيْلُهُ مَا يَرْقُدُهُ

فَلَسْتُ فِي حُكْمِ النِّسَاءِ أَحْمَدُهُ

زَهْدُهُ فِي مَضْجَعِي تَعْبُدُهُ

فَأَفْضِ الْقَضَا يَا كَعْبُ لَا تُرَدِّدُهُ

قَالَ: فَقَالَ زَوْجُهَا:

زَهْدَنِي فِي فَرَشِهَا وَفِي الْحَجَلِ

أَنِّي امْرُؤٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلَ

فِي سُورَةِ النَّمْلِ وَفِي السَّنَعِ الطَّوْلِ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَخْوِيفُ جَلَلِ

فَقَالَ كَعْبُ:

إِنَّ لَهَا حَقًّا عَلَيْكَ يَا رَجُلُ

تُصِيبُهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقَلَ

قَضِيَّةٌ مِنْ رَبَّنَا عَجَبٌ
فَأَعْطَاهَا ذَاكَ وَدَعَّ عَنْكَ الْعِلْلُ

إِنَّ خَيْرَ الْقَاضِيَيْنِ مَنْ عَدَلَ
وَقَضَى بِالْحَقِّ جَهْرًا وَفَصَلَّ

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ لَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَرْبَعًا، فَلَكَ ثَلَاثَةٌ
أَيَّامٍ وَلَيَالِيهَا تَعْبُدُ فِيهَا رَبَّكَ، وَلَهَا يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ.

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ أَمْرِكَ أَعْجَبُ؟..

أَمِنْ فَهْمِكَ أَمْرَهُمَا، أَمْ مِنْ حُكْمِكَ بَيْنَهُمَا؟..

أَذْهَبَ فَقَدْ وَلَّيْتِكَ قِضَاءَ الْبَصْرَةِ^(١).

• يقولون:

يدوم جمال المرأة.. ما دام الرجل «يحبها»..

ويدوم حبُّ الرجل.. ما دامت المرأة «تحترمه»..

فالرجل ورقة.. كُتِبَ عليها «أرجو الاحترام»..

والمرأة ورقة.. كُتِبَ عليها «أرجو الاهتمام»..

(١) الأخبار الموفقيات، للزبير بن بكار.

فاحترمي الرجل .. يهتّم بك ..

واهتّم بالمرأة .. تحترمك ..





ماذا لو عاد بك الزمان؟



• قد يصل البعض إلى النضج مبكراً.. فلا تعود معظم الأشياء التي كانت تعنيه في الماضي.. تعنيه كثيراً الآن.. وقد نتخذ قرارات في أوقات.. ربما نندم عليها بعد مرور حقبة من الزمن!..

لكن.. هل يُجدي البكاء على لبن مسكوب؟!..

ندرك جيداً أنّ الزمن لن يعود إلى الوراء.. ولكن لو أنّ الزمن عاد بنا.. أظن أننا سنهرع حبواً.. لنمحو فشلنا وقراراتنا الخاطئة.. وكل ما يعكّر صفو حياتنا..

• سئلت كاتبة شهيرة قبل أن ترحل: ماذا لو عاد بك الزمان.. هل كنت ستعيشين حياتك بالطريقة نفسها؟.. وتختارين الاختيارات نفسها؟..

فأجابت بأنها غير نادمة على أي شيء فعلته.. لكن:

- لو عادت بي الحياة مرة أخرى.. فلن أقضي شهور الحمل في الشكوى من متاعبه.. سأنتبه إلى أنّ الحمل معجزة إلهية..

وسأستمتع بأني جزءٌ من هذه المعجزة!.. وأني سبب خروج روح
أخرى إلى العالم!.

- لن أغلق نوافذ سيارتي صيفاً.. خوفاً من أن يُفسد الهواء
تسريحة شعري..

- سأدعو أصدقائي إلى بيتي أكثر.. وأستمتع بصحبتهم رغم
الأريكة المتسخة.. والسجادة الباهتة الألوان..

- سأسمحُ لنفسي بالأكل في غرفة المعيشة.. ولن أكثرثَ بأنها
قد تتسخ!..

- سأستخدم تلك الهدايا الباهظة الثمن التي أُهديت لي..
وفسدت في التخزين..

- وسأمرح مع أولادي على الحشائش.. بلا اكتراث بالبقع
التي قد تلطخ ثيابي وثيابهم..

- سأقللُ من دموعي وضحكاتي أمام التلفاز أو في الجوال..
على حكايا لا تخصُّني.. وسأحيا واقعي أنا.. بدموعه وضحكاته..

- وإذا ارتمى ابني في أحضاني.. فلن أبعده عني.. ولن أقول
له: أنا الآن مشغولة!..

- سأعبّر أكثر عن مشاعري لمن أحبهم.. وسأعتذر أكثر لمن
أسأتُ إليهم..

لو أُعطيْتُ فرصة ثانية للحياة.. سأراها.. سأحياها.. سألمس كلَّ لحظة فيها^(١)..

• فالحياة هي فهم الأولويات.. والقدرة على التفرقة بين المهم والأهم.. فلا تنفقْ عمرَكَ هباءً! ولا تهتم بصغائر الأمور..

- لا تجعلني أكبر همكِ ألا يتسخ قميص ابنك إذا لعب..

- ولا أن يعتب الناس عليك إن كان فرش بيتك بسيطاً جميلاً..

- فليست الحياة بالمظاهر و(البرستيج)!..

- أعطي طفلكِ حقه في اللعب.. أعطيه مساحةً من الحرية دون تأنيب أو توبيخ إن اتسخ قليلاً هندامه.. أو تأثرت تسريحة شعره..

• عيشوا حياتكم ببساطة ودون تكلف..

فالحياة تستحق أن تُعاش.. كما أراد الله سبحانه لنا أن نعيشها..
أخذين بالأسباب.. راضين حامدين.. لله شاكرين..

وليكن رائدنا فيها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]..



(١) أ. أفرح الكالوف: لو عاد بنا الزمن! (بتصرف).



اثبت على مبادئك..



• لو كان الولاء للأرض.. ما ترك النبي ﷺ مكة..

ولو كان للقبيلة.. ما قاتل قريشاً..

ولو كان للعائلة.. ما تبرأ من عمه أبي لهب..

ولكنها العقيدة.. أغلى من التراب والنسب!..

• يُروى: أنه عندما اجتاحت غزاةً مدينةً من المدن.. عجزوا عن

اقتحامها.. فكتب القائد لأهل المدينة: إنَّ من سلَّم لنا سلاحه..

ووقف في صفنا فهو آمن.. ومن رفض التسليم.. فلا يلومن إلا

نفسه..

فانشق صفُّ أهل البلد إلى صَفَّين اثنين:

فمنهم رافضٌ له.. فقالوا: لو كان لديهم القدرة على غزونا لَمَا

طلبوا التفاوض معنا!..

فهي إحدى الحسينيين: إما نصرٌ من الله يُسرُّ به الموحدون..

وإما شهادةٌ تُغيظ بها العدو..

أما الصنف الثاني.. فجبُّنَ عن اللقاء وقال:

نريد حقن الدماء ولا طاقة لنا بقتالهم.. ألا ترون عددهم
وعدَّتْهم؟!..

فكتب القائدُ لمن وافق على الرضوخ والتسليم: أن أعيوننا
على قتال مَنْ رفض منكم ونولِّكم بعدهم أمرَ بلدكم..
فاغترَّ الناسُ بكلامه رغباً، ورهباً من بطشه.. فنزلوا لأمره..
ودارت رحي الحرب بين الطرفين..

طرفٌ دافعَ عن ثبات مبادئه حتى قضى نحبه.. وطرفٌ وضيعٌ
باع نفسه للعدوِّ.. فسيَّرهُ عبداً من عبيده..

في النهاية.. انتصر طرف التسليم والعمالة.. ولكن الصدمة
الكبرى أنَّ الغزاةَ سحبوا منهم السلاح.. وأمروا بذبحهم كالنعاج..
وقال قائدهم:

لو كان يُؤمَّنُ جانبُهُم.. لَمَا غَدروا بإخوانهم من أجلنا ونحن
الغرباء!..

• يُروى: أنَّ رجلاً دفنَ كلباً في مقابر المسلمين.. فشكاه الناس
إلى القاضي..

فاستدعاهُ القاضي.. وسأله عن حقيقة ما نُسب إليه..

فقال الرجل: نعم لقد أوصاني الكلبُ بذلك.. فنَفَذْتُ وصيَّته!..

فقال القاضي: ويحك أتستهزئ بنا؟..

فقال الرجلُ: وقد أوصاني الكلبُ أيضاً أن أُعطي (١٠٠٠) دينار للقاضي!..

فقال القاضي: رحمَ اللهُ الكلبَ الفقيدَ..

فتعجَّبَ الناسُ من القاضي.. وكيف تغيَّرَ رأيه في الحال..

فقال لهم القاضي: لا تعجبوا.. فقد تأملتُ في أمر هذا الكلب الصالح.. فوجدته من نسل كلب أصحاب الكهف!..

فبعضُ الناسِ تتغيَّرُ مبادئهم ومواقفهم في ثوانٍ معدودات.. ينطقون بالباطل ويدافعون عنه.. حسب ما تقتضيه المصالح..

كما أنَّ الفلوس تغيِّرُ النفوسَ.. ولا سيما أصحاب النفوس الفاسدة..





دروس.. بالمجان

• أقيمت ندوة في إحدى كليات الإدارة.. وجاء دور أحد الضيوف وهو رجل أعمال معروف ليلقي كلمته.. فقال: لم يكن لدي وقت كافٍ لكتابة كلمة منمقة أو تحضير محاضرة.. لكنني سأحاول في الدقائق الخمس القادمة أن أعطيكم خلاصة خبرتي لو ساعدتموني.. فمن يريد أن يساعدني فليرفع يده عالياً..

هنا رفع عدد قليل من الحضور أيديهم بشيء من التردد.. بينما امتنع الآخرون..

فأكمل رجل الأعمال كلامه: هذه هي (حالة التراخي) الناتجة عن الملل أو عدم الثقة.. احترسوا فالتراخي في العمل قد يضيع عليكم فرصاً كبيرة..

ثم أخرج من جيبه ورقة وقال: هذا شيك بألف دولار أخذته من إدارة الكلية مقابل تعليمكم شيئاً جديداً.. وسوف أمنحه لمن يرفع يده حتى يصل لأعلى نقطة ممكنة..

وعندما وضع توقعه على الشيك بدأ الجميع بالاهتمام ورفع أياديهم عالياً..

فأكمل الرجل: كان هذا هو (التحفيز).. فلن تستطيع القيام بأي عمل ما لم تحفز العاملين معك..

وفي الدقيقة التالية كان كل واحد من المشاركين يحاول أن يفوز بالشيك.. فينظر لمن حوله ويحاول أن يجعل يده أعلى منهم..

تدخل رجل الأعمال مرة أخرى قائلاً: هذه هي (المنافسة).. وقد تبدو صعبة وشرسة.. لكنها في النهاية تجعل الجميع في وضع أفضل.

قام أحد الشباب معترضاً: هذا ليس عدلاً.. أنا أقصرهم قامه.. وهذا يجعلني في موقف سيئ..

فردّ رجل الأعمال قائلاً: نعم.. لديهم ميزات تنافسية مؤقتة ومحدودة، ولكن لا تجعلها تحبطك.. استمر..

وبعد بضعة ثوان من المنافسة قام الشاب نفسه.. فوقف فوق المقعد ورفع يده فأصبح أعلى كثيراً من باقي المتنافسين..

شرح رجل الأعمال ما حدث قائلاً: هذا هو (التفكير خارج الصندوق) الذي يستطيع أن يجعلك في موقع الريادة... لكنك لن تستمر فيه إلا لحظات..

وفعلاً بدأ الجميع في تقليد الشاب بالوقوف فوق المقاعد ورفعوا أيديهم حتى تقاربت مستوياتهم.. ثم بدأ البعض في وضع أشياء فوق المقاعد ليصلوا لمستويات أعلى..

وهنا علّق المحاضر: هذا هو (التحسين المستمر) الذي سيضمن لك البقاء في المنافسة..

ولم تمض لحظات حتى اتفق ثلاثة من الشباب أن يتعاونوا بأن يحمل بعضهم بعضاً حتى يكون أول واحد منهم في أعلى نقطة.. ثم يتقاسموا الجائزة في حالة فوزهم.. وهكذا وصلوا لارتفاع غير مسبوق..

شرح الرجل ما حدث قائلاً: هذا هو (العمل الجماعي).. الذي يبدأ من فرق العمل الصغيرة داخل المؤسسة.. ويصل إلى الشراكات الكبيرة..

بالطبع.. تكونت فرق أخرى من باقي المشاركين.. ولم يبق أحد يعمل منفرداً.. فأصبحت القاعة عبارة عن مجموعة من الفرق المتنافسة.. وكل فريق يحاول أن يتبع أساليب مختلفة ليتفوق على غيره من المنافسين..

وعندما بدت كل الفرق في مستويات متقاربة جداً.. أسرع شاب من أحد الفرق ليعيد ترتيب زملائه.. فيضع الأكثر وزناً في

الأسفل.. والأقل في الأعلى.. ثم يشرح لهم وضعهم بين باقي الفرق.. ويبت فيهم الحماس لاقتراح أفكار جديدة.. حتى تمكن فريقه من تحقيق فارق كبير في مستوى الارتفاع..

فصاح رجل الأعمال: تلك هي (القيادة).. لن يصل أي عمل إلى مستوى عالمي بدون قائد بارع..

وهنا انتهت الدقائق الخمس.. فشكر رجل الأعمال الفريقَ الفائز.. ثم وضع الشيك في جيبه وهمَّ بالانصراف.. وعندما طلب منه الفائزون الشيك قال بهدوء: هذا هو الدرس الأخير.. (لا تصدق أبداً أنه بإمكانك أن تتعلم مجاناً)..





في أعماق النفس



- قد تتعثّر من حين إلى آخر بأحداثٍ جسّام!..
فهذا مُصابٌ.. لم تصبرِ عليه..
وذاك ذنبٌ.. تمرّد عن الخضوع والرحيل..
وتلك معاصٍ.. استولت على قلبك.. فأردّته عبداً لها.. ولو
إلى حين..
وتتردّد في نفسك أسئلةٌ ملحّة: لم فعلت هذا وذاك؟..
وتغضب على نفسك خوفاً من المآل.. إن لم تصبِكَ رحمةٌ
ذي الجلال..
ولكن.. ألم تشعر يوماً أنّ رحمت ربك تتنزّل عليك مدراراً..
فتغسل قلبك كما يُغسل الثوبُ الأبيض من الدرن؟!..
ألم تغضب يوماً فتتوضأ بماءٍ زلالٍ.. ذاكراً ربّك.. شاكراً
لأنعمه.. فتحلّ عليك السكينة.. وتنسى ما قد كان فيك؟!..
وهل ضاقت عليك الدنيا يوماً بما رحبت.. فسجدت لله

سجوداً طال فبكيتَ حتى ارتويت.. فخرجتَ من تلك السجدة
كيوم ولدتك أمك؟!..

• وللأسف فقد أتقن البعض منا جلد الذات لسنينَ طوال..
فالبعض يعتقد أنه كلما حطَّمَ النفس بعد ذنبٍ اقترفه.. كان ذلك
القصاص أنجع.. وكأنَّه يتشَفَّى من عدوِّ لدود!.. وبذلك تذب
الروح مع الوقت وتذوب^(١)..

غفلتُ تلك النفس أنَّ الله جلَّ في علاه هو غافر الذنب وقابل
التوب.. وأنَّ الله جلَّ وعلا يكفيه أن يسمع أيّن العبد التائب..
الذي يتقن أن له ربّاً يغفر الذنوب فيغفر له!..

وفاتَ تلك النفس التي أتقنت فنون جلد الذات.. قول
المصطفى ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لو لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ،
وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»^(٢).

فاستغفر الله بصدقٍ وخضوعٍ.. وعزمٍ على عدم الرجوع..

قال تعالى: ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ [ق: ٣٢]..

يقول مجاهد: «الْأَوَّابُ الْحَفِيظُ: الَّذِي يُذْنِبُ الذَّنْبَ سِرًّا.. ثُمَّ
يُتُوبُ مِنْهُ سِرًّا»...

(١) أ. سحر المصري: رحلة إلى أعماق النفس. (بتصرف).

(٢) رواه مسلم: ٢٧٤٩.

وقال سفيان: الأواب الحفيظ الذي لا يقوم من مجلسه حتى
يستغفر الله ﷻ ويتوب..

يقول الإمام الشافعي:
يا مَنْ عصيتك جاهلاً فسترْتني..
وتردُّ حين أُسيءُ.. بالإحسانِ
كم جئتُ بابك سائلاً فأجبتني..
من قبل حتى أن يقولَ لساني
واليوم جئتُك تائباً مستغفراً..
شيءٌ بقلبي للهدى ناداني
عيناى لو تبكى بقيةَ عُمرها..
لاحتجْتُ بعد العمر عمراً ثاني
إن لم أكنُ للعفو أهلاً خالقي..
فأنت أهلُ العفو والغفران





أنا الدكتورة فاطمة..



• في كلية الطب.. وفي بداية الفصل الأول من العام الدراسي دخلت الدكتورة المدرج قائلة لطلابها: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فأجاب جميع الطلبة بصوت واحد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

بدأت الدكتورة حديثها قائلة: كل عام وأنتم بخير وصحة وسلامة.. اليوم أول يوم دراسي في الفصل الدراسي.. وقبل أن أعرفكم بنفسي أحب أن أقول لكم: إنَّ أي طالب ظروفه صعبة أو لا يستطيع أن يشتري كتابي.. يمكنه أن يكتب لي ورقة بعد المحاضرة ويبعثها إلى مكتبي.. وأنا سأعفيه من شراء الكتاب بإذن الله.

قال أحد الطلاب: كيف هذا يا دكتورة؟ كل الدكاترة الذين جاؤونا قبلك قالوا: إنَّ من لا يشتري الكتب سيحمل المادة؟.

قالت الدكتورة مبتسمة: ليس لي علاقة بغيري.. أنا أتكلم عن كتابي فقط..

ردّ أحدهم ضاحكاً: بهذا يا دكتورة سيقول كل الطلبة: إنّ ظروفهم صعبة.. ولن تجدي أحداً يشتري الكتاب!.

فردت الدكتورة: لا مشكلة في ذلك.. وأنا سأسامحكم.. وسأحكي لكم قصة حلوة بما أنها أول محاضرة لي معكم..

منذ أكثر من عشرين سنة.. أي: قبل أن تولدوا.. كان هناك سائق حافلة اسمه «أحمد عبد التواب».. ولديه بنت تدرس في السنة الأولى في كلية الطب.. بسنكم بالضبط.. اسمها فاطمة.

وبعد أن أوصلها إلى الجامعة، سألها «عم أحمد»: في أية ساعة تريدان أن آتي إليك لأخذك يا ابنتي؟.

فاطمة: لا أعرف بعد ماذا لديّ من محاضرات ومتى سأخرج!.. عندما أخرج من الكلية سآتي إلى الموقف.. وانتظر إن لم أجدك.

ذهب «عم أحمد» بسيارته القديمة إلى موقف سيارات الأجرة ليأخذ دوره.

وتمر الساعات.. وتخرج فاطمة من الكلية.. فيأخذها والدها إلى البيت..

وفي الطريق أخبرته أنها تحتاج إلى (٥٠٠) جنيه في الغد.. لكي تشتري بعض الكتب.. وجهاز قياس الضغط.. ورداء مخبر أبيض..

سألها «عم أحمد» قائلاً: أهى ضرورية في الغد يا ابنتي؟

فاطمة: نعم يا أبي.. الدكاترة هم الذين طلبوا منا ذلك.

أخذ «عم أحمد» يفكر كيف سيدبر المبلغ.. لكنه قال: ربنا يبسر الحال يا ابنتي.. سأذهب بك إلى البيت.. وأنا سأسهر قليلاً في الشغل..

قالت فاطمة بخوف: ليس اليوم يا أبي.. الجو سيئ.. والطقس بارد.

«عم أحمد»: ربنا هو الحافظ يا ابنتي.

أوصل فاطمة إلى المنزل.. وذهب إلى الموقف مرة أخرى.. وكان موقف السيارات خالياً تماماً من السيارات والركاب كثر.. فحمّل «عم أحمد» الحافلة واتجه إلى البلدة الأخرى.. حيث وجد الموقف خالياً من السيارات أيضاً لسوء الأحوال الجوية.

ظل «عم أحمد» يحمّل الركاب في سيارته حتى الساعة الثانية صباحاً..

وعندما لم يجد ركاباً في الموقف اضطر أن يعود بسيارته فارغة.. بعد أن جمع لابنته فاطمة (٣٠٠) جنيه فقط من الفلوس التي طلبتها منه.

وفي الطريق أشار إليه رجلٌ يرتدي بدلة سوداء.. فتوقف «عم أحمد».. وقال الرجل: ممكن توصلني إلى بيتي وسأعطيك ما تريد.

ركب الرجل وقال: ليس معي فلوس.. فهل يمكن أن توصلني إلى بيتي وسأحاسبك هناك.. فقال: لا تهتم بالفلوس يا أستاذ..

قال الرجل: كنت في الطريق فقابلني «بلطجية» سرقوا سيارتي وفلوسي..

قال «عم أحمد»: المهم أنك بخير.. فالفلوس تذهب وتعود يا أستاذ.

وصل عم أحمد إلى بيت الرجل.. فقال له: انتظرنى يا سيدي حتى أغير ثيابي وأذهب معك إلى قسم الشرطة لعمل بلاغ بسرقة السيارة.

«عم أحمد»: حاضر أنا في انتظارك يا سيدي..

دخل الرجل.. وبعد أقل من دقيقة سمع صوت الرجل وهو يصرخ: الحقني يا عم الحقني! فهناك تسرب من أنبوب الغاز..

وزوجتي وأولادي غائبون عن الوعي.. انقلهم معي إلى السيارة بسرعة من فضلك.

أخذ «عم أحمد» الطفلين بسرعة إلى الحافلة.. وحمل الرجل زوجته إليها.. واتجهوا إلى المستشفى حيث تم إنقاذهم.

خرج الرجل يحمد الله كثيراً وقال للعم أحمد: أنا مدين لك بحياتي.. ثم أخرج بعض الفلوس للعم أحمد.. فرفض أخذ الفلوس قائلاً: منذ أن اشتريت هذه الحافلة منذ (٢٠) سنة.. اتفقت وزوجتي رحمها الله أن أجعل آخر حمولة لي لوجه الله.. حتى يحفظني من أولاد الحرام.. فالليل موحش وصعب على السائقين.. قال الرجل: بارك الله بك وبها.. ممكن تخبرني باسمك واعتبرني أخاك.. فقال «عم أحمد»: شرف لي يا سيدي.. اسمي أحمد عبد التواب.

فقال له: وهذه الصورة المعلقة صورة ابنتك؟.

قال «عم أحمد»: نعم يا سيدي.. فهذه «فاطمة» طالبة في السنة الأولى في كلية الطب في الجامعة.

ذهب «عم أحمد» إلى البيت.. وقصَّ على ابنته فاطمة ما حدث.. فقالت: أيعقل يا أبي أنك لم تجمع إلا (٣٠٠) جنيه.. وقد رزقك الله عملاً.. ولم تأخذ منه مالاً؟..

قال: اسمعي يا ابنتي.. إنَّ الذي أوصلك لكلية الطب وحفظك لي - من بعد الله تعالى - هي حمولةٌ آخر الليل أتركها لله مهما كانت.. والله سيعوضني أضعافه..

ذهبت فاطمةُ في اليوم التالي إلى كليتها.. وأثناء المحاضرة الأولى.. دخل أحد العمال واستأذن من الدكتور.. وقال: الطالبة فاطمة أحمد عبد التواب..

فقامت فاطمة وهي خائفة: أنا.. فقال لها: تفضلي معي.. عميد الكلية يريدك.

اتجهت فاطمة إلى غرفة العميد.. وهي مرتعدة الأوصال.. لماذا أرسل العميد في طلبها؟..

سألها العميد: أنت فاطمة أحمد عبد التواب.. فقالت له: نعم يا دكتور!..

قال: أبوك يعمل سائق حافلة.. أليس كذلك؟ فقالت: نعم هل جرى لأبي شيء؟..

فقال: لا.. لكن أولادي وزوجتي كان سيجري لهم أشياء.. لو لم أقابل أباك أمس..

فقال فاطمة بدهشة: هل حضرتك الرجل الذي ركب مع أبي أمس؟..

فابتسم العميد قائلاً: نعم أنا.. ونحن مدينون لأبيك طوال العمر..

وبعد أن شكرها كثيراً.. قال: هذه كتب السنة الدراسية.. وهذا معطف أبيض.. وهذا جهاز قياس الضغط.. خذي هذه الأشياء.. وإذا احتجت أي شيء.. فأنا مثل أبيك بالضبط.. هل فهمت عليّ؟..

خرجت فاطمة وحاولت أن تعتذر عن قبول ما قدّمه لها.. لكنه رفض وأصر بشدة.

وبعد أن قصّت الدكتورة لطلبها قصة بنت سائق الحافلة.. قالت لهم: بقي الآن أن نتعرف على بعض.. أعرفكم على نفسي أولاً.. أنا الدكتورة فاطمة أحمد عبد التواب.. بنت سائق الحافلة!..





المُنَسَاتِ الْغَالِيَاتِ

- يقول ﷺ: «لَا تَكْرَهُوا الْبَنَاتِ، فَإِنَّهُنَّ الْمُنَسَاتُ الْغَالِيَاتُ»^(١)..
- كان الإمام أحمد بن حنبل إذا بلغه أن أحد أصحابه رُزِقَ بنت قال: أخبروه أن الأنبياء آباء بنات..
- وقيل: «لا يزال الرَّجُلُ عَقِيمًا مِنَ الذَّرَارِيِّ.. حَتَّى يُوَهَّبَ الْبَنَاتِ.. وَإِنْ كَانَ لَهُ مِئَةٌ مِنَ الْأَبْنَاءِ».

يقول الشاعر:

إِنَّ الْبَنَاتِ ذَخَائِرٌ مِنْ رَحْمَةٍ..

وكنوزٌ حَبٌّ صَادِقٍ وَوَفَاءٍ

إِنَّ الْبَيْوتَ إِذَا الْبَنَاتُ نَزَلَتْهَا

مِثْلُ السَّمَاءِ.. تَزَيَّنَتْ بِنَجْمِهَا

هُنَّ الْحَيَاةُ، إِذَا الشُّرُورُ تَلَاطَمَتْ

وَإِلَى الْفُؤَادِ تَسَلَّلَتْ بِهَمُومِهَا

(١) السلسلة الصحيحة، للألباني: ٦٢٧/٧.

- دخل عمرو بن العاص رضي الله عنه على معاوية رضي الله عنه .. وعنده ابنته عائشة، فقال: من هذه يا معاوية؟.

فقال: هذه تفاحة القلب.. وريحانة العين.. وشمامة الأنف..

فقال: أمطها عنك.. قال: ولم؟!.

قال: لأنهن يلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الشحناء، ويثرن البغضاء..

قال معاوية: «لا تقل ذلك يا عمرو!.. فَوَاللَّهِ مَا مَرَّضَ الْمَرَضَى.. وَلَا نَدَبَ الْمَوْتَى.. وَلَا أَعَانَ عَلَى الزَّمَانِ.. وَلَا أَذْهَبَ غَبْشَ الْأَحْزَانِ مِثْلَهُنَّ»..

- وأجمل ما قيل في حبِّ الأب لابنته.. كلام نبينا محمد صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ابنته الزهراء البتول فاطمة رضي الله عنها.. حينما قال: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»^(١).

- يقول أحدهم: لو كان بين إخوة يوسف أخواتٌ بناتٌ لدافعنَ عنه!.. ووضعه في أعماق «القلب».. لا في أعماق «الجَبِّ».. لكنها حكمة الله...

ولو أن بين إخوة يوسف أختٌ واحدة لقصّت أثره.. كما فعلت أختُ موسى..

(١) رواه البخاري: ٣٧١٤.

فالأخوات والبنات لا يعرفن أبداً طريق «الجُب».. يعرفن فقط طريق «الحب»!..

• والمرأة أمّ.. تدخلك الجنة..

وزوجة.. تكمل نصف دينك..

وبنتٌ تحجبك عن النار..

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما ثمرة، ورفعتُ إلى فيها ثمرة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتها، فشقت التمرة التي كانت تُريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «إنَّ الله أوجب لها بهما الجنة، أو أعتقها بهما من النار»^(١) ويقول النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من عالَ جاريتينِ دخلتُ أنا وهَوَ الجنةَ كهاتين» وأشار بأصبعيه^(٢).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة في الأدب مع البنات القريبات منه والبعيدات في النسب عنه.. فقد كان يصلي أحياناً وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها^(٣).



(١) رواه مسلم: ٢٦٣٠.

(٢) صحيح الترمذي: ١٩١٤.

(٣) رواه البخاري ومسلم.



بيوتكم ليست لكم!



• لماذا نسب الله ﷻ البيتَ إلى المرأة رغم أنه مُلك الرجل؟..
فكثيرة هي الآيات التي يُذكر فيها كلمة «بيت» مقترنة بالمرأة..
تطيّب خاطر المرأة.. وتراعي مشاعرها.. وتمنحها قدراً عظيماً
من الاحترام والتقدير.

- قال تعالى: ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

فلم يقل الله ﷻ: وراودته امرأة العزيز.. أو وراودت امرأة
العزيز يوسف في بيته..

- وقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ

الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

- وقال تعالى: ﴿وَأذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ

وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

ما أعظمك يا الله!.

ما أعظمك يا الله!.. أليست هذه البيوت ملكاً للنبي ﷺ، فلم نُسبت لنسائه؟!.

- وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

حتى في أوقات الخلاف وحين يشتد النزاع.. وتصل الأمور إلى الطلاق الرجعي هو بيتها!..

• كأنما هي رسالة لكل رجل تقول: حتى وإن كنت تملك البيت مادياً.. فهي تملكه معنوياً.. هو حياتها ومملكته.. وأنت تخوض غمار الحياة خارجه.. ولك حياة خارج بيتك وحياة داخله.. بل ربما يكون لك أكثر من بيت.. حين تتزوج بأكثر من امرأة.. أما هي فليس لها سوى هذا البيت الذي تبذل فيه كل طاقتها لتحافظ عليه..

حتى وإن كان لها اهتمامات خارجية.. فهي مجرد أمور ثانوية.. أما بيتها فهو الأساس.. فلا بد وأن تشعر فيه بمكانتها.. بأنه بيتها قبل أن يكون بيتك أنت..

فلا تتعمد إلحاق الأذى النفسي بها في بيتها.. لأن البيت مصدر الأمان النفسي.. فكيف ينسبه الله إليها.. وتأتي أنت لتنزع مقومات الأمان والاستقرار منها في «بيتها»؟!..

احذر أن تهينها أو تطردها لتشعرها بالمهانة والاحتياج..
وتذكر أن البيت وإن كان ملكك مادياً.. فقد ملكها الله إياه
معنوياً..

والبيت نُسب إليها لتستشعر الأمان.. فتهدأ نفسها.. ولا تصارع
الرجال في ميادين العمل.. كي تصنع شيئاً للمستقبل.. يُشعرها
بالأمان إن غدر بها الزمان..

وتأكد أن المرأة لا تستطيع أن تعطي الحب والمودة
والسكينة.. وهي تتقلب في عواصف التهديد بالطرد.. عند كل
شاردة وواردة!..

فإن أردت التنعم بهذه المشاعر الفياضة.. تعلّم كيف تحتوي
زوجتك وقت الخلاف.. ولا تجعل العزة بالإثم تدفعك لإخراجها
أو تهديدها.. أو هجرها الهجر القبيح.

• وأنت أيتها المرأة! تمسكي ببيتك.. ليس تمسك عنادٍ
وطمع.. بل تمسك حبّ لمكان نسبته الله رَبِّكَ إليك^(١).

حافظي على زوجك.. وإياك أن تردي على مسامعه طلب
الطلاق على كل صغيرة وكبيرة.. فما من شيء أبغض إلى قلب

(١) أ. رضا الجنيدى، ود. عبد الكريم الخلف. (بتصوّف).

الرجل من طلب زوجته الطلاق.. وما من شيء أبغض إلى قلب المرأة من أن يهددها زوجها بالطلاق..

• تبقى آية واحدة لم يُنسب فيها البيت للمرأة، وهي:

﴿وَأَلَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَقَّهِنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

فعندما أتت بالفاحشة وبشهادة أربعة شهود عدول.. لا يُنسب البيت لها!

الآن يُسحب التكريم!.. فأبي جمال ودقة في آيات الله!..





«هارون أخي.. اشدد به أزي»..



• هذا جزء من آية كريمة في سورة طه على لسان سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩ - ٣٣]..

آيات كريمات على لسان نبي صادق.. فلم يكن موسى عليه السلام فصيح اللسان.. فطلب المعونة من الله تعالى عندما كلفه بدعوة قومه.. أن يكون أخوه هارون سنداً له في الدعوة.. ولم يسجل التاريخُ بَرَّ أخٍ بأخيه كما فعل موسى مع أخيه هارون.. عندما طلب له النبوة.

• فعلاقة الأخوة من أسمى العلاقات وأقواها.. وأقدرها على مواجهة المصاعب.. لأنها مبنية على رابطة الدم التي هي من أقوى الروابط...

والأخوة شجرة حبِّ يبذرها الوالدان.. يرعيانها في حياتهما.. ويغذيها الأبناء بالمحبة.. فالأخ هو أولى الناس بالصلة وعدم القطيعة.. والتسامح.. وحسن الظن..

• ترى البعض يتجاوز عن أخطاء صديقه أو جاره.. ولا يعفو عن أخيه للخطأ نفسه.. وينسى قوله ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»^(١).

فليكن قدوتنا يوسف ﷺ.. عفا عن إخوته بعد أن أضاعوا عمره بعيداً عن حنان والديه.. فقال لهم بكل لطف: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ...﴾ [يوسف: ٩٢].

وأرجع يوسف ﷺ ما وقع بينه وبين إخوته إلى الشيطان.. ولم يرجعه إلى صنيعهم.. قال تعالى: ﴿... مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي...﴾ [يوسف: ١٠٠].

• فالأخ هو أجمل ما يهديه الوالدان لأبنائهما.. ولا يثمن الهدية إلا من حُرْم منها..

والأخ يبقى السند للزمان وتقلباته.. وعضداً في صراعات الحياة..

ولله در القائل:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ

كسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغيرِ سِلَاحٍ

(١) رواه ابن حبان في صحيحه: ٤١٦٥، والترمذي: ٣٨٩٥.

فتغاضوا عن أخطاء إخوتكم.. شاركوهم همومهم.. وتواصلوا معهم»^(١)..

• ولعلنا لا ننسى الخنساء التي أبكت العربَ برثائها لأخيها صخر..

يُروى: إنّ الخنساء دخلت على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي تلبس صدرًا من شعر الحيوان يغطي عنقها إلى سرتها.. كان الجاهليون يلبسون هذا الصدر حداداً على الأموات.. فقالت لها أم المؤمنين عائشة: ما هذا يا خنساء؟! أما علمت أنّ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك؟! فأجابتها الخنساء: والله لم أعلم يا أم المؤمنين، ولكن لهذا الصدر قصة دعنتني إلى لبسه.. فقالت: حدثيني بهذه القصة..

قالت الخنساء: زوّجني أبي لسيد قومه.. وكان رجلاً مبذراً أسرف في ماله حتى أنفذه (أي: أضاعه).. فأتيتُ أخي صخرًا أستعيثه.. فقسّم ماله شطرين وأعطاني أحسن الشطرين.. ولكن زوجي عاد إلى إسرافه وتبذيره حتى أذهب المال.. فقسّم صخرٌ ماله مرةً ثانيةً وأعطاني أحسنه..

(١) د. فدوى سلامة أبو مريفة: هارون أخي.. اشدد به أزي. (بتصرّف).

فقال له زوجته مغتظة: أما ترضى أن تعطىها النصف حتى
تعطيها الخيار!..

فأجابها:

والله لا أَمْنَحُهَا شِرَارَهَا

حَصَانٌ قَدْ كَفَّنِي عَارَهَا

فَلَوْ هَلَكْتُ مَرَّقْتُ خِمَارَهَا

وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارَهَا

ومنذ ذلك الوقت آلت الخنساء ألا يفارق الصِّدَارُ جسدَها
ما بقيت.. وفاءً منها من ذكرى أخيها الذي قاسمها ماله مرتين!^(١).

• وعوداً على قصة موسى عليه السلام.. حيث قال تعالى في سورة
مريم: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [٥٣]،.. لتأمل كلمة (من
رحمتنا).. لندرك أن الأخوة رحمة من رحمت الله..



(١) الإصابة في تمييز الصحابة.



تفقدوا إخوانكم..

• تفقدوا صلاح بعضكم.. فهذا الزمان كفيلاً بتغيير أي قلب مهما كان ثبات صاحبه!..

رحم الله سلفنا الصالح كانوا يتفقدون إخوانهم.. فيسألون عن آخرتهم.. خوفاً عليهم من ضياع الإيمان.. ويسألون عن دنياهم.. خوفاً عليهم من الحاجة..

• تفقدوا إخوانكم.. فمن وجدتموه ما زال منهم على الجادة.. فثبتوه.. ومن وجدتموه يوشك على السقوط.. فاسندوه وأعينوه حتى تُوقفوه.. ومن وجدتموه قد توَحَّل من طين الأرض.. فطهروه وطيبوه..

قال عطاء بن أبي رباح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم»^(١)...

(١) إحياء علوم الدين، للغزالي.

• تفقدوا إخوانكم.. فما آخاك أخوك لتلاطفه وتؤاكلة..
وتمازحه عند النعماء!.. وإنما لتؤازره في أمر دينه ودنياه.. عند
الشدائد والأنواء..

• أشركوهم في كل أموركم.. فهم من أجمل عطايا ربكم..
ويكفيكم أنّ الجنة يطيب نعيمها بكم.. حين تدخلونها زمراً..
فإن كنتَ من أهل القرآن.. فأشركَ إخوتك في حفظ القرآن..
وإن كنتَ من أهل العلم.. فأشركَ إخوتك فيما علّمك الله
وعلمهم.. وإن كنتَ من أهل الغنى.. فأشركَ الفقراء فيما رزقك
الله.. لتعينهم على طاعته..

أشركَ زوجك وأولادك.. ووالديك وإخوتك.. وجيرانك
وأصدقاءك.. في كل أمر رزقك الله إياه..

فمن أحب أن يُساق معه إخوانه للجنة زمراً.. أشركهم في
أمره..

أشركهم في كل أمر ينفعهم.. وأرشدهم للصلاح.. فتكون لهم
معيناً ناصحاً..

تنفعهم وتنتفع بهم.. في حياتك وبعد مماتك.. فيتحقق بك
قول الله تعالى: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى﴾ [طه: ٣١]..

• فما أشد حاجتنا للمعين الناصح في حياتنا!.. وما أشد حاجتنا للعمل الصالح بعد رحيلنا!..

فالحياة والأولاد.. والأخوة الصالحة.. كلها تجارة رابحة إن استثمرت استثماراً صحيحاً.

فرابطة الدين أقوى من كل الروابط.. وأولى بالحفظ والرعاية!..

وأخوة الإسلام أقوى حتى من أخوة النسب..

أنسيتم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠].

إنها المحبة في الله.. ثمرة من ثمرات الإيمان.. تقوى بقوته.. وتضعف بضعفه.

وكلما كنا أكثر إيماناً.. كنا أكثر محبة لإخواننا.. ورحمةً بهم.. واهتماماً بشأنهم.. وحرصاً على نصرتهم ومواساتهم.. ومعايشة لآلامهم وآمالهم^(١).

كان الحسن البصري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «إخواننا أحبُّ إلينا من أهلينا.. لأنَّ أهلينا يذكروننا بالدنيا.. وإخواننا يذكروننا بالآخرة»..



(١) أ. جلاء جبروني: هل تفقدون من أحد؟ (بتصريف).



روح الحياة



• القرآنُ حياةُ الروح وروح الحياة..

لا يضيقُ من تدبّر آياته.. ولا يشقى من قام به..

ولا شيءٌ يبلُغُ العرشَ أحبُّ إلى الله من القرآنِ..

يُنَادِي على صاحبه في الجنة: ذاك ما عليه عَكُفْتُ!..

القرآن بحر ليس له ساحل ولا قاع...

صخوره لؤلؤ ومرجان.. ونسيمه أحلى من شذى الريحان..

• تتعب الروح وتُنْهَكها ضغوطات الحياة.. فتشعر بالضعف

ويعتريها شيئاً فشيئاً.. إلى أن يلامس مسمَعها آياتُ الذكر

الحكيم..

فتنكشف الغمة.. وتنجلي الأحزان..

فكيف لو عاشت هذه الروح كل أيامها بين آيات القرآن؟!..

فعلى قدر ارتباطك بالقرآن لن تضلّ.. ولن تزلّ..

فكُّهُ رحمة وشفاء.. ونور وبركات..

مَنْ عاش معه غيَّر اللهُ حياته.. وثبَّتَ جِناهُ..

وأتمت السكينة من كل باب..

فَمَا زاحم القرآن شيئاً إلا باركهُ.. وَلَا ضيقاً إلا وسَّعهُ..

وَلَا ظلمةً إلا أنارها.. وَلَا وحشةً إلا أنسها..

﴿ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]..

فما أننا حفظة القرآن.. هم أكثرُ الناس ملازمةً لمصاحفهم.. إما حفظاً وتكراراً.. أو ضبطاً وإتقاناً..

• وقمةُ الحُبِّ للقرآن.. هي أن تعمل بما قرأتَ اليوم.. وكأنَّ القرآن أنزل مُعلِّماً خاصاً لك.. يغيِّرُكَ للأفضل شيئاً فشيئاً.. في كلِّ ليلٍ ونهار..

نزل القرآنُ على أمة الإسلام.. فأصبحوا خير أمة أخرجت للناس.. فلا تترك القرآن مهجوراً.. فهو قائدك إلى خيرية الدنيا والآخرة.. فالرسول ﷺ يقول: «خيركم من تعلَّم القرآن وعلمه»^(١)..

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: تلاوة القرآن تعمل في أمراض الفؤاد ما يعملهُ العسل في علل الأجساد.

(١) صحيح البخاري: ٤٧٣٩.

- وأوصى الإمام إبراهيم المقدسي تلميذه عباس بن عبد الدايم: «أكثر من قراءة القرآن ولا تتركه.. فإنه يتيسر لك الذي تطلبه.. على قدر ما تقرأ»..

- قال عباس: «فرأيت ذلك وجربته كثيراً.. فكنت إذا قرأت كثيراً تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير.. وإذا لم أقرأ لم يتيسر»^(١)..

- يقول الشاعر مصطفى عكرمة:

كُتِبَ اللهُ لِلْأَرْوَاحِ رُوحٌ

بِهِ تَحْيَا النُّفُوسُ وَتَسْتَرِيحُ

يُرُوحُ بِهَا عَنِ الدُّنْيَا بَعِيداً

وَمَا أَسْمَاءُ حِينَ بِهَا يَرُوحُ!

وَإِنْ يَهْمِسُ بِآيٍ مِنْهُ تُغْرِي

أُحْسُ الْعِطْرَ مِنْ ثَغْرِي يَفُوحُ

وَلِلنَّصْرِ الْقَرِيبِ لَهُ فَتُوحُ

وَلَوْلَاهُ لَمَا كَانَتْ فَتُوحُ

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٨٧/٢.

به كُنَّا الْأَعَزُّ وَكَمْ أُقِيمَتْ
 لِأُمَّتِنَا بِمَنْهَجِهِ الصُّرُوحُ!
 هَجَرْنَاهُ فَأَمْسَى الْعَزُّ ذَلَالًا
 وَنَاحَ عَلَيْهِ مَنَّا مَنْ يَنْوَحُ
 وَهَذَا عُنْدَنَا إِلَيْهِ بِكُلِّ حَبِّ
 عَسَى تُشْفَى بِعَوْدَتِنَا الْجُرُوحُ
 أَعِدْ رَبِّي لِقَوْمِي مِنْهُ رُوحًا
 فَلَيْسَ سِوَاهُ لِلْأَرْوَاحِ رُوحُ





هنيئاً لك يا صاحب القرآن



• تحفظ وتُجاهد.. تتعثر ثم تنسى.. ثم تعيد الكُرّة!..
تُصيبك النَّوَابِ.. ثم تتذكَّر أن الثبات به.. فتُجاهد!..
تحفظ ثم تنسى.. وتعاود..

نعم عاودُ.. فأجرك محفوظٌ.. وتعبك مجبور..

والدُّنيا خواءٌ من غير كلام الله..

جاهد في حفظ القرآن.. ثم جاهد..

وحتماً ستصل.. ذلك وعد الله: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ

سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فلن تنالوا حفظ القرآن بقوة حفظكم.. ولا جودة فهمكم.. ولا

كثرة ملازمتكم للقرآن.. إنما تصيبون إتقان حفظه.. بصدق

إقبالكم عليه..

• لا تعجبك نفسك إن صحَّت التلاوة..

وحسن الأداء.. وهذب الله الصوت..

لا تنسَ الذي أعطاك آيات كتابه العزيز..
وَمَنْ عَلَيْكَ فَأَصْبَحْتَ تُسْقِي بِهِ الرُّوحَ إِنَّ ذَبَلْتَ.. وتزيح به
الحزن إن داهمك..

• تترك طعامك لتحفظ القرآن..

تُشفق عليك الأم.. ويرحمك الأب..

حتى تدخل عليهم بشهادة اجتياز ﴿هَآؤُمُ أَقْرَأُ وَكِتَابِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ١٩]..

• قد ينظر البعض لك نظرة دونية: «دائماً ممسكٌ
بالمصحف».. «الناس في وادٍ وهو في وادٍ».. ثم بعد أن تتم
حفظك.. يغبطك الناس أجمعون..

• اجعل لك هدفاً أن تختتم القرآن..

فإن أوقفتك مطباتٍ عدم إتقان التجويد.. وعدم رسوخ
الحفظ.. فجاهد وتعتق ولا عليك.. وابتسم للأجور المضاعفة..
واسع للتطوير..

«لا تحزن إن حفظت.. ثم ردك مشرف القرآن.. وأعدت
الاختبار مرة أو مرتين.. فلا تقلق.. فإنما أنت تذكر الله.. وأي ذكر
أحلى من القرآن؟..»

الحفظة لكتاب الله بين جهدٍ في تجويد الآيات..

وجهدٍ في ضبط حفظهم.. وحفظ أبيات الجزرية وغيرها..

نعم.. لا بد من صبر.. في رحلة حفظ القرآن..
تحتاج أن تضحّي يا من تريد أن تحفظ القرآن..
أتحسب حين تضحّي بأوقات راحتك.. والسمر مع
أصدقائك.. وساعات نومك.. في سبيل الجلوس مع القرآن.. أنك
تقوم بشيءٍ عاديٍّ؟.. كلا والله!.. فإن أنتَ أخلصتَ لله.. فمكانك
عند مولاك عظيمٌ..

• تذكر أنّ القرآن يسبقك إلى قبرك..

والجوال أول ما يُسحب منك عند موتك..

فكم قُضيتْ أوقاتٌ مع الاثنين!..

لَوْ أَنَّ عَيْنِي لَمْ تُعَانِقْ مِصْحَفِي

بِاللَّهِ قُلْ لِي أَيْنَ قَلْبِي يَرْتَعُ

يَا قَارِئَ الْقُرْآنِ أَلْفُ تَحِيَةٍ

نِعْمَ السَّبِيلُ وَنِعْمَ بَابُ تَقَرُّعِ

اسْلُكْ سَبِيلَ الْحِفْظِ وَاهْنَأْ كَلِّمَا

نَادَاكَ لِلجَنَّاتِ بَابٌ أَوْسَعُ

يَا قَارِئَ الْقُرْآنِ رَتِّلْ وَارْتَقِ

لَكَ فِي رَحَابِ اللَّهِ عَيْشٌ أَمْتَعُ





هنيئاً لك يا حاملة القرآن



• اشُدِّي على يدِ الصاحبةِ الصالحة..

اصبري في الله.. وامضي قدماً..

واجعلي أمامك خير الأمنيات..

أن تكوني من أهل الله وخاصته..

فإذا بلغتِ المنى.. وقطفتِ الجنى..

انتبهي.. أن تلتفتي بقلبك ولو للحظة.. لمدح مادح أو تقريظ

معلّمة..

ولأنَّ يراك الله مخلصاً.. خير لك من أن يراك مُكثرة!..

• فِرِّي بقلبك للحميد المجيد.. ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ ﴾

[يونس: ١٦]..

انكسري لله أكثر.. انتبهي واحذري أن يهتف بك هاتفُ الهوى

فتجيبه.. احذري.. فالتلاوة عبادة..

فلينظر كلُّ مَنْ يرجو..

انتبهي أن يقال لك «يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ»: إنّما قرأتَ ليقال: قارئة.. وقد قيل..

- حاذري أن تتكبري بالقرآن.. فترينَ أنكِ أفضل من غيرك..
- فاسألِي الله الثبات.. الثبات.. مهما كثرت حولك المشبطات..
- وأخلصي دوماً لرّبِّك..

فجهدك الذي تبذلينه في الحفظ والمراجعة.. لا تراه لجنة الاختبار..

فأهلُ اختبارات الدنيا يقيّمونك بالعدل.. على لحظات تقضيها في لجنة الاختبار فقط..

وحده الله مَنْ يقيّمك بكرمه وعدله.. ليس على لحظات الاختبار.. وإنما على كل شهيق وزفير.. بذلتيه في صحبة كتاب الله.. لأجل الله..

يُثيبك على كل حرفٍ.. وعلى كل جهد.. وعلى كل نوم قلّت منه.. وكل جلسة تركتها لأجل ترديد كلام الرحمن..

الله من فوق العرش يراك ويشهد..

الله الواسع الكريم الذي لا يُضيع لك نظرةً واحدة لحرفٍ
واحدٍ في كتابه..

الله الذي لا ينسى لك تكرارك للآية.. حتى تنقشيتها في
ذاكرتك..

الله الذي يراك تولّين وجهك شطره.. لا يحاسبك على خطأ
لا تتعمدين.. وإنما على صدق قلبك..

انتبهي.. رَقِّي.. فحَمِّي.. اهمسي.. مُدِّي..
ثم ينتهي الأمر بالكلمة الأشد ثقلًا.. إعادة!..
نعوذ بالله من الإحباط..

فقلبك محلُّ نظرِ الله.. فزيّنه بالصدق والرجاء.. والتوجه
لخالق الأرض والسماء..

راجعي مراجعة حبِّ الله.. لا مراجعة اختبار..
حتى إذا لقيت ربك.. قال لك: اقرئي وارتقي ورتلي..
فمنزلتك عند آخر آية تقرئينها..

وأعظم عبادة.. أن تفرحي بما آتاك الله من آياتٍ في صدرك..
﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلِيفْرِحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

[يونس: ٥٨]..

تقول الأستاذة أمل الشيخ:

لو أنّ عَيْنِي لا تُعَانِقُ مُصْحَفِي

بِاللّهِ قُولُوا كَيْفَ قَلْبِي يُبْصِرُ؟

النَّاسُ تَنْظُرُ بِالْعَيْونِ لِمَا تَرَى

إِلَّا أَنَا.. بَكْتَابِ رَبِّي أَنْظُرُ!





من جوار الكعبة.. أبعث لكم..



• كان الناس يشترون للحاجة.. واليوم يشترون للمباهاة والتصوير!..

لسانُ حال بعضهم: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤]..
فاحذروا أن تكونوا مثلهم..

• انظروا إلى قصص ساقى الكلب.. ومزيل الشوك.. فقد دخلا بها الجنة.. ولا نعرف عمَّن قام بها شيئاً آخر.. أخبر بها رسول الله ﷺ عن وحي إلهي.. وفي هذا درسٌ لأولئك الذين يملؤون وسائل التواصل الاجتماعي بالحديث عن أعمالهم الصالحات..

- يقول أحدهم: من جوار الكعبة المشرفة.. من بيت الله الحرام.. دعوتُ لأحبتى بكذا وكذا!..

- ويبعث آخر قبيل الفجر برسالة يقول فيها: في هذه الساعة المباركة.. ثم يصف فضلها وحاله.. ثم دعواته التي خص به أحداً من الناس!..

- ويبعث آخر بصورة له وهو منهمك في توزيع الماء على عمال النظافة في حر القيظ!.

- ورابع يضع صورته واقفاً في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي.. أو بين الحجر والمقام في بيت الله الحرام رافعاً كفيه مبتهلاً!..

- وخامس يأتي بصورة بئر الماء الذي تكفل بقيمة حفره.. كوقف خيري لوالده.. في أحد البلدان الفقيرة.. مصحوبة بعبارة «يا رب تقبل مني»!..

- وسادس يكتب لأعضاء المجموعة في هجيع الليل: «يا الله! ركعتان أديتهما قبل قليل.. تساويان عندي الدنيا وما فيها»!..

- وسابعة تصور مكان المصلّي الذي أعدته للصلاة وللقيام في رمضان.. وتبعته لمجموعة الأهل والزميلات^(١)..

وربما فعلوا ذلك جميعاً من أجل تشجيع الآخرين لفعل الخيرات!.. فالله وحده أعلم بالسرائر والنيات.. بالأعمال الخالصة لوجهه الكريم..

(١) الشيخ عبد الله بن علي الطريف: ساعة السعد. (بتصرف).

• فحذار من داءٍ خطير يجري في خفاءٍ شديدٍ في عبادة المتقين.. لا يعلم به إلا الله.. ألا وهو الرياء.. ذاك الذي تعاضم على نحو مخيف.. بوسائل التواصل الاجتماعي..
حذار أن يشوب علاقتنا بربنا شيءٌ من رياء.. فنعمل ليمتدحنا الناس!..

وقد صوّر رسولُ الله ﷺ صورةً تسلله إلى قلوب الناس ببراعة متناهية، فقال: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا هَذَا الشُّرْكَ، فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ..»!

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ - أَي: الرياء - وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ؟ قَالَ: «قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرَكَ لِمَا لَا نَعْلَمُهُ»^(١).

ولهذا حذّر منه الرسول ﷺ، فقال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشُّرْكَ الْأَضْعَرُّ» فقالوا: وَمَا الشُّرْكَ الْأَضْعَرُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاوِنَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً»^(٢)..



(١) صحيح الترغيب: ٣٦.

(٢) صحيح الجامع: ١٥٥٥.



حين تكون الزوجة معلّمة!..



• يقول أحد الاستشاريين في القضايا الأسرية: «كانت تحكي لي معاناتها من زوجها الذي يهرب منها.. ولا يصبر على حديثها.. وينفر من الجلوس معها.. حتى إنه يترك لها حرية الخروج من البيت متى شاءت.. بل إنها تشعر أنه يكون سعيداً حين تتركه وحده.. بينما تظهر أمارات القلق عليه حين تعود إلى بيتها!..

سألْتُها: ذكرتِ أنه لا يصبر على حديثك.. فهل يكثر في حديثك نقده وتصحيح أخطائه؟..

قالت: أنا أنصحه وأوجّهه.. وأعظه وأرشده.. وهذا كله لمصلحته!..

قلت: أنت تُسمّينه نُصحاً وتوجيهاً.. ووعظاً وإرشاداً..

وهو يراه نقداً ولوماً.. وتعليماً وتصحيحاً!..

قالت: أنا أريد له الخير!..

قلت: النية وحدها لا تكفي لجعل زوجك يتقبل أن تكوني له

مُعَلِّمة.. ويكون بين يديك تلميذاً مُتعلّماً!..

قالت: لماذا تراه بهذه الصورة: معلمة وتلميذ؟! نحن زوجان متعاونان.. وينبغي أن يتقبَّل كُلُّ مَنَّا نُصَحَ الآخر!..

قلت: هل تقبلين منه أن ينصحك ويوجهك؟..

قالت: لا أحسب أنني أحتاج إلى توجيه ونصح.. فأنا أقوم بواجباتي كاملة.. ولا أقصِّر في شيء أبداً!..

قلت: هكذا تعتقدين!..

قالت وقد انفعلت: هل ترى اعتقادي خاطئاً؟!..

قلتُ محاولاً تخفيف انفعالها: أقدر كل ما تقومين به.. ولا أقلل ممَّا تبذلينه من جُهد وعمل.. لتكون أسرتك مثالية.

قالت: إذن فأنا لا أحتاج إلى نصحه وتوجيهه! بمَ ينصحني وأنا لا أقصِّر في شيء؟!..

قلتُ: لعلَّ أول ما ينصحك به.. بل ويرجوك من أجله.. أن تُخفِّفي من نُصحك له.. وأن تُقدِّري ما يقوم به.. وألا تخاطبيه وكأنه طفل من أطفالك.. يحتاج توجيهاً وإرشاداً..

صمتت ولم تُعلِّق على كلامي.. قرأتُ في وجهها إدراكها خطأ أسلوبها في مُعاملة زوجها.. وبعد لحظات صمت قصير قالت: كان هذا غائباً عني.. صدَّقني أنني لم أفطن إليه.. لكنني الآن أوافقك عليه.. هذا ما يجعله يهرب مني ولا يرتاح إلى كلامي..

قلت: بارك الله فيك.. وإدراكك ذلك سيعينك به الله على جعل زوجك أقرب إليك..

غَيَّرِي أسلوب خطابك من تعليمي إلى تشاؤري.. فبدلاً من أن تقولي له: افعل كذا.. أو ينبغي أن تكون هكذا.. قولي: ما رأيك لو جربت أن تفعل كذا؟.. ألا توافقني لو كنت هكذا لكان الناس أقرب إليك..

قالت: كم جميلٌ هذا.. نعم.. مثل هذا الأسلوب سيجعله مُتَقَبِّلاً نصحي..

قلت: اذكري لي عادة من عادات زوجك السيئة التي عملت على جعله يتركها.

قالت: تدخينه.. إنه يُدخِّن بشراهة.

قلت: كيف كنتِ تفعلين لجعله يقلع عنه؟..

قالت: كنتُ أنكر رائحة فمه الكريهة بسبب التدخين.. وأُعبِّر عن نفوري منها ومنه.. وأقول له: أنت قذوةٌ سيئةٌ لأطفالك الذين يقتدون بك ويرونك مثلاً لهم!..

وأحياناً أقول له: خنقتنا بدخان سجائرِكَ!.. وأخوِّفه بالموت.. فأذكِّره بأن أعمار المُدخِّنين قصيرة!..

ابتسمتُ وقلتُ: وهل نجحتِ في جعله يترك التدخين؟..

قالت: لا.. بل زاد إصراراً عليه وعناداً لي!..

قلت: عدم استجابته أمرٌ متوقع.. لأن أمثال هذه العبارات.. لا تصلح لصرف الرجل عن هذه العادة السيئة.

قالت: ماذا كان يجب عليّ أن أفعل؟ ماذا كان عليّ أن أقول؟!..

قلت: كان عليك أن تقولي له عبارات زاخرة بالحب له.. والشفقة عليه.. والحرص على صحته.. قولي له: لو تعلم كم أحبك.. وأحب أن نعيش معاً لنكمل رسالتنا في تربية أبنائنا.. وتعليمهم ثم تزويجهم.. لنفرح أنا وأنت بهم.. وبأحفادنا منهم.. لكن تدخينك الذي يُدمّر صحتك ويهدّد حياتك.. يجعلني أخاف عليك.. وكيف لا أخاف عليك وأنا أرى أمراض السرطان تفتك بملايين المدخنين.. أرجوك.. اسمح لي أن أعينك على تركه لتسترجع صحتك.. وتبقى معنا.. ونُكمل مشوار حياتنا إلى آخر العمر.

قالت: كان عليّ أن ألتقيك قبل زمن طويل.. لأتعلم منك هذا الذي لم تُعلّمني إياه أمي.. ولم يُعلّمني إياه أبي.. ولم أتعلّمه في مدرسة ولا جامعة»^(١)..



(١) أ. محمد رشيد العويد: حين تكون الزوجة معلّمةً والزوج تلميذاً. (بتصرّف).



خذوا بأيديهم إلى الله..

• ما إن انتهيتُ من إلقاء محاضرة بعنوان: «كيف تربي أبناءك في هذا الزمان؟» حتى انهال عليَّ رجل مهيبٌ في السبعينيات.. أخذ يحاول تقبيل يدي وهو يبكي ويقول: ليتني سمعتُ هذا قبل خمسين عاماً.. ليتني قرأتُ مثل هذا الكتاب.. فقد ضيَّعتُ أبنائي في ذلك الحين!.. نعم.. ضيَّعتُ أبنائي كلهم.. أريد أن يقرأ هذا الكتاب كلُّ مَنْ حولي كي لا يقعوا في الخطأ الذي وقعتُ فيه..

قلتُ: لا تثريب عليك.. الله يغفر لك.. ولا تئس من الدعاء لهم.. لعلهم يرشدون..

- روي عن معروف الكرخي: أنه كان يدعو لابنه عليَّ قائلاً: «اللهم إني اجتهدتُ أن أؤدبَ علياً.. فلم أقدرُ على تأديبه.. فأدِّبْهُ أنتَ لي».. واستجاب الله له حتى أصبح ابنه عبداً ورِعاً تقيّاً.

- فكلما وجدتُ أبناءك يفرحون ويلعبون.. ادعُ لهم - وبصوتٍ يسمعونه جيداً - بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك أن تُفرحهم في الجنة.. كما فرَّحتهم في الدنيا»..

وافعلُ الشيء ذاته مع أبناء المسلمين كافةً في الشارع.. تجدها
في ذريتك..

- يقول أحدهم:

كانت أُمِّي تدعو لي حين تأمرني بالصلاة وتقول:

قم للصلاة.. ربي يكرمك..

قم للصلاة.. ربي لا يحرملك حلاوتها..

قم للصلاة.. ربنا يوفقك..

فأحببتُ الصلاة.. وكنت أنتظر الصلوات لأسمع دعوات أُمِّي..

كانت أُمِّي تدعو لي بعد كل صلاة بصوت مسموع:

«اللهم اجعل ابني من أهل الصلاة.. المستمتعين بها..

اللهم اجعل قرّة عين ابني في الصلاة»..

فكبرتُ وهي ما زالت تدعو لي..

وجدتُ نفسي أحبُّ الصلاة..

وأشعر أن أجمل لحظات حياتي.. هي تلك التي أقفها بين

يدي ربي..

• اذهبوا بأولادكم إلى المساجد.. حتى إذا تاهوا.. وغلبتهم الدنيا أو بعض الفتن.. أخذتهم الفطرة إلى هناك..

فإذا أردت أن يكون ابنك «رجلاً..» فأدخله بيت الرجال..

فالله تعالى يقول: ﴿ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ

يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: ٣٦]..

• تذكر في كل يوم هذا الدعاء:

اللهم إني أدعوك أن تمنن عليّ بصلاح أحوال ذريتي..

ربّ لي صغيرهم.. واشف لي مريضهم..

واجعلهم غير عاصين ولا خطائين..

اللهم أعني على تربيتهم وبرّهم..

واحفظهم من بين أيديهم ومن خلفهم..

اللهم إني استودعتك ذريتي.. يا من لا تضيع عنده الودائع..

واجعلهم من سعداء الدارين..





سبقِ درهمٍ مئة ألف درهم



• يقول عليه السلام: «سبقِ درهمٌ مئة ألفِ درهمٍ» قالوا: وكيف؟ قال: «كانَ لرجلٍ درهمانِ تصدَّقَ بأحدهِما، وانطلقَ رجلٌ إلى عُرْضِ مالِهِ، فأخذَ منه مئةَ ألفِ درهمٍ فتصدَّقَ بِهَا»^(١).

يقول: «كانَ لِرَجُلٍ دِرْهَمَانِ تَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا»، أي: إنَّه رجُلٌ فقيرٌ لا يَمْلِكُ إِلَّا دِرْهَمَيْنِ، فَأَنْفَقَ وَتَصَدَّقَ بِأَحَدِهِمَا وَهُوَ فقيرٌ محتاجٌ.. فيكونُ قد أَنْفَقَ نِصْفَ مالِهِ، مع احتياجهِ إلى ما أَنْفَقَهُ..

«وانطلقَ رجلٌ إلى عُرْضِ مالِهِ، فأخذَ مِنْهُ مِئَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَتَصَدَّقَ بِهَا» أي: إنَّه رجُلٌ غنيٌّ، فَأَنْفَقَ مِنْ بعضِ مالِهِ مِئَةَ أَلْفِ فقط، وبقيَ أكثرُ مالِهِ كما هو!..

• وفي عصرنا الحديث.. سُئِلَ أحدُ كبار الأثرياء ذات مرة: أهنأك من هو أغنى منك؟..

قال: نعم، شخص واحد فقط. فسألوه: من هو؟..

(١) صحيح النسائي: ٢٥٢٦.

قال: بعد تخرجي من الجامعة.. كنتُ في مطار نيويورك..
أنتظر صعود الطائرة.. وعيوني تتابع عناوين الصحف في واجهة
كشك في صالة الانتظار..

أردت شراء جريدة.. لم أجد قطعة نقدية صغيرة تساوي ثمن
الجريدة..

أردتُ الانصراف.. انتبه بائع الجرائد لرغبتني في اقتناء الجريدة
وحيرتني.. وكان صبيّاً أسود.. تقدم مني مبتسماً وقال: تفضل
يا سيدي.. هذه الجريدة لك!..

قلت: ليس لدي قيمتها من الفئات المالية الصغيرة! قال:
خذاها فأنا أهديها لك..

بعد ثلاثة أشهر من هذه الحادثة.. صادف أن رحلتي كانت من
المطار نفسه.. ووقعت عيناى على جريدة.. أدخلت يدي في
جيبى فلم أجد أيضاً نقوداً من فئة العملات الصغيرة.. وإذا
بالصبي نفسه يقول لي: خذاها.. فقلت له: يا بنيّ قبل فترة حصل
الموقف نفسه وأهديتني جريدة.. هل تتعامل هكذا مع كل شخص
يصادفك في هذا الموقف؟..

فقال: أجل.. فأنا عندما أعطي.. أعطي من كل قلبي.. وهذا
ما يجعلني أشعر بالسعادة والارتياح..

هذه الجملة.. ونظرات ذاك الصبي.. بقيت عالقة في ذهني
تدبرها..

وبعد تسعة عشر عاماً.. وعندما وصلت إلى أوج قدرتي
المالية.. قررت أن أجد ذلك الشخص.. لأردّ له الجميل..
وبعد البحث المضني وجدته.. وقد أصبح شاباً يعمل حارس
صالة في مسرح..

دعوته.. وعندما قابلته سألته: هل تعرفني؟..
قال: نعم، فمن لا يعرفك في هذا العالم يا سيدي؟!..
قلت له: قبل سنوات وأنت صبي صغير.. أهديتني جريدة
مجانياً.. لمّ فعلت ذلك؟..
قال: العطاء من حرّ المالِ مصدرُ فرحٍ ورضا يا سيدي.. لأنه
نابعٌ من الداخل..

قلت: وأنا الآن.. أريد أن أزدّ لك جميلك..
قال الشاب الأسود: لا يمكنك أن تُعوّضني!..
سألته متعجباً: لمّ لا أستطيع.. وأنت تعرف حجم ثروتي؟..
قال: الفرق بيننا يا سيدي.. أنني أعطيتك بسخاءٍ في أوج
فقري..

أما أنت.. فتريد أن تعوضني وأنت في أوج غناك.. يكفيني
لطفك السخي الذي تغمرنني به الآن..

قلت للشاب: لا يوجد يا سيدي مَنْ هو أغنى مني سواك..
أشكرك..

ويقول: كلماته هذه جعلتني أشعر أنه أغنى مني.. لأن أفضل
أنواع العطاء هو العطاء الذي تعطيه وأنت محتاج.. وهذا هو
ما فعله الصبي معي..





سرّ رباني

• الرضا سرّ رباني يقذفه الله في قلوب من يشاء من عباده..
فتزهر على جوارحه سكينته من الملاء الأعلى.. وتلوح في ملامحه
نصرة من نعيم الجنة!.

أولئك المتصالحون تماماً مع كل شيء.. في أنفسهم.. وفيما
حولهم..

فيما أعطوا وفيما منعوا.. فيما يملكون وفيما يأملون.. سمّتهم
الطمأنينة في كل حال.. وكثيراً ما يمر بك أصحاب ابتلاءات..
وتسائل نفسك: كيف استمرت حياتهم معها؟!..

حتى تجد الواحد منهم وقد ابتلاه الله بما كنت تحسبه
لا يطيقه.. وينبت الله له من صخور الألم واحات خضراء من
السكينة والطمأنينة..

فيسعدُ بها.. ويرضى عنها.. حتى لتحسبه أغنى أهل الأرض
وأهنأهم حالاً!..

فسلوا الله مع العافية الرضا.. فما أطفه - سبحانه - في كل ما قدّر..

- قيل ليحيى بن مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: متى يبلغ العبد مقام الرضا؟
قال: إذا أقام نفسه على أربعة أصول فيما يعامل به ربّه، فيقول:
إن أعطيتني قَبَلْتُ.. وإن منعتني رضيت..
وإن تركتني عبدت.. وإن دعوتني أجبت..
• فأقدارنا كُتبت.. وآجالنا حُددت.. ورزقنا محسوبٌ..
فلنمضِ في رحلة العمر.. نتفاءل ولا نبيس..
فالسعادة لا تعني ألا نبكي.. أو ألا نحزن!..
بل أن نرضى بكل أقدارنا.. وأن نملك القدرة على التعايش معها..
شاكرين راضين.. حامدين مبتسمين..
العَبْدُ ذُو ضَجَرٍ وَالرَّبُّ ذُو قَدَرٍ
وَالدَّهْرُ ذُو دَوْلٍ وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ
وَالخَيْرُ أَجْمَعُ فِيمَا اخْتَارَ خَالِقُنَا
وفي اختيارِ سِوَاهُ اللُّومُ وَالشُّومُ
- وقال بعض السلف: لو قُرض لحمي بالمقاريض.. كان أحب إليّ من أن أقول لشيء قضاه الله: ليته لم يقضه..

• كان عمران بن الحصين قد استسقى بطنه.. فبقي ملقى على ظهره ثلاثين سنة.. لا يقوم ولا يقعد.. قد نُقِبَ له في سريرٍ من جريدٍ كان عليه.. موضعٌ لقضاء حاجته!.. فدخل عليه مطرف وأخوه العلاء.. فجعل يبكي لِمَا يراه من حاله!..

فقال: لِمَ تبكي؟..

قال: لأنني أراك على هذه الحالة العظيمة..

قال: لا تبك.. فإنَّ أحبَّه إلى الله تعالى أحبه إليَّ..

ثم قال: أحدثك حديثاً لعل الله أن ينفع به.. واكتم عليَّ حتى أموت.. إن الملائكة تزورني فأنسُ بها.. وتسلَّم عليَّ فأسمع تسليمها.. فأعلمُ بذلك أن هذا البلاء ليس بعقوبة.. إذ هو سببُ هذه النعمة الجسيمة.. فمن يشاهد هذا في بلائه.. كيف لا يكون راضياً به؟^(١)..



(١) إحياء علوم الدين: ٣٤٩/٤.



شُكر الله

• نظر غنيٍّ من نافذته.. فرأى فقيراً يتناول شيئاً ما من المزبلة،
فقال: الحمد لله أني لست فقيراً..

ونظر الفقيرُ حوله.. فشاهد رجلاً عارياً يسيء التصرف في
الشارع، فقال: الحمد لله على نعمة العقل..

ونظر المجنونُ أمامه.. فإذا بسيارة إسعاف تحمل مريضاً،
فقال: الحمد لله أني لست مريضاً..

ورأى المريضُ في المستشفى عربةً تنقل جثة إلى الثلاجة،
فقال: الحمد لله أني حيٌّ أرزق..

فقط الميئُ وحده.. مَنْ لا يستطيع أن يشكر الله!..

• ولئن كانت التقوى هي الغاية من العبادات: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[البقرة: ١٨٣].. فإن الشكر هو غاية التقوى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[آل عمران: ١٢٣]..

فالشكر هو التحدي الأعظم بين الشيطان ورب العباد.. ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

فلم يقل إبليسُ: (ساجدين) ولا (خاشعين) .. بل قال (شاكرين)!!..

وهو عبادة الصفوة من الخلق: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبأ: ١٣]..

وبها امتدح الله الأنبياء: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]..

وقال ﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً»..

• واسجدوا لله شكراً.. إذ يُستحب لمن أعطاه الله نعمةً جديدةً.. أو صرفَ عنه نعمةً: أن يسجدَ لله شكراً..

- فقد سجد رسول الله ﷺ عندما بشره جبريل فقال: «إِنَّ اللَّهَ وَجَّعَ لِقَوْلِكَ مِنْ صَالِي عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ وَجَّعَكَ شُكْرًا»^(١).

- وسجد أبو بكر رضي الله عنه.. حين جاءه خبرُ قتلِ مسيلمة الكذاب..

- وسجد عمر رضي الله عنه.. عندما جاءه خبر أحد الفتوح..

(١) رواه أحمد بإسناد صحيح.

- وسجد كعب بن مالك.. لما بُشِّرَ بتوبة الله عليه.. ﴿فَأَسْجُدُوا لِلَّهِ

وَأَعْبُدُوا﴾ [النجم: ٦٢]..

• كان السلف يُسَمُّونَ الشُّكْرَ: الحَافِظَ الجَالِبَ... لأنَّه يحفِظُ

النَّعمَ المَوجُودَةَ..

ويجلبُ النَّعمَ المَفقُودَةَ.. فاللهُ تَعَالَى يَقولُ: ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا

يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ [لقمان: ١٢]^(١)..

• يقول الدكتور سامر سقا أميني: البارحة بكى في عيادتي

اثنان.. فبينما كنت أشرح لمريض سبب مرضه بالدوار.. وذلك

لأن إحدى الرمال المسؤولة عن التوازن في أذنه الداخلية قد

خرجت من مكانها.. فرسمتُ له الرسمة.. وشرحتُ له الوظيفة..

فإذا به يبكي متأثراً من إعجاز خلق الأذن الداخلية بتفصيلاتها

المذهلة.. وأخذ يردد: سبحان الله.. سبحان الله..

وسرعان ما تأثرتُ بهذا الموقف.. لأنه ذكّرني بإعجازِ كنتُ قد

غفلتُ عنه من الإلفة والتكرار اليومي في شرحه.. فرالت الغشاوة

عن قلبي وخشعت لدقائق معه..

ثم دخلت سيدة ثمانية كانت تشكو من الدوار وشفيت.. وعندما

سألتها عن حالها.. دمعت عيناها وقالت: الحمد لله لقد شفيت..

(١) عدة الصابرين: ١٢٠/١.

سررتُ بشفائها.. كما سررت بحمدها لله.. وقرأتُ الجملة
التي وضعتها ضمن إطار على جدار جانبية: «داويته فشفاه
الله»^(١).



(١) د. سامر سقا أميني: البارحة بكى في عيادتي اثنان.



عامل الناس كما تحبُّ أن...



- البعض منا يعامل الناس بالحُسنى.. ليردُّوا له المعاملة..
والبعض الآخر يعامل الناس بالحُسنى.. لمناصبهم وأنسابهم..
وبعضهم يعامل الناس بالحُسنى.. ليشعر بالارتياح..
وهناك من لا يعامل إلا بجفاء!.. عذرُهُ: أن ليس هناك من
يستحق طيب المعاملة..
- وفي الغرب يقولون: عاملِ الناس (كما يعاملوك).. وإن
ارتقيت أكثر.. فعاملهم (كما تحبُّ أن يعاملوك)..
- وفي ديننا الحنيف.. مستوَى أرقى وهو: عاملُ الناس (كما
يأمرك اللهُ).. فتنال أيضاً أجرَ طاعته..
- وإذا أردت الصعودَ إلى أعلى الدرجات.. فعاملِ الناس (كما
تحبُّ أن يعاملك اللهُ)..

أما «عامل الناس كما يعاملوك» فهي مقولة خاطئة..

يقول عباس محمود العقاد:

«فالناس فيهم الكاذب والغشاش.. والخائن والمخادع.. فلو أنك
عاملت كل إنسان بما فيه من صفته.. لاجتمع فيك ما تفرّق فيهم..
فتصبح أحظّ الناس.. لذلك عامل الناس كما تحب أن يعاملوك»..
والأولى - كما ذكرنا -: «عامل الناس كما تحب أن يعاملك
الله»..

• ومن الناس مَنْ لا يعرف الأخلاق الإسلامية أبداً..

سواد قلوبهم تغلفه ابتسامةٍ مجاملةٍ ظاهرة!..

ويردّون الإحسان نُكراناً وجحوداً..

أليس الأولى أن تعاملهم كما تريد أن يعاملك الله..

أغرقهم تسامحاً.. يسامحك الله..

وأغرقهم رحمةً.. يرحمك الله..

وأغرقهم بالبذل والعطاء.. يرزقك الله..

• يقول ﷺ: «لا تكونوا إمعةً.. تقولون: إن أحسن الناس

أحسننا.. وإن ظلموا ظلمنا.. ولكن وُطِنوا أنفسكم.. إن أحسن

الناس أن تُحسنوا.. وإن أسأوا فلا تظلموا»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: ٢٠٠٧، وقال: هذا حديث حسن غريب.

والإمعة: هو الإنسان الذي ليس له مبدأ وليس له رأي.. مع كل الناس.. ومع كل الاتجاهات.. ومصالحته فوق كل شيء.. يجامل الناس جميعاً.. ولا ينطوي على مبدأ ولا على قيمة.. يتلون كالحرباء.. وإن جلس مع أهل الإيمان قال: آمنت معكم..

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة: ١٤].

وتالله ما أروع ابن مسعود حين قال: لا يكون أحدكم إمعة.. قالوا: وما الإمعة يا أبا عبد الرحمن؟ قال: يقول: إنما أنا مع الناس إن اهدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على إن كفر الناس ألا يكفر.





لا تعجب بنفسك!

• كن أنت الشخص الذي عندما يراه الآخرون يقولون: «الحمد لله.. ما زالت الدنيا بخير»!.

• إياك أن تحتقر أحداً.. كائناً من كان.. فلربما اكتسبت منه حكمةً.. لم تدركها طيلة حياتك!..

- يقول أحد العارفين:

«والله ما رأيتُ مسلماً يمشي في الشارع إلا وأوقنُ أنه خير مني!..
فقليل له: لم يا شيخنا؟..»

فقال: لأنني لا أدري بما يُختم لي وله!.. وربما أوتيتُ أنا الكلام.. وأوتي هو التقوى.. وربما أوتيتُ أنا حُسن السمْت..
وأوتي هو حُسن التوكل على الله»..

- يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

«إذا فتحَ اللهُ عليك في باب قيام الليل.. فلا تنظرُ للنائمين نظرةً

ازدراء..

وإذا فتحَ عليك في باب الصيام.. فلا تنظرُ للمُفطرين نظرةً
ازدراء.. فربَّ نائمٍ ومُفطرٍ.. أقرب إلى الله منك!..

ولأنَّ تبيتَ نائماً وتصبحَ نادماً.. خيرٌ لك من أن تبيتَ قائماً
وتُصبحَ معجباً.. فإنَّ المُعجَبَ لا يصعدُ له عملٌ»..

- قال رجل لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

متى أتكلم؟ قال: إذا اشتهيت الصمت..

قال: ومتى أصمت؟ قال: إذا اشتهيت الكلام.

وكان رضي الله عنه إذا كتب كتاباً فخاف فيه العُجب.. مزَّقه وقال:
اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي.

• دخل الطاووس يوماً بمشية متعالية.. متباهياً بجمال ريشه
وبألوانه المتعددة.. دخل فسأل سيدنا سليمان سؤالاً عجيباً:
«يا نبي الله أأست متيقناً بجمال مظهري وحسن شكلي؟.. فلم لم
أوهب جمال الصوت رغم أن أقبح الطيور وأحقرها أعطيتُ جمال
الصوت؟!».

فردَّ عليه سليمان عليه السلام قائلاً: «أتعلم أن الله تعالى خلق كل شيء
بقدرٍ.. ولو أعطاك صوتاً جميلاً وحسناً.. ما كنت لتكلم أحداً من
الأساس»!..

على ماذا التكبرُ والغرورُ
 وهذي الأرضُ تملؤها القبورُ
 على ماذا التَّعالي يا صديقي
 أأنتَ البحرُ أم أنتَ الصخورُ؟!
 كأنك قد نسيتَ أيا أُخَيَّ
 بأنَّ الكونَ يملكُهُ الغفورُ!
 ألم ترَ كمْ فَقَدْنَا مِنْ أناسٍ
 لهم نخلٌ وأسوارٌ قصورُ؟
 وكم فارقتَ من أهلٍ وخلٍ
 أتاهم بغتةً قَدَرٌ يَدُورُ





كلمة طيبة



- مرَّ شابٌّ برجلٍ فقيرٍ فتوقفَ عنده ليقدمَ له إحساناً..
وضع يده في جيبه.. فوجد أنه قد نسي المحفظة..
اعتذر إلى الفقير قائلاً: (معذرة يا أبي!) لقد نسيْتُ نقودي
بالمنزل.. وستكون النقود معي عند عودتي!..
ردَّ عليه الفقيرُ قائلاً: عفواً يا ابني.. لقد أعطيتني أكثر من
الجميع!..
دُهِش الفتى وقال: لكني يا أبي لم أُعْطِكَ شيئاً..
فقال: إنك حين اعتذرتَ لي قلتَ لي: (يا أبي).. وهذه الكلمة
لم أسمعها من أحدٍ قبلك.. وهي أعلى عندي من كل النقود..
• فتذكروا قوله ﷺ: «الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ»^(١).

(١) صحيح ابن حبان: ٤٧٢.

وهناك مثل إنكليزي يقول: «قد تستطيع أن تجبر الحصان (أو الجمل) على أن يذهب للماء.. لكنك أبداً لن تستطيع أن تُجبره على أن يشرب منه»..

وكذلك البشر.. فيمكنك إخافتهم بقسوةٍ أو رهبة..

لكنك أبداً لن تستطيع السكن في قلوبهم.. إلا بطيب كلامك.. وجميل خُلقك..

بكلمةٍ طيبة.. وخلقٍ حسن.. وصفاء قلب..

والرسول ﷺ يقول: «إنكم لن تَسْعُوا الناسَ بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١).

• ولن تتسع لكم القلوب بالبطش والتخويف.. لكنها تتسع باللين والرفق..

والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾

[آل عمران: ١٥٩]...

• أذكر ذات مرة ذهبتُ لإنجاز معاملة.. وكان الموظف كئيباً متجهماً..

كان يتعامل مع الأوراق بجفاء شديد.. وكأن أحدهم سلب شيئاً ثميناً منه!..

(١) صحيح الترغيب: ٢٦٦١.

قلت له: قميصك جميل.. فابتسم وقال: والله؟.

قلت: والجاكيت أجمل.. فتهلل وجهه ضاحكاً مستبشراً..

ثم بدأ الحديث معي.. وكان ذلك الشخص العابس قد رحل.. وجاء شخص آخر مكانه.. فتأملوا ما الذي تفعله الكلمة الطيبة..

خَفَّفَ عَنِ النَّاسِ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ أَلَمٍ
فَإِنْ عَجَزْتَ فَأَخْرِجْ طَيِّبَ الْكَلِمِ
وَأَنْسُجْ مِنَ الْفَالِ أَثْوَاباً لِتُفْرِحَهُمْ
وَكُنْ كَنُورٍ لَهُمْ فِي أَحْلَاكِ الظُّلَمِ
لَا يُسْعِدُ النَّاسَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ
إِلَّا أَمْرٌ وَطَيِّبُ الْأَخْلَاقِ وَالشِّيمِ

• لا تحبس الكلام الطيب في قلبك أبداً.. امدح واشكر..
وادعُ الله لمن تحب.. وقل خيراً للجميع.. فالكلم الطيب عبادة
وهداية... ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الحج: ٢٤].. فبوصلة
ألسنتهم اتجهت نحو الأقوال الجميلة..

وكلمة واحدة طيبة يمكنها أن تغيّر شخصاً للأفضل..

وقال ﷺ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]..

فالكلمة الطيبة تزرع لك القبول.. وتطيب بها قلوب من
حولك..

ويعلو بها قدرك.. ويزيد بها أجرك..





ابدأ بنفسك

• يقول جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه:

«إن مثل الذي يعظ الناس وينسى نفسه.. كالمصباح يحرق نفسه ويضيء لغيره»^(١).

• جاء رجل إلى أحد الصالحين فقال: إنني أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر..

قال: إن لم تخش أن تُفتضح بثلاث آيات من كتاب الله.. فافعل..

قال: وما هن؟..

قال: الأولى قوله تعالى: ﴿ **اتَّامِرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة: ٤٤] أحكمت هذه الآية؟..

قال: لا..

(١) جامع بيان العلم وفضله: ٦٧٤/١.

قال: والثانية قوله تعالى: ﴿لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ * كَبْرَ مَقْتًا
عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ [الصف: ٢، ٣].. أحكمت هذه؟..
قال: لا..

قال: والثالثة قول العبد الصالح شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ
إِلَّا مَا أَنهَدَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ [هود: ٨٨].. أحكمت هذه؟..
قال: لا..

قال: فابدأ بنفسك..

• فإذا كنت تعاني معاناة مستمرة في علاقاتك مع الأهل
والأصدقاء.. في عملك.. من الظروف المحيطة بك.. وتريد تغيير
كل ما يحيطك.. فابدأ بنفسك..

- ولو أردت تغيير من حولك.. تغيير محيطك وبيئتك..
فعليك بنفسك.. ابدأ بها وغيّرها.. وستجد تغييراً في كل
ما حولك.

- لو أردت تغيير أي أحد.. فغيّر نفسك أولاً.. ودعه يراك
ويصدقك.. ثم ستجده يتغير وحده.. بكل بساطة وتلقائية.

- وقبل أن تطلب من ابنك أو ابنتك.. أو صديقك.. أو
زوجتك أو زوجك.. أن يتغير.. ويصبح كما تريد أنت..

قبل أن تنطق كلمة واحدة.. قبل أن تنتقده.. قبل أن تأمره..

قبل أن ترفع حتى عينيك في عينيه.. انظر إلى المرأة.. ووجه
كلامك لنفسك!..

- قبل أن تعيب مكان عملك أو مجتمعك.. أو حتى بلدك..
انظر داخلك..

تغيّر.. يتغير الكون من حولك^(١).

• ابدأ بنفسك.. كُنْ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ مَعَ مَنْ حَوْلَكَ..

لَا تُقَلِّدْهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ.. بَلْ عَامِلُهُمْ بِأَحْسَنَ مِمَّا
يُعَامِلُونَكَ بِهِ..

- ابدأ بنفسك.. وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ.. وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ.. وَأَحْسِنْ
إِلَى رَحِمِكَ وَجِيرَانِكَ..

- ابدأ بنفسك إن علمت بمشروع خيري.. أو سمعت بدعوة
للتبرع لإخوانك المنكوبين..

• يقول أبو الأسود الدؤلي:

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلَّمُ غَيْرُهُ

هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمِ

(١) د. محمد طه: ابدأ بنفسك.. يتغير الكون من حولك. (بتصرف).

تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى
كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ
وَأَرَاكَ تُضِلُّ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا
أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَقِيمٌ
لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلُهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
أَبَدًا بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنِ غِيَّهَا
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهَنَّاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى
بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ





التمس لأخيك عذراً..



• التمس لي عذراً إن صادفتني شاحب الوجه..
إن راسلتني ولم أجبك..
إن اتصلت ولم أرّد..

قد أكون مُنهكاً وغير قادر على فعل شيء..
- التمس لي عذراً.. إن لم أبتسم في وجهك..
إن مررتُ بقربك ولم أركّ..

فقد أكون في عالمٍ آخر لا تعلم عنه شيئاً..
- التمس لي عذراً.. وأنا غارقٌ في حزني وكمدي..
فلعلّني أحتاج منك سَنَدًا.. لا لوماً ولا عتاباً..

وهل هناك أجمل من أن نقدر ظروف بعضنا البعض.. ولا
نعاتب أو نلوم؟!..

فقد يكون أقرب الناس إليك وينام إلى جانبك.. وهو حقيقة
لا يعلم ما يؤلمك.. ولا ما يجول في أعماق نفسك..
لأن البعض لا يريد أن يؤذي أحداً بما يؤلمه..

يقول تعالى: ﴿وَأَن قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]..

هذا في شأن من تعب ووصل للباب..

فكيف نغضب من عدم ردِّ الآخرين على اتصالنا؟..

فكم من علاقات هدمت.. وقلوب تباعدت.. بسبب رسالة أو
اتصال!..

أحسن الظن بصاحبك إذا لم يرد عليك.. فربما لديه
ما يمنعه!..

• التمس لأخيك سبعين عذراً.. وإن لم تجد.. فألقِ اللومَ على
نفسك.. وزدْ مساحة العذر للآخرين..

- يقول أحدهم: كنتُ صغيراً.. فتضايقتُ من حرص أبي..
فصرت أباً.. فظهر لي أنني لم أقدره حقَّ التقدير..

وكنتُ طالباً.. فانتقدتُ معلّمي.. فلمَّا صرتُ معلماً عرفتُ أنَّه
كان على حقٍّ...

وكنتُ زوجاً.. وتحسستُ من أقوال وأفعال أهل زوجتي..
فصرتُ أباً لزوجة.. وصار صهري يتحسس من أقوالي وأفعالي..
فعلمتُ أنَّ الدنيا تدور..

- وتقول إحدى النساء:

كنتُ أختاً.. فكرهتُ زوجة أخي..

فصرتُ الزوجة.. فعلمتُ أنني كُنتُ المؤذية!..

وكنتُ زوجة وأسيء الظن في أم زوجي.. فصرت أماً لزوج
وعلمتُ أنها لم تقصد.

التمس العذر.. قبل أن يدور الزَّمان.. فتعرف أن غيرك كان
على حق..

• فليتنا نلتمس الأعذار للناس من حولنا.. كي نَسعد ونُسعد
من حولنا..

أَحْسِنُ بِنَا الظَّنِّ إِنَّا فِيكَ نُحْسِنُهُ

إِنَّ القُلُوبَ بِحُسْنِ الظَّنِّ تَنْسَجِمُ

وَالْمَسْ لَنَا العُذْرَ فِي قَوْلٍ وَفِي عَمَلٍ

نَلْمَسُ لَكَ العُذْرَ إِنْ زَلَّتْ بِكَ القَدَمُ

لَا تَجْعَلِ الشَّكَّ يَبْنِي فِيكَ مَسْكَنَهُ

إِنَّ الحَيَاةَ بِسُوءِ الظَّنِّ تَنْهَدِمُ

يقول أحدهم: إن لم تعرفني فأكرمني بحُسن ظنِّك.. فحسُنُ
الظنِّ راحة لا يعرفها إلا من جرَّبها..

فأحسِنُوا الظنَّ بالآخرين تَطِبْ حياتكم.. فهذا الشافعي حين
مرض وأتاه بعض إخوانه يعودونه.. فقال للشافعي: قَوَى اللهُ
ضعفك!..

قال الشافعي: لو قَوَى ضعفي لَقَتَلَنِي..

قال: والله ما أردتُ إلا الخير.

فقال الإمام: أعلمُ أنَّكَ لو سببتني ما أردتَ إلا الخير.





ممحاة وقلم



- كان داخل علبة الأقلام.. ممحاة صغيرة.. وقلم رصاص جميل.. ودارَ بينهما حوارٌ..
- الممحاة: كيف حالك يا صديقي؟..
- القلم: لستُ صديقك!..
- الممحاة: لماذا؟..
- القلم: لأنني أكرهك..
- الممحاة: ولمَ تكرهني؟..
- القلم: لأنكِ تمحين ما أكتب!..
- الممحاة: أنا لا أمحو إلا الأخطاء!..
- القلم: وما شأنك أنتِ؟!..
- الممحاة: أنا ممحاة.. وهذا عملي..
- القلم: هذا ليس عملاً!..

الممحاة: عملي نافعٌ مثل عملك..

القلم: أنتِ مخطئةٌ ومغرورة..

الممحاة: لماذا؟..

القلم: لأنَّ مَنْ يكتُبُ.. أفضلُ ممَّنْ يمحو.

قالت الممحاة: إزالةُ الخطأ تعدلُ كتابةَ الصواب!..

أطرقَ القلمُ لحظةً.. ثم رفع رأسه وقال: صدقتِ يا عزيزتي!.

الممحاة: أما زلتَ تكرهني؟.

القلم: لن أكره مَنْ يمحو أخطائي..

الممحاة: وأنا لن أمحو ما كان صواباً..

قال القلم: ولكنني أراكِ تصغرين يوماً بعد يوم!.

الممحاة: لأنني أضحيّ بشيءٍ من جسمي كلّما محوتُ خطأً..

قال القلم محزوناً: وأنا أحسُّ أنني أقصرُ ممّا كنت!.

قالت الممحاةُ تواسيه: لا نستطيعُ إفادةَ الآخرين.. إلّا إذا قدّمنا

تضحيةً من أجلهم..

قال القلم مسروراً: ما أعظمك يا صديقتي! وما أجمل

كلامك!..

• فما بالنا لا نشكر مَنْ يمحو أخطاءنا.. ويرشدنا إلى طريق الصواب؟!..

ولماذا لا نكونُ شموعاً.. تحترق لتضيء دروب الآخرين؟!..

كن شمعة مضيئة لمن حولك.. تضيء الخير للناس..

وتشعل سراج الحب في قلوبهم..

وتطفئ ظلام الجهل في عقولهم..

وتشعرهم بنور التفاؤل والأمل..

كن شمعة بابتسامتك.. بعطائك..

شمعة.. بمواساتك للمجروحين..

شمعة.. بنور الله في قلبك..

كن شمعة.. فالشمعة تظل تضيء حتى آخر لحظة في حياتها..

كن شمعة تجعلك رافعاً هامتك في الأرض والسماء..

فالشمعة لا تضيء.. إلا ورأسها مرفوعٌ نحو السماء..





السعادة ليست حلاً ولا وهماً!..

• السَّعَادَةُ لَيْسَتْ وَهْمًا.. وَلَا بِأَمْرٍ مُّحَالٍ!..

بَلْ هِيَ تَفَاوُلٌ وَحُسْنُ ظَنٍّ بِاللَّهِ.. وَصَبْرٌ بِغَيْرِ اسْتِعْجَالٍ..
وَلَيْسَ عَلَيْكَ إِسْعَادُ كُلِّ النَّاسِ.. وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَلَّا تُؤْذِيَ
أَحَدًا..

وَلَنْ تَجِدَ السَّعَادَةَ.. حَتَّى تَنْظِفَ حَدِيقَةَ قَلْبِكَ مِنَ الْأَشْجَارِ
الضَّارَّةِ.. وَالنبَاتَاتِ السَّامَةِ: الحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ.. وَالغُلِّ وَالحَقْدِ..
وَالضَّغِينَةِ وَالشَّحْنَاءِ..

عِشْ بِالتُّقَى تَلُقَ الْمَسْرَّةَ وَالْهَنَاءَ
إِنَّ السَّعَادَةَ بِالتُّقَى تَحَقُّقُ
وَإِذْكَرْ إِلَهَكَ فِي شُؤْنِكَ كُلِّهَا
فَإِذَا السَّكِينَةُ بَابَ قَلْبِكَ تَطْرُقُ
وَإِذَا قَضَى الرَّحْمَنُ أَمْرًا ثِقُ بِهِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْخَيْرَ فِيمَا يَخْلُقُ

الرِّزْقُ مَقْسُومٌ تَحَرَّ حَلَالُهُ

يَا جَهْلَ مَنْ مِنْ أَجْلِهِ يَتَمَلَّقُ

(جهاد جحا)

ولو كان هناك محلات لبيع السعادة.. لرأيت البشر يتهافتون عليها ويشترونها بأغلى الأثمان.. ولكنهم يجهلون أنها في سجدة بين يدي الله (بلا مقابل)..

• وهذه نصائح مهمة في الحياة فاحفظها وحاول أن تعمل بها لتسعد:

١ - لا تسمح لأحد أن يأخذ الأولوية في حياتك.. عندما تكون خياراً ثانوياً في حياته..

٢ - لا تبك على أية علاقة في الحياة.. لأن الذي تبكي من أجله لا يستحق دموعك.. والشخص الذي يستحق دموعك.. لن يدعك تبكي أبداً!..

٣ - عامل الجميع بلطف وتهذيب.. حتى الناس الوقحين معك.. ليس لأنهم غير لطيفين.. بل لأنك أنت لطيف وقلبك نظيف..

٤ - لا تبحث عن سعادتك عند الآخرين.. وإلا ستجد نفسك وحيداً وحزيناً.. بل ابحث عنها داخل نفسك.. وستشعر بالسعادة حتى لو بقيت وحيداً..

٥ - أن تكون كالسلحفاة في الطريق الصحيح خير من أن تكون غزلاً في الطريق الخطأ..

٦ - اعرف أن مفتاح الفشل هو محاولة إرضاء كل شخص تعرفه..

٧ - عليك أن تعرف أن مَنْ حولك يؤثرون عليك.. لذلك حاول أن تكون في جانب الذين يؤثرون عليك بشكل إيجابي وليس السلبي منها..

٨ - اعلم أنه لا تحقيق للطموحات دون تعب ومعاناة..

٩ - اعرف أن هناك طريقتين ليكون لديك أعلى مبنى.. إما أن تدمر كل المباني من حولك.. أو تبني أعلى من غيرك.. اختر دائماً أن تبني أعلى من غيرك..

١٠ - ابتسم وتفاءل دائماً.. فالابتسامة لا تكلف شيئاً.. لكنها تعني الكثير..

١١ - لن تستطيع أن تتعلم شيئاً إلا إذا أخطأت.. فلا عيب في ذلك.. لكن حاول أن تتعلم من أخطائك.. وتكون عبرة لغيرك..

١٢ - لا تنظر إلى صفات الآخرين وتراقبهم.. فمن راقب الناس مات همًّا.. بل انظر إلى عيوبك في بداية الأمر..

١٣ - اعرف أن أمس هو شيكٌ تمَّ سحبُه.. والغد هو شيكٌ مؤجلٌ.. أما الحاضر فهو السيولة الوحيدة المتوفرة لديك.. فاصرفها بحكمة..

١٤ - نصيحتي الأخيرة: مهما حدث فارضَ بقضاء الله.. واحمد الله على كل شيء..





كن أنت!..

• قد تكون أنتَ الرائعَ وأنتَ لا تدري!.. فليست الروعة بالإنجازات فحسب.. بل الروعة بروحك الصافية.. وإلهامك للآخرين أن ينجحوا..

الروعة أن تُعطيهم الأمل كل يوم وأنت لا تدري..

الروعة أن تُضحّبهم في حياتهم.. وأن ترسم الابتسامة على شفاههم.. حتى وإن كنتَ غائباً عنهم..

الروعة أن تكون باذلاً ومعتطاءً وملاذاً أميناً..

تلك هي الروعة بحق..

كونوا راعين.. أعطوا أفضل ما عندكم.. لا تدعوا شخصاً ناقداً.. أو ظرفاً طارئاً يوقفكم.. عن مسيرتكم الخيرة في الحياة..

• تفاءلوا بالخير.. لا تجعلوا آراءكم حبيسةً لآراء أشخاص

آخرين.. وأحسنوا الظن بهم..

- لا تغردوا مع السرب دائماً.. حتى لا تلغوا شخصياتكم..

فشمة أمور تميز كل شخصية عن الأخرى..

قَالَ لِي صَاحِبُ أَرَاكَ غَرِيْبًا

بَيْنَ هَذَا الْأَنَامِ دُونَ خَلِيلِ

قُلْتُ كَلَّا بَلِ الْأَنَامُ غَرِيْبٌ

أَنَا فِي عَالَمِي وَهَذِي سَبِيلِي

- لا تضع لنفسك منزلة عالية في قلوب الناس.. ولا

منهم التضحيات..

- اخفض سقف توقعاتك بالجميع كي لا تُصدم في حياتك..

- وإذا أردت أن تحيا حياة بسيطة.. فلا تدقق في كل شيء..

فإن الذين حللوا الألباس «وجدوه فحماً»!..

- ومهما فعلت فلن تكون شخصاً كاملاً.. فالكمال لله وحده..

فقط اعمل أقصى جهدك.. لأن تكون شخصاً أفضل..

- ثقوا بقدراتكم.. فلا شخص ولا مكان ولا زمان يستطيع

إيقافكم إلا أن يشاء الله..

- وأخيراً.. اجعلوا تعاملكم مع الله لا مع المخلوق.. هو من

سيدافع عنكم..

وسينصركم ويقدر جهودكم.. وسيعطيكم أجر النوايا وليست الأعمال فقط.

• لا تفرط في مشاعرك من أجل أشخاص لا يعرفون قيمتها..
وعندما تسطر قصّة حياتك.. لا تجعل شخصاً آخر يمسك بالقلم..
أنت من يكتب إنجازاتك..

وبعض الناس يتصرّفون وكأنّهم يحاربون العالم.. ولكنّهم
فقط يحاربون أنفسهم..

يقول ديل كارينجي: «الإيجابي لا تنتهي أفكاره.. والسلبى
لا تنتهي أعداره».





مصائب غيرك!

• البيوت.. ليس أساسها إسمنتٌ ولا حجارة.. بل امرأةٌ سالحة..
قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾

[الفرقان: ٧٤]..

قال ابن علان: بدأ في الآية بالزوجة.. لأن في صلاحها صلاح الذرية^(١).

• سئلت زوجةً: لِمَ زوجُك يحبك.. ولا يرى في الكون غيرك؟. وهناك مَنْ هنَّ أجمل منك؟!.

قالت: قد لا أكون الأجمل.. وقد لا أكون الأروع..

ولكن إن أذاني زوجي أصفخ..

وإن جاءني مهموماً أسمع..

وإن أعطاني كثيراً أمدخ..

وإن أعطاني قليلاً أفنغ..

(١) دليل الفالحين، ٣٧٦.

هكذا علّمني ربي..

الودّ لا أقطع..

والطاعة لا أ منع..

ومهما حصدتُ شوكاً.. أظل للورد أزرع..

• تشاجرتُ يوماً امرأةً مع زوجها بسبب ظروف معيشية صعبة.. وفقرٍ لا يُطاق..

قررتُ أن تترك البيت وتهرب منه.. فانتظرت أولادها وزوجها حتى ناموا.. وتسلفت خارج البيت بجانب الجدران..

مرّت بمحاذاة شبابيك بيوت الحي كي لا يراها أحد..

فسمعتُ أمّاً تدعو الله أن يشفي ابنها المشلول.. كي يلعب ويعيش مثل بقية الأطفال..

وسمعتُ في بيت آخر امرأةً تدعو الله أن يرزقها ذريةً تزيّن حياتها..

وسمعتُ امرأةً أخرى تدعو الله أن يصلح زوجها.. ويهديه إلى طريق الصواب..

وسمعتُ بنتاً تبكي وتنادي: يا رب اشتقتُ لأمي.. ولكنني أعلم أنها عندك في الجنة..

وأخرى تقول لزوجها: صاحبُ البيت سيطر دننا.. فأسأله أن يعطينا مهلةً حتى يرزقك الله وتسدد له الإيجار..

سمعتِ المرأةَ الهاربة كل هذه المصائب.. فعادت مسرعةً إلى بيتها..

حمدت الله على نعمة بيتٍ يؤويها.. وهداية زوجها.. وصحة أولادها!..

وتذكرت قولَ المصطفى ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مَعَايٍ فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا»^(١).

• فقد تتألم المرأة لأن زوجها لا يهتم بها.. ولا تتألم لأن زوجها لا يجد وقتاً للاهتمام بنفسه!.. فساعديه لتجديه!..

فالزوجة مأمورة بحفظ مملكتها.. فإن هو أخذته مشاغلاً الحياة.. والبحث عن لقمة العيش.. فحاولي تنبيهه بطريقة ملائمة في البدء.. فإن لم ينتبه إلى نفسه.. وزوجه وأهله.. فاستعيني بمن يساعدك في الأمر..



(١) صحيح الجامع: ٦٠٤٢.



كيف تُخرج الدجاجة من الزجاجة؟

• قصةٌ يرويها أحد المعلمين الأفاضل.. كان هذا المعلم مدرساً للغة العربية..

وفيما كان يلقي الدرس على طلبة الفصل أمام مفتشي التوجيه لدى الوزارة.. اللذين حضرا لتقييمه.. قاطع أحد الطلاب الأستاذ قائلاً: «يا أستاذ.. (اللغة العربية) صعبة جداً!..»

وما كاد هذا الطالب يتم حديثه.. حتى تكلم كل الطلاب بالكلام نفسه.. وأصبحوا كأنهم حزب معارضة! فهذا يتكلم بصوت عالٍ.. وهذا يصرخ!..

سكت المعلم قليلاً ثم قال: حسناً لا درس اليوم.. وسأستبدل الدرس بلعبة!.

فرح الطلبة.. وتجهّم الموجّهان!.

رسم المعلم على السبورة زجاجة لها عنق ضيق.. ورسم بداخلها دجاجة.. ثم قال: من يستطيع أن يُخرج هذه الدجاجة من الزجاجة؟ شريطة أن لا يكسر الزجاجة.. ولا يقتل الدجاجة؟!..

باعت محاولات الطلبة جميعاً بالفشل.. وكذلك محاولة
 الموجهين اللذين انسجما مع اللغز.. وحاولا حله.. بالفشل!..
 فصرخ أحد الطلبة من آخر الفصل يائساً: يا أستاذ لا تخرج
 هذه الدجاجة إلا بكسر الزجاجة أو قتل الدجاجة..
 فقال المعلم: لا تستطيع خرق الشروط..
 فقال الطالب متهكماً: إذن يا أستاذ قل لمن وضعها بداخل
 تلك الزجاجة أن يخرجها كما أدخلها!..

ضحك الطلبة.. ولكن لم تدم ضحكتهم طويلاً.. فقد قطعها
 صوت المعلم وهو يقول: صحيح.. صحيح.. هذه هي الإجابة..
 مَنْ وضع الدجاجة في الزجاجة هو وحده من يستطيع إخراجها..
 كذلك أنتم!..

وضعتهم مفهوماً في عقولكم أن اللغة العربية صعبة.. فمهما
 شرحتُ لكم وحاولت تبسيطها فلن أفلح.. إلا إذا أخرجتم هذا
 المفهوم بأنفسكم من أنفسكم ودون مساعدة.. تماماً مثلما
 وضعتموه في أنفسكم..

انتهت الحصة.. وأعجب الموجهان بالمدرّس كثيراً.. كما
 لاحظ المدرس تقدماً ملحوظاً لدى الطلبة في الحصص التالية..
 بل وتقبّلوا مادة اللغة العربية بشكل سهل ويسير.

- سائلُ نفسك: كم دجاجة وضعت في الزجاجة طوال حياتك؟ .. وجعلتها عائقاً يقف أمامك في تحقيق طموحاتك؟ ..
- ولكن إذا توكلت على الله أولاً.. وأخذت بالأسباب ثانياً.. ستنجز ذلك دون أي عوائق أو مشاكل.. عندها فقط.. ستتمكن من إخراج الدجاجة من الزجاجة!..
- فلم يكن لقطعة الفأس أن تنال شيئاً من جذع الشجرة.. لولا أن غصناً منها تبرّع أن يكون مقبضاً للفأس..
- ولا يخلو طريق الحياة من عوائق قد تمنع الإنسان من المضي قدماً فيه بسرعة وسلاسة.. بل ربما تُحبط البعض.. وتجعل آخرين يفشلون.. ولليأس يستسلمون..
- فلا تضع العوائق بنفسك.. فتجعلها تتحكم في تحقيق أهدافك.. ولا تضع عقلك داخل صندوق مغلق.. بل استخدمه لحل مشاكلك..
- لا تقف مكتوف اليدين.. ولا تدع المشاكل تعوقك دون الوصول إلى النجاح..
- فأنت تحمل عقلاً يفوق كلّ الثروات..





أَحْسِنِ الظَّن



• يقول أحدهم: كان هناك شاب يستقل سيارته الفارهة كل يوم.. وكان من الواجب عليّ أن أحياه.. فأنا أعملُ مزارعاً في حديقة قصره.. وكعادته لا يرد التحية..

و ذات يوم.. رأني ألتقطُ كيساً فيه بقايا طعام.. ولكنه كعادته لم ينظر إليّ.. ومضى كأنه لم ير شيئاً..

وفي اليوم التالي.. وجدتُ كيساً في المكان نفسه.. ولكن الطعام كان فيه مُرتباً.. وكأنه قد اشترى الآن من بائعه!..

فرحتُ به وأخذته.. وأصبحتُ أجد الكيسَ في كل يوم مليئاً بحاجات البيت.. فكنت آخذه.. حتى أصبح الموضوع روتيناً عادياً.. وكنتُ أقول لزوجتي: تُرى من ذا الذي ينسى كيسه كل يوم؟..

و ذات صباح.. علمتُ أنّ صاحب البيت قد مات!.. وكثر المعزّون في ذلك اليوم.. فقد كان رجلاً معروفاً..

وفي اليوم التالي افتقدتُ الكيس.. ومرت الأيام.. وفي كل يوم لا أجد ذلك الكيس.. ممّا زاد وضعنا المادي سوءاً.. عندها قررتُ أن أطلب صاحبة البيت بزيادة في الراتب..

فقلت لي باستغراب: كيف كان مرتبك يكفيك.. وقد أمضيتُ عندنا فترة ولم تشك يوماً!.. فماذا حدث الآن؟!..

حاولتُ أن أبرر لها.. ولكن لم أجد سبباً مقنعاً.. فأخبرتها قصة الكيس..

فسألته: ومنذ متى لم تعد تجد ذلك الكيس؟..

فقلت: منذ وفاة سيدي!.. وحرزناً على حالها.. قررتُ العدول عن طلبي.. ولكن.. عاد كيس الخير إلينا.. بل أصبح يصلنا إلى البيت.. وأستلمه بيدي من ابن صاحب البيت.. وكنت أشكره.. فلا يردُّ علي!..

فشكرته بصوت مرتفع.. فردَّ علي وهو يقول: «لا تؤاخذني فأنا ضعيفُ السمع كوالدي»..

عنده أدركت لماذا لم يكن والده يجيبني عندما كنتُ أحياه!..

• كم نسيء الظن بالناس.. ونحن لا نعلم لماذا يتصرف البعض معنا تصرفات لا نحبها.. فلعل لهم عذر لا نعرفه؟!..

يقول عمر رضي الله عنه: أعقل الناس أعذرهم للناس..

• يروى أنّ زوجةً فتّشت هاتفَ زوجها في يومٍ ما.. فوجدت فيه هذه الأسماء:

- صاحبة اللمسة الحنونة..

- صاحبة الدمعة اللطيفة..

- سيدة أحلامي..

فغضبتِ الزوجةُ.. واتصلتُ بالرقم الأول.. فإذا هي أمه!..

واتصلتُ بالرقم الثاني.. فإذا هي أخته!..

واتصلتُ بالثالث.. فرنّ هاتفُها..

فبكتُ لأنّها ظلمت زوجها!..





لا تُتَّبَطُوا الْآخِرِينَ..

• كان الإمام الطحاوي يطلب العلم عند خاله وشيخه الإمام
المزني..

فقال له المزني يوماً: «والله لا يجيء منك شيء» أي: لا أمل
فيك..

فغضبَ ورحل.. وأخذ يدرس على غيره من العلماء.. حتى
فاق أهلَ زمانه.. وصنّف كتباً كثيرة.. منها: «العقيدة الطحاوية»
وغيرها.. ولُقّب في زمانه بمحدّث الديار المصرية..

وكان كلما درّس في مجلس يقول: رحمَ اللهُ المزني.. لو كان
حيّاً لكفّر عن يمينه! (لِمَا وصل إليه من مكانةٍ رغم اعتقاد خاله
وشيخه المزني أنه لن يفلح)..

فهناك كلمات مدمّرة.. وهناك كلمات معمّرة.. فأحسن اختيار
كلماتك..

وكان الأديب نجيب محفوظ يقول: «عندما تتعرض لصدمات
في حياتك.. تأكد أن عقلك سيصبح أكبر من سنك بكثير»..

• تقول إحداهن:

البارحة طلبت الأنسة في مدرسة ابنتي أن يأتي ولي أمرها..
وهي الآن في الصف الثالث الابتدائي..

ذهبتُ إلى المدرسة.. فقالت المعلمة أمام ابنتي: إنها متأخرة
دراسياً عن أقرانها.. وتحتاج المزيد من الدروس.. وعدتها خيراً..
ورجعتُ إلى البيت..

عادت ابنتي من المدرسة.. والدمعة تكاد تنزل من عينيها..
توقعتُ مني أن أعنفها أو أضربها.. لكنني لم أفعل ذلك أبداً..
أخبرتها بأن المعلمة تحبك.. ولا تريد أن تكوني فتاةً عادية..
بل تريدك أن تكوني من المتفوقات!..

أخبرتها أنها ذكية شاطرة.. وبشرتها بالخير..

انقلب وجهها العابس إلى ابتسامة مستبشرة.. ووعدتني وهي
تقبّلني أنها ستبذل كل جهدها لتكون من الأوائل..

لم تنتظر تناول غداءها.. بل عكفتُ على كتبها.. وما إن انتهى
العام حتى كانت الأولى على صفها.. فبشروا ولا تنفروا..

• وفي مدينة صغيرة أعلن مفتشٌ كبيرٌ على المدارس.. عن
قيامه بزيارة للمدرسة الابتدائية.. ولكنه توقف أثناء الطريق بسبب
عطلٍ في محرك سيارته..

وفيما كان المفتش يقف حائراً أمام سيارته.. مرّ تلميذٌ بجانبه..
فسأله عمّا إذا كان في وسعه مساعدته؟!..

وفي وضعه المتأزم.. أجاب المفتش: هل تفهم شيئاً عن
السيارات؟!..

لم يُطلّ التلميذُ الكلامَ بل أخذ الأداة.. واشتغل تحت غطاء
المحرك المفتوح.. وطلب من المفتش تشغيلَ المحرك.. فعاد
محركُ السيارة للعمل من جديد..

شكر المفتشُ التلميذَ.. وسأله لماذا لم يكن في المدرسة في
ذلك الوقت؟..

فأجاب: سيزور مدرستنا اليوم المفتشُ.. وبما أنني الأكثر غباءً
في الفصل.. لذا أرسلني المدرسُ إلى البيت!..

ليست هذه حادثة نادرة.. بل عايشها البعض منا في المدرسة..

• نعم.. هكذا تُغتال الطاقات.. فلو أنّ «أديسون» - كما قال عنه
مدرسوه - فاشلٌ.. وبقي في المدرسة... لَمَا تمكن من صنع
(١٠٠٠) اختراع.. أشهرها المصباح الكهربائي!.. فلن يصلح الحال
إلّا عند معرفة قدرات كل شخص.. ووضعها في مكانها المناسب..





لا تقل: من سوء حظي!..



• يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللهُ: إن لم تحصل على ما أردت يوماً فلا تقل: «من سوء حظي».. بل قل: «لعل الله أراد لي الأفضل».. ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]..

- استقبلوا أقداركم بقلوب مطمئنة ونفوس راضية.. فمن رضي بقضاء الله.. أرضاه الله بجميل أقداره..

ولئن صبرتم أجرتم.. وأمر الله نافذ لا محالة.. ولئن ضجرتم أثمتم.. وأمر الله نافذ..

- قيل لأحد الصالحين: لماذا أنت راضٍ دوماً.. وقد أصابك من الدنيا همومٌ شداد؟..

فقال: إذا لم أرضَ بما قدره الله لي.. فهل سأرضى بما تُقدِّره نفسي؟..

تَرَىٰ بَعِينِكَ سَوْءًا كُنْتَ تَخْشَاهُ

وتجهلُ الخيرَ فيما قدرَ اللهُ

كَمْ مَرَّ عُسْرٌ سَقَمْنَا مِنْ مَرَارَتِهِ

وَاللَّهُ قَدَّرَ يُسْرًا فِي خَبَايَاهُ

- فالرضا هو رضا العبد عن الله.. بالأ يكره ما يجري به
قضاؤه..

ورضا الله عن العبد أن يراه مؤتمراً بأمره.. منتهياً عن نواهيته..

- والمسلم الحق هو الذي يعجل إلى ربه.. يفرُّ إليه طالباً

رضاه: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يبشرنا فيقول: مَنْ قَالَ حِينَ يُمَسِّي: «رَضِيتُ
بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ
يُرْضِيَهُ»^(١).

• لا تشغل نفسك بالنظر إلى نعم الآخرين.. معجباً
ومستحسناً.. ومقارناً بما لديك.. فكلما اتسعت عينك ضاق
صدرك!.

ارض بما تملك فغيرك أكبر أحلامه نصف ما تملك.. ولا
تحسد أحداً على شيء فانت لا تعلم ما أخذ الله منه..

الْأَمْرُ لِلَّهِ.. وَالْأَقْدَارُ نَافِذَةٌ..

وَنَحْنُ مَا بَيْنَ إِقْبَالٍ.. وَإِعْرَاضٍ!

(١) أخرجه الترمذي: ٣٣٨٩.

عَجِيبَةٌ هَذِهِ الدُّنْيَا مَرَاكِبُهَا
تَجْرِي بِنَا فَوْقَ أَشْلَاءٍ وَأَنْقَاضٍ!
نَفَرٌ مِنْ كَبَدٍ فِيهَا إِلَى كَبَدٍ
وَلَيْسَ يَرْتَاحُ إِلَّا الْقَانِعُ الرَّاضِي!

(عيسى جرابا)

- وليست السعادة أن نملك أكثر ممَّا يملك الناس.. بل
السعادة أن ترضى أكثر ممَّا يرضى الناس.. قال ابن سعدان:

تَقَعَّ بِمَا يَكْفِيكَ وَالتَّمَسِ الرِّضَا
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصْبِحُ أَمْ تُمْسِي
فَلَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ إِنَّمَا

يَكُونُ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ قِبَلِ النَّفْسِ

- يقول ابن عجيبة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]: «إِذَا عَلِمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ كَافٍ جَمِيعَ عِبَادِهِ.. وَثِقَ بِضَمَانِهِ.. فَاسْتَرَحَ مِنْ تَعْبِهِ.. وَأَزَالَ الْهَمُومَ وَالْأَكْدَارَ عَنْ قَلْبِهِ.. فَيَدْخُلُ جَنَّةَ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ.. وَيَهْبُ عَلَيْهِ مِنْ رُوحِ الْوَصَالِ وَرِيحَانِ الْجَمَالِ نَسِيمٌ.. فَيَكْتَفِي بِاللَّهِ.. وَيَقْنَعُ بِعِلْمِ اللَّهِ.. وَيَثِقُ بِضَمَانِهِ»^(١).

(١) البحر المديد: ٣٢٠/٥.

يقول الإمام الشافعي:
 أَنَا إِن عِشْتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قُوْتًا
 وَإِذَا مِيتُ لَسْتُ أَعْدَمُ قَبْرًا
 هَمَّتِي هَمَّةُ الْمَلُوكِ وَنَفْسِي
 نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا





ادفع بالتّي هي أحسن

- ليس بالضرّورة أن يكون لك رأيٌّ في كل نازلة ومشكلة. وإذا كان لك رأيٌّ في شيء من ذلك.. فليس بالضرّورة أن تبدّيه.. وإذا أردتَ إبداءه.. فليس بالضرّورة أن تبدّيه لكلِّ أحد.. وفي كل مناسبة..
- وإذا أبدّيته.. فليس بالضرّورة أن تتشجّع في إبدائه.. أو تتعصب له.. أو تظنّ أنه حقٌّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه!.. وإذا خالفك الرأيَ أحدٌ من النّاس.. فليس بالضرّورة أن يكون ذلك المخالف عدوّاً أو حاسداً..
- وإذا انتقدتَ أحداً من النّاس.. فلا تسعى إلى تجريحه أو الإساءة إليه..
- وإذا اختلفتَ مع أحدٍ فلا تعاديه.. ولا تدعو أحداً إلى معاداته.. وإذا كان بينك وبين أحد من النّاس خصومة.. فلا تنقل الخصومة إلى كل من تعرف.. حاملاً شعار: «معي أو ضدي».. بل يكفي أن تنحصر الخصومة بين أصحابها قدر المستطاع.

- وإذا تكلمت أو أهديت وجهة نظرك.. فلا تُثقل على السامعين بالكلام.. طالما أن الغاية من الكلام قد تحققت.
- ولأن يقال: «ليته واصل».. خيرٌ من أن يقال: «ليته سكت»!..
- ولو أخذ الناس بهذا لسلمنا من صداد التكرار والإثقال.. والإطالة والإملال.
- وليس بالضرورة أن تكون المتصدر في كل مجلس.. ولو بلغت ما بلغت من العلم والثقافة.. فليس كلُّ جَوِّ مجالك.. ولا كلُّ يوم يومك..
- وإذا قصرت في حقِّ أحد ممَّن لهم حقٌّ عليك.. فلا تجعل ذلك ذريعةً لاستمراء التقصير.. وترك الإحسان.
- وإذا كرهت أحداً فلا تخبره بذلك.. بحجة أنك صريح!..^(١)
- بل الحكمة تقتضي أن تحتفظ بذلك لنفسك: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ يَبْنَعَكُمْ وَيَبْنِي الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ [الممتحنة: ٧].
- كتب عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعُمَرِيُّ العابد الزاهد إلى الإمام مالكٍ.. يَحُضُّهُ عَلَى الانْفِرَادِ وَالزَّهْدِ.. ويرغبُ به عن مجالس العلم..

(١) د. إبراهيم الحمد. (بتصرف كبير).

فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَالِكٌ: إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْأَعْمَالَ كَمَا قَسَمَ الْأَرْزَاقَ..
 فَرُبَّ رَجُلٍ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ.. وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ..
 وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الصَّدَقَةِ.. وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّوْمِ..
 وَآخَرَ فُتِحَ لَهُ فِي الْجِهَادِ.. وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ فِي الصَّلَاةِ..
 وَنَشَرُ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِهِ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبَرِّ..
 وَقَدْ رَضِيتُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ لِي فِيهِ.. وَمَا أَظُنُّ مَا أَنَا فِيهِ بِدُونِ
 مَا أَنْتَ فِيهِ..

وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ كِلَانَا عَلَى خَيْرٍ وَبِرٍّ.. وَيَجِبُ عَلَيَّ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنَّا أَنْ يَرْضَى بِمَا قُسِمَ لَهُ، وَالسَّلَامُ»^(١).

وَعَلَّقَ الْإِمَامُ الذَّهَبِيُّ عَلَى جَوَابِ مَالِكٍ.. فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ
 مَا جَاوَبَ «مَالِكٌ» الْعُمَرِيُّ.. بِسَابِقِ مَشِيئَةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ.. وَلَمْ
 يُفْضَلْ طَرِيقَتُهُ فِي الْعِلْمِ.. عَلَى طَرِيقَةِ الْعُمَرِيِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالزُّهْدِ.
 فَلَا تَجِدُ نَفْسَكَ يَوْمًا.. أَفْضَلَ مِنَ الْآخَرِينَ.. فِي طَرَائِقِهِمْ لِعَمَلِ
 الْخَيْرِ..



(١) الحافظ ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.



لاجئ على ظهر قارب يصبح أستاذاً للأطباء



• طبيب عراقي ولد عام (١٩٧٢م)، ووصل إلى أستراليا عام (٢٠٠٠م) لاجئاً على ظهر قارب.. فأصبح من مشاهير الأطباء في العالم..

في عام (١٩٩٩م) كان «منجد المدرّس» طبيباً متدرّباً في بغداد.. عندما دخلت فرقة من الشرطة العسكرية إلى غرفة العمليات.. وطلبت من الجرحّاحين أن يبتروا آذان الجنود الهاربين من الجيش!..

وعندما رفض رئيس قسم الجراحة ذلك.. تمّ إعدامه أمام الجميع!.

اختبأ لخمس ساعات في حمام المستشفى الذي كان يعمل فيه.. قبل أن يهرب من العراق إلى أندونيسيا..

ومن هناك استقلّ قارباً مكتظّاً للاجئين متوجّهاً إلى أستراليا.. مثل ملايين اللاجئين الهاربين من جحيم أوطانهم..

وقع في قبضة الشرطة.. وزُج به في معسكر اعتقال للاجئين في جزيرة اسمها «كرسمس» لعشرة أشهر.. ثم أطلق سراحه عام (٢٠٠٠م)..

أصبح أشهر من نار على علم.. ومن كبار المتخصصين في زرع الأطراف الاصطناعية..

اخترع طريقة جديدة في زراعة الأعضاء البشرية المبتورة بزرع مادة «التيتانيوم» في نخاع العظم البشري.. واكتشف أنها مادة ناقلة للإيعازات العصبية.. فيتحرك العضو بحرية وكأنه عضو طبيعي وليس صناعياً..

واستطاع المرضى المبتورة أطرافهم السير بحرية أكثر..

أصبح أستاذة جراحة العظام في أمريكا وأوربة يتوافدون إليه.. ليتعلموا منه طريقته الجديدة في زرع الأطراف الصناعية..

وهو يعمل يومياً من الساعة السادسة والنصف صباحاً وحتى منتصف الليل.. وله خمسة أولاد..

شارك بحملة توعية حول اللاجئين في أستراليا بعنوان: (أتيث بالقارب: I came by boat)..

استضافته الملكة إليزابيث الثانية في قصرها تكريماً له.. واعترافاً بإنجازاته في تطوير الأطراف الاصطناعية..

«منجد» اللاجئ العراقي الهارب من جحيم بلده.. تحدّى وزير الهجرة الأسترالي الذي قال: إن مكانه الطبيعي هو السجن.. وأثبت أن اللاجئ العربي ستفتخر به أستراليا ذات يوم.. وهاهي أستراليا تفتخر بالبروفيسور العالمي ابن مدينة بغداد «منجد المدرّس».

• وما هذه إلا قصة من آلاف قصص المهاجرين العرب من سورية والعراق وغيرها..
ركبوا القوارب.. واجتازوا الفيافي.. ثم أبدعوا في الغرب..
رغم كل المخاطر والصعوبات!..





لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً!



• كان علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره..

ويوصل ذلك إلى بيوت الأراامل والفقراء في المدينة.. ولا يعلمون مَنْ وَضَعَهَا..

وكان لا يستعينُ بخادم ولا عبد أو غيره.. لئلا يُطَّلَعَ عليه أحدٌ..

وبقي كذلك سنوات طويلة.. وما كان الفقراء والأراامل يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام..

فلَمَّا مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد.. فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره.. فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين.

• يقول سهل التستري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُطَّلَعَ الْخَلْقَ عَلَى مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ فَهُوَ غَافِلٌ»..

- ويقول الحسن البصري:

«إن كان الرجلُ ليجمعُ القرآنَ.. وما يشعرُ به الناسُ..

وإن كان الرجلُ ليفقهُ الفقهَ الكثيرَ.. وما يشعرُ به الناسُ..

وإن كان الرجلُ ليصلي الصلاةَ الطويلةَ في بيته وعنده الزوار..

وما يشعرون به..

ولقد أدركتُ أقواماً ما كانوا على عملٍ يقدرُون أن يعملوه في

السِرِّ.. فيكونُ علانيةً أبداً».. أي: إذا كانوا يستطيعون عمله سراً..

فلا يعملونه في العلن..

- قال الأعمش: «كنت عند إبراهيم النخعي وهو يقرأ في

المصحف.. فاستأذن عليه رجلٌ فغطَّى المصحف، وقال: لا يراني

هذا أنِّي أقرأ فيه كل ساعة».. خوفاً من الرياء.

- ودخل عبد الله بن محيريز دكاناً يريد أن يشتري ثوباً..

فقال رجلٌ قد عَرَفَه لصاحب المحل: هذا ابن محيريز فأحسنُ

بيعه..

فغضب ابن محيريز وطرح الثوب وقال: «إنما نشترى بأموالنا،

لسنا نشترى بديننا».

فلا يريد أن يراعيه التاجرُ في السعر.. لأنه العالم فلان!..

- يقول عكرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ عَلَى نِيَّتِهِ مَا لَا يُعْطِيهِ عَلَى عَمَلِهِ؛ لِأَنَّ النِّيَّةَ لَا رِيَاءَ فِيهَا»..

- وما أروع قول سيدنا الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ الرَّجُلُ تَأْتِيهِ عَبْرَتُهُ فَيَسْتُرُّهَا.. فَإِذَا خَشِيَ أَنْ تَسْبِقَهُ قَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ»..

- وهذا يزيد بن ميسرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «مَنْ أَرَادَ بِعِلْمِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى.. أَقْبَلَ اللَّهُ بَوَاجِهَهُ وَوَجُوهُ الْعِبَادِ إِلَيْهِ.. وَمَنْ أَرَادَ بِعِلْمِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللَّهِ.. صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَوَجُوهُ الْعِبَادِ عَنْهُ»..

- وكان محمد الأصبهاني لا يشتري خبزه من خبَّاز واحد.. يقول: لعلهم يعرفوني.. ولكن إذا جئته لأول وهلة لا يعرفُ أنني فلان الذي يسمع عنه فتقع لي المحاباة.. فأكون ممَّن يعيش بدينه..

- وهذا الإمام أحمد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول: «أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ بِشَعْبٍ فِي مَكَّةَ حَتَّى لَا أَعْرِفُ.. قَدْ بُلَيْتُ بِالشَّهْرَةِ.. إِنِّي أَتَمْنَى الْمَوْتَ صَبَاحاً وَمَسَاءً»..

- والإمام الشافعي كان يقول: «وَدِدْتُ أَنْ النَّاسَ تَعَلَّمُوا هَذَا الْعِلْمَ عَلَى أَلَّا يَنْسَبُ إِلَيَّ مِنْهُ شَيْءٌ»..

- روي عن مطرف بن عبد الله الشخير: أنه قال: «لأن أبيت قائماً وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً فأصبح معجباً»..





أولادنا



• تتعبُ أيدينا ونحن نُهددهد لهم.. وتجف ألسنتنا في سرد
حكاياتٍ.. وترتيل آياتٍ..

وما إن تغفو أعينهم.. حتى تشتاق قلوبنا إلى أصواتهم.. إلى
ضحكاتهم.. بل حتّى إلى شغبيهم.. وضجيجهم وحركاتهم..

نعدُّ الأيّام والليالي.. لنسير وإياهم أولى الخطوات إلى
الرّوضة...

وما إن تغادر بهم المعلّمة.. حتى نشعر أنّها أخذت قطعةً من
قلوبنا.. نتظاهر بالشّجاعة عندما يصرخ: «أريد ماما»..

ونخفي دموعاً سبقت دموعهم.. ونحن نعلم أنّه من الآن
وصاعداً.. سيعلّمهم دروس الحياة..

وصديقاً ما غيرنا.. سيشاركهم ألعابهم وخطواتهم.. أسرارهم
وشقاوتهم..

تتجافى جنوبنا عن مضاجعها.. هل انزاح عنه الغطاء؟.. أكان
نافعاً ذاك الدواء؟..

وهل حفظ كلمات الإملاء؟..

أكان جيّداً ذاك الصّديق؟.. أم أنّه أغواه.. وضلّ به الطّريق؟..

وتمضي صفحات الأيّام.. ولا صفحة كأختها..

فهذه الضّفائر الطّائشة.. سيغطيها الحجاب..

وذاك الخدّ الأمرد.. سيخشوشن بلحية كئساء..

وتلك اللّثغة اللّذيذة.. سيحلّ مكانها صوتٌ رخيم..

وفي نهاية المطاف.. نضع أيديهم بأيدي رفاقٍ دربهم..

ليكملوا معهم شقّ الطّريق..

يشاركونهم أحزانهم وأفراحهم.. عثراتهم ونجاحهم..

لنصبح ضيوفاً في بيوتهم.. ويصبحوا ضيوفاً في بيوتنا..

صوراً على جدراننا..

أصواتاً بعيدة في هواتف ذكيّة..

ونسمي كلّ ذلك «فرحتنا بهم»..^(١)

(١) أ. علي عبد الجليل وهبي: صلوات أب.

• فاللَّهُمَّ..

يامن مننت بهم علينا.. اجعلهم صالحين مهتدين..

بارّين بنا في الحياة.. وبعد الممات..

ولا تجعلهم فتنةً لنا.. ولا شقاءً..

اللَّهُمَّ..

ألنّ ما قسى من قلوبهم..

واجبِر ما انكسر من وصلهم..

وبارك لنا بهم.. يا وهاب يا قدير..





سارقو الأحلام



- هناك أناس سيحاولون إقناعك بالتخلّي عن طموحك..
يثبطونك ويخبرونك بأنه من غير الممكن تحقيق ذلك الحُلْم!..
وسيكون هناك آخرون يضحكون ويسخرون.. يحاولون
الهبوط بك إلى مستواهم.. وهؤلاء الناس يُسمّون «سارقو
الأحلام».. فلا تنصت إليهم.
- فعندما أعطى المدرسُ طلابَ الصف مهمة الكتابة عمّا
يرغبون عمله عندما يكبرون.. كتبَ طالبٌ أنه يرغب في امتلاك
مزرعة على مساحة هائلة من الأرض.. يربي فيها العديد من خيول
السباقات!..
- أعطاه المدرسُ درجةً «ضعيف جداً».. وبرر تلك الدرجة أن
الهدف كان بعيداً عن الواقعية.. فكيف يمكن لغلامٍ فقيرٍ يعيش
في كوخٍ صغيرٍ.. أن يجمع مالاً يكفي لشراء مزرعة.. على مساحة
هائلة من الأرض.. ويشترى الخيول.. ويدفع الأجر..

وعندما عرض المدرس على الطالب فرصة إعادة كتابة ورقته.. للحصول على درجة أعلى.. قال له الطالب: «احتفظ أنت بالدرجة.. وسأحتفظ أنا بحلمي»!..

واليوم أصبح هذا الطالب رجلاً يمتلك مزرعته المقامة على مساحات شاسعة من الأرض في كاليفورنيا.. يربي فيها خيلَ السباق.. ويدربُ المئات من مربّي الخيول.. ولم يدعُ أحداً يسرق حلمه!..

• عظماء بلا مدارس:

ومن ممّا لا يعرف «وليم شكسبير».. صاحب المسرحيات الشهيرة في دنيا الأدب..

أو الشيخ «أحمد ديدات».. صاحب المناظرات الشهيرة في مقارنة الأديان..

أو عباس محمود العقاد.. صاحب العبقريات.. وعشرات الكتب التي ألفها..

أو «توماس أديسون» الذي يُعدُّ من أشهر المُخترعين في العالم.. كلُّ هؤلاء وغيرهم كثير لم يُتمُّوا مراحل تعليمهم.. وبعضهم لم يحصل على أيِّ شهادة جامعيّة، بل ربما لم يتجاوز الابتدائية!..

لم تُساعدهم الظروف لإتمام مراحل تعليمهم.. وعوّضوا عن

ذلك بالتخرُّج من «مدرسة الحياة» الواسعة.. استفادوا من تجاربها في الوصول إلى ما وَصَلُوا إليه.. من شهرة وتقدير..

عَرَكُوا تجارب الحياة الصعبة.. واعتمَدوا على تطوير مواهبهم الربَّانية الفِطرية التي حَبَّاهم الله بها.. وأحَسَّنوا استغلال الفرص التي لا حَتَّ لهم.. استفادوا من هزائمهم وانتكاساتهم المُتكررة.. حتى استطاعُوا حَفْرَ أسمائهم في كتاب التاريخ.. وأصْبَحَ الناس يذكرونهم بأنهم عُظماء^(١).

• وقد تتعثر وتتعثّر قبل أن تصل إلى مرادك.. ولكن تذكر دوماً أنه: من الإجحاف أن نقتل الأحلام التي بداخلنا.. لأن حلمًا منها قد ضاع!..

فكلُّ عائق يقف في طريقك هو طريقٌ بحدِّ ذاته.. هو امتحانٌ يدفعك لإخراج ما عندك من طاقة.. واستعمالها في تحدي هذا العائق والتغلب عليه.. فتمضي في طريق جديد أكثر نجاحاً وسعادة بإذن الله.. وهذا ما يسمى «الخبرة»..

فكلما واجهتك المشاكل والعوائق.. وتغلبت عليها بنفسك.. ازدادت قوّة ومعرفة.. وأصبحت أكثر خبرة وحكمة في الحياة..



(١) أ. عبد الله صالح الجمعة: عظماء بلا مدارس؛ مكتبة العبيكان، محمود ثروت أبو الفضل: عظماء بلا مدارس. (بتصرُّف).



من يبعث فيك السعادة؟



• السعادة ضالة المؤمن المنشودة.. يسعى إليها في كل زمان..
ويبحث عنها في كل مكان.

يقول الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت: «لكي تحتفظ
بالسعادة عليك أن تتقاسمها مع الآخرين».

ويقول إيمرسون: «السعادة عطرٌ لا تستطيع أن تعطر به غيرك
دون أن تنهال منه قطراتٌ عليك»..

وما أجمل الحديث النبوي الشريف «أفضلُ الأعمالِ إدخالُ
السُّرورِ على المؤمن؛ كسوتِ عورتِهِ، أو أشبعتِ جَوعتَهُ، أو
قضيتَ له حاجةً»^(١).

• ويصف الأستاذ عبد الله الملغوث في كتابه «كخة بابا»
شخصيتين متضادتين: الأولى تبعث فيك السعادة.. والأخرى تثير
فيك الهموم والكآبة.. فيقول:

(١) صحيح الترغيب: ٢٦٢١.

«لم ألتق في حياتي بشخص أكثر سعادة من السيرلانكي
روشان (٣٧ عاماً)»..

- فهو يبتسم على الدوام.. يبتسم وهو يستقبلك.. وابتسم وهو
يودعك.. وابتسم بينهما..

لا يملك سوى ثلاثة قمصان يكررها على مدار العام.. لكنه
يشعر أنه يملك الدنيا وما عليها!.

روشان لا يغادر جامعة سالفورد ببريطانيا التي يدرس فيها
الدكتوراه في الهندسة.. فإما تجده في «غرفة طلاب الدكتوراه»
يكتب ويقرأ.. أو تجده داخل دورات مياها «ينظف ويكنس»..
وهو مستعد أن يقوم بأي عمل شريف يساعده على تسديد رسومه
الدراسية وإيجار شقته..

لم أره متذمراً قط.. فهو يتذكر أمامي دائماً كلمات أمه عندما
كان صغيراً: «لا تحزن لأنك لا تملك حذاءً.. بل افرح لأن لديك
جوارب»!..

لدى روشان ميزة استثنائية تكمن بالاحتفال بالأشياء
الصغيرة.. سعادة تفيض من وجهه عندما يعثر على كتاب أو جملة
جذابة في رواية.

- وعلى النقيض تماماً من روشان.. لدي صديقٌ عابسٌ وقانط
على الدوام..

لم أشاهده مبتسماً قط.. كل الأفراح يحوُّلها إلى أتراح..
 فعندما باركتُ له التخرج صعقتني قائلاً: «اخفض صوتك.. مَنْ
 يسمعك سيعتقد أنني حصلت على وظيفة أو ورثت مالاً»..

وحينما هنأته بطفله الأول.. سحب يدي بصرامة حتى كاد أن
 ينزعها.. ثم قال: «احذر. لا تنجب مبكراً.. فمَنْد أن أبصر طفلي
 النور وأنا لا أعرف النوم!»..

إذا ابتسمتُ أمامه عاقبني قائلاً: «سيجيء لك يومٌ وتبكي!»..
 وإذا وجدني مهموماً زاد همي همماً..

- صديقي لا يمثل حالةً فردية.. بل هو واقع الكثير من إخواننا
 وأخواتنا في وطننا العربي الكبير الذين ينظرون للحياة بتشائمٍ
 وإحباط..

ينظرون للنصف الفارغ من الكأس.. وينقلون عدوى الإحباط
 لأترابهم.. ليسود جوٌّ عارمٌ من الخيبة والحزن.
 فالابتسامة التي تسكبها من وجهك ستعود لك.. ستذهب
 بعيداً.. لكنها حتماً ستعود..

- قضيتُ سنواتٍ عديدةً في الغربة أدرُس ولا أختلط إلاً بأبناء
 جلدتي.. فأمسيتُ على الدوام أنتقدُ حجم المكافأة.. وارتفاع غلاء
 المعيشة!..

أهدرتُ سنواتٍ طويلةٍ مكفهراً ومتجهماً.. لكنني عندما
تعرفت على روشان أصبحتُ أفرح أكثر وأحزن أقل.. جعلني
أبتسم كثيراً^(١).. وأتذكر دوماً حديث رسول الله ﷺ: «تَسْمُكَ فِي
وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٢).



(١) أ. عبد الله المغلوث: من كتاب «كخة يا بابا»، (بتصرف).

(٢) صحيح الترمذي: ١٩٥٦.



نُصَلِّحُه.. ولا نرْميه!..

• كانت تتحدّث هي وزوجها في مواضيع تخصُّ حياتهم الزوجيّة.. وفي لحظة.. انقلبت الأمور وتحوّلت إلى شجار.. نعم فهذه ليست المرّة الأولى.. ولكن هذه المرّة تختلف عن مثيلاتها في السابق!..

طلبتُ من زوجها الطّلاق.. ممّا أدّى إلى إشعال غضبه.. فأخرج ورقةً من جيبه وكتب عليها: «نعم أنا فلان ابن فلان أوكد وأنا بكامل قواي العقلية أنني أريد زوجتي.. ولا أريد التخلّي عنها.. ومهما كانت الظروف ومهما فعلت سأظلُّ متمسكاً بها.. ولن أَرْضَى بزوجةٍ أخرى غيرها تشاركني حياتي.. وهي زوجتي للأبد»..

وضع الزّوج الورقة في ظرف وسلّمها لزوجته.. وخرج من المنزل غاضباً حتّى لا تشعر بشيء.

كلُّ هذا والزّوجة لا تعلم ما كُتب في الورقة.. ثم ما لبثت أنْ شعرت بالذنب لارتكابها هذه الغلطة.. وتسرّعها في طلبها..

فقد أصبحت الآن في ورطة.. فأين تذهب؟ وماذا تقول لأهلها؟ وكيف تمّ الطلاق بسرعة ودون سابق خلاف؟.

كلُّ هذه الأسئلة جعلتها في دوامةٍ وحيرةٍ من أمرها.. فماذا عساها تفعل؟!..

عاد الزوج فجأةً إلى البيت.. ودخل إلى غرفته مسرعاً من دون أن يتفوه بكلمة!.. فلحقت به زوجته وطرقت الباب.. فردَّ عليها بصوتٍ عالٍ وبغضب: ماذا تريدان؟..

فقالت بصوتٍ منخفضٍ ووجل: أرجوك افتح الباب.. أريد التحدّث إليك.. ثمّ قرّز ماذا تريد أن تفعل!..

قام الزوج بفتح باب الغرفة.. ليجد بأن زوجته حزينة.. وتساءله أن يستفتي الشيخ.. لأنّها نادمة كلَّ الندم على فعلتها.. وهي لا تقصد ما قالته!..

ردَّ عليها: هل أنت نادمة ومتأسّفة على ما حدث؟..

فأجابته بصوتٍ منكسر: نعم والله.. إنني لم أقصد ما قلت.. وأنا نادمة كلَّ الندم على ما حدث!..

عندها طلب الزوج من زوجته أن تفتح الورقة.. وتنظر ما فيها..

فتحت الورقة وهي ترتجف.. لكنها لم تُصدّق ما رأت
عيناها..

غمرتها الفرحة وأي فرحة!.. فقامت إلى زوجها وقبّلته..
والدموع تتناثر من عينيها وتقول بحرقه: والله إنّ هذا الدّين
لعظيم.. لأنّه جعل العصمة بيد الرّجل.. ولو جعلها بيدي لربما
طلّقتك عشرين مرّة!..

• سألت صحفيةً زوجين مسنّين في التسعينات من العمر:
كيف استمرّ زواجكما خمسة وستين عاماً؟..

فقالت الزوجة: نحن من جيلٍ إذا انكسر شيء نُصلّحه..
ولا نرميه..





وصية أب لابنه يوم زواجه



• أي بني، إنك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك.. فاحفظها عني واحرص عليها..

- الأولى: فإن النساء يحببن الدلال.. فلا تبخل على زوجتك بذلك.. فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجاباً من الجفوة..

- أما الثانية: فالنساء يحببن التصريح بالحب.. فلا تبخل على زوجتك.. فإن لم تظهر لها الحب قلّت بينكم المودة والمحبة..

- وأما الثالثة: فإن النساء يكرهن الرجل الشديد الحازم.. ويستخدمن الرجل الضعيف اللين.. فاجعل لكل صفة مكانها.. فإنه أدعى للحب وأجلب للطمأنينة.

- وأما الرابعة: فإن النساء يحببن من الزوج ما يحب الزوج منهن.. من طيب الكلام وحسن المنظر ونظافة الثياب وطيب الرائحة.. فكن في كل أحوالك كذلك.

- أما الخامسة: فَإِنَّ الْبَيْتَ بِمِثَابَةِ مَمْلَكَةٍ لِلزَّوْجَةِ وَهِيَ سَيِّدَتُهُ..
فَيَأْتِيكَ أَنْ تَنَازِعَهَا مَلِكُهَا..

- أما السادسة: فَإِنَّ الْمَرْأَةَ تَحِبُّ أَنْ تَكْسِبَ زَوْجَهَا وَلَا تَخْسِرَ
أَهْلَهَا.. فَيَأْتِيكَ أَنْ تَجْعَلَ نَفْسَكَ مَعَ أَهْلِهَا فِي مِيزَانٍ وَاحِدٍ.. فَإِمَّا
أَنْتِ وَإِمَّا أَهْلَهَا.. فَهِيَ وَإِنْ اخْتَارْتِكَ عَلَى أَهْلِهَا فَإِنَّهَا سَتَبْقَى فِي
كَمَدٍ تُنْقَلُ عَدْوَاهُ إِلَى حَيَاتِكَ..

- والسابعة: إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ أَعْوَجٍ.. وَهَذَا لَيْسَ عَيْبًا
فِيهَا.. فَلَا تَحْمَلِ عَلَيْهَا إِنْ هِيَ أَخْطَأَتْ.. فَتَحَاوَلِ تَقْيِيمَ الْعَوْجِ
فَتَكْسِرُهَا.. وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا.. يَقُولُ ﷺ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ
لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا
عَوْجٌ، وَإِنْ ذَهَبَتْ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا»^(١).

- أما الثامنة: فَإِنَّ النِّسَاءَ جُبِلْنَ عَلَى كُفْرِ الْعَشِيرِ.. يَقُولُ ﷺ:
«يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ
الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ»^(٢)..
فَلَا يَحْمِلَنَّ هَذَا الْخُلُقَ عَلَى أَنْ تَكْرَهَهَا وَتَنْفِرَ مِنْهَا.. فَإِنَّكَ إِنْ
كَرِهْتَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَتْ مِنْهَا غَيْرَهُ.

(١) رواه مسلم: ١٤٦٦.

(٢) رواه البخاري: ٥١٩٧.

- أما التاسعة: فَإِنَّ المرأةَ تمرُّ بحالاتٍ من الضعفِ الجسديِّ والنفسِيِّ.. حتَّى إِنَّ اللهَ ﷻ أسقطَ عنها مجموعةً من الفرائض التي افترضها في تلك الحالات.. فقد أسقطَ عنها الصلاةَ في هذه الحالات.. وأنسأَ لها الصيامَ خلالها حتَّى تعودَ صحتها.. فكن معها في هذه الأحوالِ ربانِيًّا.. فكما خففَ اللهُ ﷻ عنها فرائضه.. فخففَ عنها طلباتك وأوامرك.

- أما العاشرة: فاعلم أنَّ المرأةَ أسيِّرةٌ عندك.. فارحمَ أسرها.. وتجاوزَ عن ضعفها.. تكن لك خيرَ متاعٍ وخيرَ شريكةٍ..

ولقد دَعَتْنِي لِلْخِلافِ عَشيرَتِي

فعددتُ قولَهُمْ مِنَ الإِضلالِ

إِنِّي امرؤٌ فِيّ الوفاءِ سَجِيَّةٌ

وفِعَالٌ كلُّ مُهَدَّبٍ مِفْضالِ





من أي نوع أنت؟

• اشتكت ابنةُ لأبيها مصاعب الحياة.. وقالت: إنها لا تعرف كيف تواجهها..

وأنها أوشكت على الاستسلام.. فقد تعبتُ من مكابدة الحياة!..

اصطحبها أبوها إلى المطبخ.. وملاً ثلاث آوانٍ بالماء.. ثم وضعها على نار ساخنة..

أخذ الماء يغلي في الأواني الثلاث.. فوضع في الإناء الأول جزرة.. وفي الثاني بيضةً.. وأما في الثالث فقد وضع ملعقةً من البن المطحون..

وأخذ ينتظر وهو صامتٌ تماماً..

نفد صبرُ الفتاة وهي حائرة لا تدري ما يريد أبوها أن يُريها؟..

انتظر الأب بضع دقائق.. ثم أطفأ النار..

أخذ الجزرة ووضعها في وعاء.. والبيضة في وعاء ثانٍ..
وسكب القهوة المغلية في وعاء ثالث.

طلب منها أن تتحسس الجزر!.. فقد صار رخواً طرياً..
أما البيضة فباتت صلبة قاسية!..

ثم طلب منها أن ترتشف بعضاً من القهوة!.

سألت الفتاة: ولكن ماذا يعني هذا كله يا أبي؟.

فقال: اعلمي يا بنيتي أنّ كلاً من الجزرة والبيضة والبن واجه
الخصم نفسه..

وهو الماء المغلي!..

لكن كلاً منها تفاعل معها على نحو مختلف..

فقد كان الجزر صلباً.. لكنه ما لبث أن تراخى وضعف..

أما البيضة فقد كانت قشرتها الخارجية تحمي سائلها

الداخلي.. لكن هذا السائل ما لبث أن أصبح قاسياً وتصلب..

وأما القهوة فقد كان رد فعلها فريداً... إذ تمكنت من تغيير

الماء نفسه!..

فماذا عنك؟..

هل أنت الجزرة التي تبدو صلبة.. وعندما تتعرض للمصاعب

والآلام.. تفقد قوتها..

وتصبح رخوة طرية؟..

أم أنك البيضة.. ذات القلب الرخو.. ولكن ما إن واجه
المشاكل حتى أصبح قوياً وصلباً؟..

أم أنك مثل البن.. الذي يغيّر الماء الساخن «مصدر الألم»..
فيجعله ذا طعم أفضل.

فكّري يا بنّيتي كيف تتعاملين مع المصاعب..

وتذكري ماذا تريدين أن تكوني.. جزرة أم بيضة أم بنّاً
مطحوناً؟..

فعند الموقف الصعب.. ستعرفين إن كنت أحسنت الاختيار
أم لا!.

• فالأمواج الهادئة.. لا تصنع قبطاناً جيداً..

والسماء الصافية.. لا تصنع طياراً ماهراً..

والحياة بدون صعوبات.. لا تصنع أشخاصاً أقوياء!..





هل أنت هين لئین؟



• يقول ﷺ: «أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مُشْتَرِيًّا وبائعاً، وقاضياً ومُقتَضِياً»^(١).

ويقول ﷺ: «حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْنٍ، لَيْنٍ، سَهْلٍ، قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ»^(٢).

- فبعض الناس سهلٌ.. هينٌ لئینٌ..

سهلٌ إذا عاملته..

وسهلٌ إذا ناقشته..

سهلٌ أن ترضيه إن أنت أخطأت معه..

- ومن الناس مَنْ يصعب التعاملُ معه..

صعبٌ إن ناقشته..

(١) صحيح الجامع: ٢٤٣.

(٢) صحيح الجامع: ٣١٣٥.

وصعبٌ إن أخطأت مرةً بحقه..

تحسبٌ للتعامل معه ألف حساب!..

• ولا شك أن الحوار يفضح العقول.. والغضب يفضح الأخلاق..

فإذا حاورت إنساناً فسترى عقله.. وإن أغضبتَهُ فسترى خلقه..
ولا تُتعب نفسك في البحث عن السهل الهين اللين.. فستجده في دائرة الأتقياء..

• واللين صورة من صور الرحمة.. يقول تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّيْنَتْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»^(١).

• فهل فكرت يوماً أن تغير فيك سلوكاً يُزعج من حولك؟..
هل كنت ليناً تتقبل النقد البناء.. أم أنك لا تقبل النقد أبداً؟..
ما هو شعورك إن قالت لك أمك أو أقرب من حولك: «لم تحسن التصرف في هذا الموقف.. أو هذا التصرف لا يليق بك»؟..

فجميلٌ أن تبدل وتغير للأفضل..

(١) صحيح الجامع: ٦٦٠٦.

• والرفق خير في أمر الدين وأمر الدنيا حتى في معاملة المرء نفسه.. ومعاملته لزوجه وخادمه وولده.. بل كل من حوله..

يقول عليه السلام: «إذا أراد الله بأهل بيتٍ خيراً أدخل عليهم الرفق»^(١).

وقال عليه السلام: «يا عائشة، ارفقي! فإن الله إذا أراد بأهل بيتٍ خيراً، دلهم على باب الرفق»^(٢).

عاشِرٌ بمَعْرُوفٍ فَإِنَّكَ رَاحِلٌ

وَاتْرُكْ قُلُوبَ النَّاسِ نَحْوَكِ صَافِيَةً

وَأَذْكَرُ مِنَ الْإِحْسَانِ كُلِّ صَغِيرَةٍ

فَاللَّهُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْخَافِيَةَ

لَا مَنْصِبٌ يَبْقَى وَلَا رُتَبٌ هُنَا

أَحْسِنُ فَذَكَرَكَ بِالْمَحَاسِنِ كَافِيَةً

وَاصْبِرْ بِخَطِّكَ إِنْ أَرَدْتَ عِبَارَةً

لَا شَيْءَ فِي الدُّنْيَا يُسَاوِي الْعَافِيَةَ



(١) صحيح الجامع: ٣٠٣.

(٢) السلسلة الصحيحة: ٥٢٣.



رفيقُ السوءِ كالبعوضِ!



• يقول أحدهم:

عَوَّدْتُ نفسي ألاَّ آسفَ على صديقٍ خرجَ من حياتي..
فإِما أن يكونَ صديقاً رآني على خطأ ولم ينصحنِي.. فاختار
البعْدَ!..

أو صديقٍ مصلحة.. فإذا انتهتِ مصلحته انتهتِ صداقته...
أو صديقاً فُتحتَ عليه الدنيا فغَيَّرَتْهُ.. فما عاد يناسبه قربي..
أو صديقاً يمتعضُ من نصحي فيؤثر البعد..
فلا حاجة لي بهم!..

فالصديق الحقيقي هو الذي يكون معك في حلوك ومرك.. في
عسرك ويسرك..

يفرح لفرحك ويحزن لحزنك..

• أعلنت إحدى الصحف عن جائزة لمن يقدم أفضل إجابة لسؤال في بيت الشعر التالي..

مَا لِي أَرَى الشَّمْعَ يَبْكِي فِي مَوَاقِدِهِ

مِنْ حُرْقَةِ النَّارِ أَمْ مِنْ فُرْقَةِ الْعَسَلِ

أجاب البعض بأن السبب هو الألم من حرقة النار..

وأجاب آخرون: أن السبب هو فرقة الشمع للعسل..

ولكن أحداً منهم لم يحصل على الجائزة..!

وما إن بلغ الخبرُ الشاعرَ سمير طه عبده حتى أجاب بقوله:

مَنْ لَمْ تُجَانِسْهُ فَاحْذَرْ أَنْ تُجَالِسَهُ

مَا ضَرَّ بِالشَّمْعِ إِلَّا صَحْبَةُ الْفَتْلِ

وفاز بالجائزة.

نعم إنَّ سبب بكاء الشمع.. وجود شيء في الشمع ليس من

جنسه.. وهو الفتيلة التي ستحترق وتحرقه معها..

ولهذا علينا انتقاء من نجالس.. حتى لا نحترق بسببه.. ونبكي

يوم لا ينفع البكاء..

• قال أحدهم: «ما أعطي العبد بعد الإسلام نعمة.. خيراً من

أخ صالح.. فإذا وجد أحدكم ودّاً من أخيه فليتمسك به»..

• يقول جبران خليل جبران:

اختر نزلًا قلبك بدقة.. فلا أحد سيدفع ضريبة سكنهم
سواك!..

• ويقول الشاعر جهاد جحا:

لا تَأْتَمِنُ مَنْ عَقَّ أُمًّا أَوْ أَبًا
فاحذِرْ صِدَاقَتَهُ فَذَاكَ يَخُونُ
مَنْ خَانَ حَقَّ الْوَالِدَيْنِ وَلَمْ يَصُنْ
حَقِّيهِمَا.. أَلِصْحِبِهِ سَيُصُونُ؟!

• يقول الحكماء: رفيقُ السوءِ مثلُ البعوضِ.. لا تشعرُ به إلا
بعدَ اللسعِ!..





الوعظ فن ومهارة

• بعض الناس يتصدّرون للوعظ في المجالس والمساجد..
من دون معرفة بفنونه..

١ - اختر الوقت المناسب للوعظ والإرشاد.. فليس كل وقت
يصلح لوعظ الناس..

٢ - اختر الموضوع ومناسبته للحال.. فليس كل ما يُعلم يُقال،
ولا كل ما يُقال يناسب الحال.

٣ - انظر إلى استعداد المدعوّين نفسياً لسماع ما يُلقى عليهم
من دروسٍ ومواعظ.. وتفّرّس في وجوه من يحضرون الدرس.

٤ - لا تطل في الموعظة؛ خشية الملل والسّامة..

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّنَا بِالْمَوْعِظَةِ
فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا»^(١).

(١) رواه البخاري: ٦٨.

ولم يكن من هديه إعطاءً دروسٍ في جميع الأيام.. ذلك لأنَّ دعوته تأخذ أشكالاً مختلفة.. تارةً بالقول وأخرى بالسلوك والقُدوة الحسنة.

٥ - استغلَّ الموقف.. فقد جاء في حديث قدوم تجَّار البحرين، حيث رأى ﷺ من حرَّصهم.. فاستغلَّ الموقف في توجيه نصيحةٍ تربوية انطوت على تحذيرٍ من فتنة الدنيا، فقال: «فأبشروا وأمْلُوا ما يسرُّكم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنَّ أخشى عليكم أن تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنيا، كما بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كما تَنَافَسُوهَا، وتُهْلِكُكُمْ كما أهْلَكْتَهُمْ»^(١).

٦ - خيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ: فإطالة المواعظ لتتعدى أحياناً ساعة وأكثر.. هي مشكلةٌ بعض الوعَّاظ.. فطاقة ذهن الإنسان محدودة.. لا يمكنها عادة متابعة الكلام بتركيز لأكثر من ربع ساعة..

وقد يقتضي الأمر أحياناً إطالة الموعظة لحادثٍ مهم.. فحين تحدث الرسول ﷺ عن أمور جسام ستقع في الأمة.. طالت موعظته فوق العادة.. فعن عمرو بن أخطب رضي الله عنه: أنه قال: «صَلَّى بنا رسولُ الله ﷺ الفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ

(١) رواه البخاري: ٣١٥٨، ومسلم: ٢٩٦١.

العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ.. فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا»^(١).

٧ - تحيّن الموعدة عند إقبال السامع وفراغِهِ، واثركها عند انشغاله..^(٢)

ومن ذلك: أمره ﷺ المدعويين بالانصراف إلى أهلهم؛ لما رأى من تشوقهم إليهم؛ فعن مالك بن الحويرث رضي الله عنه قال: «أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا - أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا - سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا، فَأَجْرَنَاهُ، قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُّوهُمْ - وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا - وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ، وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»^(٣)..

٨ - لا تجعل المواعظ روتينية وكأنها قوالب لوضع المستمعين فيها.. بل اجعل الموعدة بما يتلاءم مع حال المدعويين..



(١) رواه مسلم: ٢٨٩٢.

(٢) أ. مرشد الحيايالي: فن اختيار الوقت في الموعدة. (بتصرف).

(٣) رواه البخاري: ٦٣١.



امحها يا عليُّ

• قد نحتاج في حياتنا إلى أن نتنازل عن بعض قناعاتنا وآرائنا.. في سبيل هدفٍ أسمى.. أو كي نمنع حدوث خلافٍ أو خصومة بيننا وبين الآخرين.

• ولتقرأ قصة تنازل الرسول ﷺ لمطلب أحد المشركين.. في صلح الحديبية الذي كان بين كفار قريش وبين رسول الله ﷺ.. فاختار المشركون سفيراً لهم وهو «سهيل بن عمرو» لعقد الصلح.. وبعد الاتفاق على قواعد الصلح.. قال ﷺ: «هاك اكتب بيننا وبينك كتاباً»..

فدعا الكاتب.. وهو «علي بن أبي طالب رضي الله عنه» وقال: اكتب بعد باسمك اللهم: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو»..

فاعترض سهيلُ بن عمرو.. وقال: والله لو نعلم أنك «رسول الله» ما صددناك عن البيت.. ولكن اكتب: محمد بن عبد الله..

فقال رسول الله ﷺ لعلي: «امحها يا علي».. واكتب:
«محمد بن عبد الله».

فقال علي رضي الله عنه: والله لا أمحوها أبداً يا رسول الله..

فقال: «هاتها يا علي».. فمحاها بيده ﷺ.. لأنه يعلم تماماً أن
علياً لن يمحو كلمة «رسول الله»..

• (امحها يا علي): هي استراتيجية النبي ﷺ للحفاظ على
مؤسسة الإسلام التي لم يستطع لحظتها كبار الصحابة رضوان الله
عليهم استيعابها.

(امحها يا علي): تجاوز عن الصغائر.. للحفاظ على العظام
التي كانت تنتظر الأمة.

(امحها يا علي): تحول بالمسار من الجدل الهادر للأوقات
الشمينة.. إلى الانشغال بما ينبنى عليه من الأعمال القويمة.

(امحها يا علي): خسارة لحظية.. لأجل مغنم استراتيجية..

(امحها يا علي): خطوة تكتيكية للوراء.. من أجل قفزة
استراتيجية مبهرة للأمام.

(امحها يا علي): فتح بها نبيكم مكة.

(امحها يا علي): تلك استراتيجية نبيكم مع كفار قريش.. فما بالكم مع صحبه.. ومع مَنْ شاطره الهدف والهمم.. والحزن والغم؟!..

(امحها يا علي): تحتاج إلى نفسيات لا تصيبها نشوة السلطة والقوة.. أو نشوة القدرة على الابتزاز.

(امحها يا علي): تتطلب شجاعة المسامحة من جهة.. وشجاعة الاعتذار من جهة أخرى.

فتلك سجايا نبينا الإنسان محمد ﷺ.. فهل نجعلها نبراساً لنصل إلى أهدافنا ونقلص أسباب الخلافات بيننا؟!..

(امحها يا علي).. ما أحوج الرجل وزوجته إليها!..

(امحها يا علي).. ما أحوج الوالد وابنه إليها!..

(امحها يا علي).. ما أحوج الأخ وإخوته.. والجار وجاره إليها!..

(امحها يا علي).. ما أحوج الصديق وصديقه وكل إنسان إليها!..





شيخ الإسلام في بريطانيا!



• لم يكن «عبد الله كويليام» المسلم الأول في بريطانيا.. لكن المسجد الذي أنشاه في مدينة «ليفربول» عام (١٨٨٩م) كان المسجد الأول.. ثم تابعت المساجد حتى زاد عددها عن ألف وخمسة مائة مسجد..

كان كويليام محامياً بليغاً.. ومثقفاً كبيراً.. ومنذ إسلامه وحتى وفاته كان الإسلام قضيته الأولى والوحيدة.. فإيمانه العميق وقوة حجته أقنعت أكثر من ستمئة بريطاني باعتراف الإسلام..

لذا وُصف بـ«شيخ الإسلام في بريطانيا».

ولد هنري كويليام في (١٠ أبريل عام ١٨٥٦م) في مدينة ليفربول.. وكان منذ صباه متديناً رافضاً لشرب الخمر.. ومعتزلاً على شاربها..

تخرج في العام (١٨٧٨م) في الجامعة ليعمل محامياً.. وسرعان ما ذاع صيته لبلاغته وتضلعه في القانون..

تعرّض لأزمة صحية فنصحها الأطباء بالذهاب لإسبانيا
للاستشفاء..

وعلى السفينة رأى المسلمين يصلُّون.. فأثر المشهد في نفسه
تأثيراً عميقاً..

ويقول في ذلك: «رأيت هؤلاء الجماعة قد اصطفوا للصلاة في
صفوف جميلة.. وجعلوا يصلُّون معاً بخشوع وطمأنينة.. غير
مكترئين بتمايل السفينة واضطراب الريح.. ولقد أثر في نفسي
ما قرأته على وجوههم من صدق الإيمان»..

فقرر الذهاب إلى المغرب عام (١٨٧٧م)، وقرأ ترجمة لمعاني
القرآن.. وكتاب «العظماء» للكاتب الأسكتلندي توماس كارلايل،
الذي أبدى انبهاره الكبير بشخصية النبي محمد ﷺ..

ومع اختلاطه بالمسلمين في طنجة انفتحت روحه على
الإسلام.. فأسلم وهو في الحادي والثلاثين من عمره.. وفي العام
التالي أعلن رسمياً في ليفربول أنه اعتنق الدين الإسلامي، وأنه
غيّر اسمه إلى عبد الله.

تحوّل كويليام إلى طاقة كبيرة للدعوة للإسلام.. واستثمر كل
المنابر المتاحة لتبليغ الإسلام..

لم يكتب كويليام بالدعوة الفردية.. ولكن اتجه لتأليف الكتب
للتعريف بالإسلام، فألف كتاباً بعنوان: «عقيدة الإسلام» عام

(١٨٨٩م) .. طُبع منه عدة آلاف من النسخ.. كما ترجم إلى عدة لغات.. واطلع البريطانيون على الإسلام من خلال ما كتبه أحدُ أبنائهم.. فكان تأثير الكتاب كبيراً..

أسس كويليام أول مسجد في بريطانيا في مدينة ليفربول، وتم افتتاحه في (٢٥ ديسمبر سنة ١٨٨٩م)، وبدلاً من الاحتفال بافتتاحه ببذخ.. فقد تم إطعام (١٣٠) طفلاً من فقراء المسلمين، ليصبح هذا المسجد أقدم مسجد في أوروبا، وهو ما كان إيذاناً بتاريخ جديد للإسلام في بريطانيا..

توفي في الثالث والعشرين من شهر أبريل عام (١٩٣٢م)..
فرحمك الله يا شيخ الإسلام في بريطانيا..





سبقتنا.. يا حبيب!

- كان حبيبُ العجمي يخدم الحسنَ البصري.. فصنع حبيبُ طعاماً لإفطارهما.. وإذا بسائلٍ على الباب.. فأعطاه كلَّ الطعام... فقال الحسنُ: يا حبيب!.. إنك كثيرُ اليقين.. قليلُ العلم.. فهلاً أعطيتَه النصف.. وبتقوّتُ بالنصف الآخر؟.. فقال: يا سيدي.. ثوابُه لك.. وأنا أستغفر الله... فلَمَّا جنَّ الليلُ.. وإذا بقارعٍ على الباب فخرج حبيبُ فوجد عبداً معه طعامٌ كثير.. والمطر ينزل.. والغلام يبكي.. فقال له: ما هذا؟.. قال: طعام.. وقال لي سيدي: «إِنْ قَبِلَهُ مِنْكَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ.. فَأَنْتَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ».. وقد طال عليَّ الرقُّ.. فقال حبيب: لا إلهَ إِلَّا اللهُ.. عتقُ رقبة.. وإطعامُ جائع.. ثم دخل به على الحسن وقال: يا سيدي.. إنك كثيرُ العلم.. قليلُ اليقين...

فقال الحسن: يا حبيب!.. تقدّمناك فسبقتنا^(١)..

• فأى طمأنينة في القلب تبعثها: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾

[البقرة: ١٣٧]..

وأى تسليم لله.. يسكن إليه قلبك في قوله تعالى: ﴿وَأَفْوُضُ

أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]!..

وأى يقين بالنصر.. يشد من أزرِك.. عندما تقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]!..

وأى آية أرجى بالعتو والغفران.. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ

يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]!..

وأى ثقة بوعد الله حين تقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]..

يقول الشاعر جهاد جحا:

لَوْ كَانَ قَلْبُكَ عَامِرًا إِيمَانًا

مَا كُنْتَ تَخْشَى فِي الدُّنَا إِنْسَانًا

كُلُّ أَمْرٍ بِاللَّهِ عَلَّقَ قَلْبُهُ

يَحْيَا عَزِيزًا فِي الْوَرَى سُلْطَانًا

- قال تعالى على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ

جَمِيعًا﴾ [يوسف: ٨٣]..

(١) ابن عجيبة: إيقاظ الهمم شرح متن الحكم.

فلكل أحلامك وحاجاتك.. لكل غالٍ تنتظر.. لكل جميل
تترقبه.. لكل ثمين فقدته.. قل بثقة ويقين: «سيأتيني به الله»..

_ وقال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠]..

فإذا تولاك الله.. فرّج همّك.. ولو كان أقسى من الحديد!..

_ وليست البطولة أن تمشي.. وما في دربك عقباتٌ وعثرات..

وليست البطولة أن تبتسم.. وما في قلبك همومٌ وأحزان..

إنما البطولة أن تمشي.. رغم كل الأشواك والعثرات..

وتبتسم.. رغم كل الآلام والأحزان..

لأنك تعلم أن لك ربّاً لن يتخلى عنك.. في أيّ مكانٍ وأي

زمان..





أربع مهارات

• أربعة أحاديث تغنيك عن حضور أربع دورات تدريبية..
لأربع مهارات مهمة في الحياة.. لأنها تجمع أصول الأخلاق
والأدب..

- فالمهارة الأولى: يقول رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيُكَلِّمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ».

فهذه «مهارة ضبط اللسان»..

- والمهارة الثانية: يقول النبي ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ
تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»..

وهذه «مهارة ضبط الفضول»..

- وأما المهارة الثالثة: فعندما قال رجل للنبي ﷺ: أوصني..
قال: «لَا تَغْضَبْ»، فردد مراراً قال: «لَا تَغْضَبْ»..

وهذه «مهارة ضبط النفس».

- وأما المهارة الرابعة: فقد قال النبي ﷺ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»..

وهي أسمى ما يقال في: «مهارة سلامة القلب»!..

• يقول ابن القيم:

«الدِّينُ كُلُّهُ خُلُقٌ؛ فَمَنْ زَادَ عَلَيْكَ فِي الْخُلُقِ، زَادَ عَلَيْكَ فِي الدِّينِ»..

والجمال يلفت الأنظار.. لكن الحنان يلفت القلوب..

لا تتغيَّر لإرضاء الناس.. ولا تتلوَّن لنيل إعجابهم.. ولا تتبدَّل بسبب فشل.. ولا تتكَبَّر بسبب نجاح..

وإن أظَهَرَ النفوس نفسَ ذاقت الألم.. فرغبت أن تُجنَّب الآخرين مرارته..

لا تُلقِ شوْكَاً في طريقٍ.. فربما غداً تعودُ حافياً!..

فالصادق لا يحلف.. والواثق لا يبرّر..

والمخلص لا يندم.. والكريم لا يمتنُّ..

فلا تفتخر بشكلك لأنك لم تخلقه.. ولا تفتخر بنسبك لأنك لم تختره.. وإنما افتخر بأخلاقك فأنت الذي يصنعها..

والسيئون لا يشعرون بعقدة الذنب لانشغالهم بكونهم سيئين!..

الذين يشعرون بعقدة الذنب هم الطيبون.. الذين شعروا بأن شيئاً ما أربك هذه الصفة..

وأحقر البشر خلقاً: مَنْ إِذَا شَبِعَ مِنْكَ.. أَنْكَرَ فَضْلَكَ..

وأفشى سرك.. وأنكر عشتك.. وقال عنك ما ليس فيك!..

• قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِجُلَسَائِهِ: «أَخْبِرُونِي بِأَحْمَقِ

النَّاسِ»!..

قَالُوا: رَجُلٌ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ!..

فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا أَنْبَأُكُمْ بِأَحْمَقَ مِنْهُ؟.. قَالُوا: بَلَى..

قَالَ: «رَجُلٌ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ»! ^(١)..

وما أكثرهم الآن؟.. فمنهم شاهد زور شهد لمصلحة شخص

غيره.. وغشاش يحلف كاذباً لتسويق بضاعة سيئة لغيره..

ومنهم من يعين ظالماً.. ليستمتع بدنياه.. ويتمكن في رقاب

العباد.. ومنهم من يوقر الغني لماله ويمدحه أمام الناس.. حتى

ولو كان من أهل الفساد..

(١) رواه أبو نعيم في الحلية.

ويحتقر الفقير لقلة ذات اليد.. ولو كان من أهل الصلاح..
سئل هتلر: مَنْ أَحقر الناس في حياتك؟ قال: الذين ساعدوني
على احتلال أوطانهم!..





فتش بداخلك.. ستجد اسماً..



• درسٌ كبير عندما يطلب نبيٌّ وهو كليم الله ﷺ.. أحياناً ومعيناً على تبليغ الرسالة!..

كان يمكن أن يطلب من الله تعالى أن يعطيه لساناً فصيحاً وانتهى الأمر.. لكن في هذا درساً لنا جميعاً.. أن تجد لك أحياناً أنت تختاره.. وفي قرارة نفسك تعلم أنه هو الشخص المناسب.. ليشد الله به أزررك..

وهكذا فعل موسى ﷺ.. فقد اختار هارونَ لأنه شعر أنه الشخص المناسب له.. وسيكون له ظهراً قوياً.. ويكوننا معاً أقوى في مواجهه فرعون وقومه. فلم يردَّ اللهُ طلبه.. وشدَّ عضده بأخيه..

• ولا تفرح بكثرة الأصدقاء.. فبعضهم مثل (برواز الصورة).. مع أول سقوطٍ ينكسر..

فالصداقة ليست تلك القائمة الطويلة بأسماء الأشخاص في هاتفك أو دفترِكَ..

بل هي في وجود أشخاص يساندونك في أوقات ضعفك..

فانظر حولك.. ستجد كثيراً من الأشخاص ممّن تحبهم
وتعرفهم.. وأنت سعيدٌ بصحبتهم.. لكن هناك واحداً فقط.. تعلم
يقيناً أنّ قربك منه.. سيغيّر الكثير فيك.. وستكون معه أقوى
وأصلب في مواجهة الحياة..

استمع إلى ما قاله موسى.. عندما طلب أن يكون هارون أخاً
له.. ومعيناً على نوائب الحياة: ﴿كُنْ نَسِيحَك كَثِيرًا * وَذَكَرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ
كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٣ - ٣٥]..

فتش بداخلك.. ستجد اسماً ولا بد.. تعرفه لهذه المهمة..
اطلبه من الله تعالى كما طلب موسى هارون.. وحاول أن تُخبره
بذلك.. ولا تؤجل.. فالعمر يجري والزمن قصير..

• يقول الشيخ الدكتور بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ: الأصدقاء ثلاثة:
صديق منفعة.. وصديق مؤانسة.. وصديق فضيلة..

فأما صديق المنفعة: وهو الذي يصادقك ما دام ينتفع منك
بمالٍ أو جاه.. فإذا انقطع الانتفاع فهو عدوك.. لا يعرفك ولا
تعرفه.. وما أكثر هؤلاء.. فاحذر منهم.

وصديق مؤانسة: يعني لا يصادقك إلا لأنه يتمتع بك في

المحادثات والمؤانسات.. ولكنه لا ينفعك ولا يريد أن ينفعك..
وليس من ورائه إلا ضياع وقت فقط.. فاحذر منه..

وصديق فضيلة: يحملك على ما يزين.. وينهاك عمّا يشين..
ويفتح لك أبواب الخير.. ويدلك عليه.. وإذا زلتَ ينهاك.. على
وجه لا يחדش كرامتك.

وصديق الفضيلة هذا «عملة صعبة» يعز الحصول عليها^(١)..

• يقول أبان بن سليم: كلمة حكمة لك من أخيك.. خيرٌ لك
من مال يعطيك.. لأنّ المال يطغيك.. والكلمة تهديك..

وسألوا حكيمًا: من تحب أكثر.. أخاك أم صديقك؟..

فقال: أحبُّ أخي حينما يكون صديقي..

وأحبُّ صديقي حينما يكون أخي..



(١) د. بكر أبو زيد: حلية طالب العلم، ص ٢٣.



وفاء بالعهود



• الوفاء من شيم النفوس العظيمة.. وكفاه خصلةً كريمة أن الله تعالى أمرنا به.. ﴿وَعَهْدَ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٢]..

والوفاء صدقٌ في القول والفعل معاً.. وأساسٌ لصلاح أمور الناس..

وقد وصف القرآن الذين يوفون بالعهد بأحسن الصفات.. فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦]..

يقول سلطان العلماء العز بن عبد السلام: «فكل ما ألزمه الإنسان نفسه لله من نذر أو غيره.. أو الحلف بالله تعالى.. يجب الوفاء به.. إلا في المعاصي»..^(١).

(١) تفسير القرآن، لسلطان العلماء العز بن عبد السلام: ٤٧٠/١.

• ومن الوفاء إنجاز الكلمة.. وحفظ الصداقة.. فيقال: إنسان وفياً إذا حفظ حق الصحبة.. وإنسان لا وفاء عنده.. إذا تنكر للصحبة.

- قال دِعْبِلُ الخُزَاعِيُّ معرّضاً بمن اغتنى..

- وتنكر لأصدقائه الذين كان معهم حينما كانوا جميعاً فقراء:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا

مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَوْطِنِ الْحَشِينِ

فما أكثر من ينكر المعروف في هذه الأيام..

- قال الإمام علي كرم الله وجهه:

مَاتَ الْوَفَاءُ فَلَا رَفْدٌ وَلَا طَمَعٌ

فِي النَّاسِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْيَأْسُ وَالْجَزَعُ

فَاصْبِرْ عَلَى ثِقَةِ بِاللَّهِ وَارْضَ بِهِ

فَاللَّهُ أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى وَيُتَّبَعُ

- كان الحارث بن عباد في حرب.. وأراد أن يظفر بعدي بن

أبي ربيعة ليثأر منه.. وبينما هو في الحرب أسر رجلاً.. فطلب منه

أن يدلّه على عدي بن أبي ربيعة..

فقال له الأسير: أتطلقني من أسري إن دلتك عليه؟..

قال: نعم..

فقال: أنا عديُّ بن أبي ربيعة.

فأطلقه وفاءً بوعدة!..

- ومن العلامات التي يُعرَف بها الوفيُّ - كما ذكر الأصمعي - :
«حينئذٍ إلى أوطانه.. وتشوقه إلى إخوانه.. وبكاؤه على ما مضى
من زمانه»^(١).

_ وَرَدَ أَنَّ رَجُلًا ذَهَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: أُرِيدُ
أَنْ أُطَلِّقَ امْرَأَتِي، قَالَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: لَا أَحِبُّهَا، قَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَوْ
كُلُّ الْبُيُوتِ تُبْنَى عَلَى الْحُبِّ؟ فَأَيْنَ التَّذَمُّمُ وَالْوَفَاءُ؟!..

• والوفاء عملةٌ نادرة في هذه الأيام.. والقلوب هي المصارف..
وقليلة هي المصارف التي تتعامل بهذا النوع من العملات!..
والوفاء لا يغيب كما تغيب الشمس.. ولا يذوب كما يذوب
الثلج..

الوفاء يظلُّ حيًّا بين الأوفياء..



(١) الآداب الشرعية، لابن مفلح: ٣ / ٥٦٣، عالم الكتب.



الدنيا تغيرت!



• كثيراً ما نسمع عبارات أناسٍ يلومون فيها الدنيا.. والزمنَ الذي نحياه.. وكأن الدنيا أضحت شَماعة البعض.. يُخطئون ثم يرددون: «الدنيا تغيرت»..

الدنيا لم تتغير.. لأنّها ليست بعاقل حتى تدرك وتتغير.. ولكن ربما هي القلوبُ والنفوسُ.. والأخلاقُ والمبادئ.. هي التي تغيرت!..

• بعض الناس قد يتغير ويتلون عمداً.. لأنهم لا يستطيعون إخفاء حقيقتهم أكثر من ذلك..

فهل تغيرت النفوس بسبب الأموال والجاه.. فمُلئت القلوبُ غيرةً وحسداً..

وهل تغيرت عندما يدعي البعض العلم والأخلاق.. ويرفع الشعارات الرنانة للحصول على منصب مرموق.. وهل أصبحت الشهادة (برستيجاً) للتقدم والتباهي.

هل تغيرت إلى أن وصل الحال بالبعض للتقليد الأعمى للغرب في كثير من العادات السيئة.. وأصبح بعض الشباب والفتيات في مجتمعنا يسخرون من الدين.. ولا يحترمون العلماء وأصحاب الرأي السديد.. حتى إن مستوى الانحطاط الخلقي وصل بالبعض إلى ألا يحترموا أهلهم الذين قدموا لهم كل متطلبات الحياة.. وهم يرون في تصرفاتهم تقدماً.. وأنهم يسرون في ركب الحضارة.. ويقولون: «الدنيا تغيرت»..

• الناس ليسوا بحاجة للنصح دائماً.. فأحياناً كل ما يحتاجونه هو يدٌ تمسك بهم.. وأذنٌ تستمع لهم.. قلبٌ يستوعبهم.. وكلمة طيبة تحنو عليهم..

لا ننكر أنّ الدنيا ما زالت بخير.. وهناك أناس نتوسّم فيهم الخير..

والأطفال يسمعون كل ما تقول.. ويقلدون كل ما تفعل.. فامنحهم القدوة الحسنة.. فقلوبهم بيضاء ناصعة^(١).

• يقول أحد العارفين: «أخوفُ ما أخافُ عليكم تقلُّبُ الأهواء لا الأجواء».

فالبعض يصدق الكذبة إذا كانت من شخص يحبه..

(١) د. نيرمين ماجد البورنو: شماعة «الدنيا تغيرت».

وأخر يكذبُ الحقيقةً.. إذا كانت من إنسان يكرهه..

وهنا تطغى العواطف على الحقيقة.

• يقول الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللهُ: (نفسك) عالم عجيب..
يتبدل كل لحظة ويتغير.. ولا يستقر على حال..

تحب المرء فتراه ملكاً.. ثم تكرهه فتُبصره شيطاناً..

وما كان ملكاً ولا كان شيطاناً.. وما تبدّل! ولكن تبدلت (حالة
نفسك)!!..

وتكون في مسرّة.. فترى الدنيا ضاحكة.. ثم تراها وأنت في
كدر باكية..

ما ضحكت الدنيا قط ولا بكت! ولكن كنت أنت: الضاحك
الباكي..

مسكين جداً أنت حين تظن.. أن الكره يجعلك أقوى.. وأن
الحقد يجعلك أذكى..

وأنّ القسوة والجفاء.. هي ما تجعلك إنساناً محترماً!..

هل تعلم أن الحكمة الشهيرة: «رضا الناس غاية لا تدرك»..
يتناقلها الناس مبتورة وغير مكتملة.. وأنها بتكتمتها من أروع

الحكم وهي: «رضا الناس غاية لا تدرك.. ورضا الله غاية لا تترك.. فاترك ما لا يدرك.. وأدرك ما لا يُترك»..

لو أصبتَ (٩٩) مرة.. وأخطأتَ مرة واحدة.. لعاتبوك بالواحدة.. وتركوا الـ (٩٩)...

هؤلاء هم البشر!..

ولو أخطأتَ (٩٩) مرة.. وأصبتَ مرة لغفر الله الـ (٩٩) وقبِلَ الواحدة.. ذاك هو الله..

فما بالناس نلهث وراء البشر.. ونبتعد عن الله؟!..

• الدنيا لم تتغير يا أصدقاء.. القلوب والأخلاق.. والنفوس والمبادئ هي التي تغيرت!..





احمد الله على نعمائه..



• أول ما ينبغي أن يخطر في بالك صباحاً.. أن تحمد الله وتثني عليه على نعمه التي لا تحصى.

جاء رجل إلى الحسن البصري فقال: إنَّ لي جاراً لا يأكل الفالودج (وهي حلوى تُعمل من الدَّقِيق والمَاء والعَسَل).. فقال: ولمَ؟ قال: يخشى ألا يؤدي شكره!.. فقال الحسن: أفيشربُ الماء البارد؟..

فقال: نعم.

فقال: إنَّ جارَكَ جاهلٌ.. فإنَّ نعمةَ الله عليه في الماء البارد أكثرُ من نعمته عليه في الفالودج^(١)..

فالرسول ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُسألُ عَنْهُ العَبْدُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ التَّعْيِمِ أَنْ يُقالَ لَهُ: أَلَمْ نُصِحِّحْ لَكَ جِسْمَكَ، وَنُزَوِّجَكَ مِنَ المَاءِ البَارِدِ؟»^(٢).

(١) تفسير القرطبي: ١٩٤/٦.

(٢) صحيح الجامع: ٢٠٢٢.

والله تعالى يقول: ﴿ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨] أي:
«ثم ليسألنكم الله ﷻ عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا: ماذا عملتم
فيه؟ ومن أين وصلتكم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟»^(١).

والنعيم المذكور في الآية عام يشمل كل ما يتنعم الإنسان به..
فيدخل فيه كل أصناف النعم من طعام وشراب وملبس وسكن
وصحة وعافية وحواس وغير ذلك..^(٢).

فحين تسير في الطريق تحت أشعة الشمس الحارقة.. ويسيل
العرق على جبينك..

ويجف ريقك من شدة الحر.. فتشتهي كوب ماء بارد تروي به
ظمأك..

تذكر عندها قبل أن تشرب.. أنك ستسأل عن هذه النعمة
العظيمة يوم القيامة.. بل ستكون هذه النعمة من أول ما تُسأل عنه
في ذلك اليوم العظيم.. فاحمد الله..

• يقول ﷺ: «التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ شُكْرٌ، وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ
لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر
الله، والجماعة بركة، والفرقة عذاب»^(٣)

(١) تفسير الطبري: ٣٠/٣٦٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٣٦٥ - ٣٧٠، تفسير القرطبي: ٢٠/١٧٦..

(٣) صحيح الجامع.

فهل من شُكر النعم لمن آتاه الله الصحة والقوة.. أن يتجبر بهما على خلق الله؟..

هل من الشكر أن نستخدم المال الذي رزقنا الله.. في معاصيه؟..

هل من الشكر لنعم الله على الخلقة التامة.. أن تنزع المرأة حجابها.. وتستعمل ذلك في فتن الناس وإغوائهم؟..

هل من الشكر لمن ولّاه الله إدارةً أو غيرها.. أن يتسلط على الناس ويشقّ عليهم؟..

والرسوب في هذا الامتحان قد يكون باباً لزوال هذه النعم عن أصحابها.. أو العذاب الشديد بسببها.. فتكون هذه النعم في حقيقتها نعمة على أصحابها.

انظر إلى قارون الذي آتاه الله أصناف المال والكنوز.. فلم يقم بشكرها.. ماذا كانت عاقبته؟ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُتُ اللَّهُ بِسُطِّ الرِّزْقِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكٰفِرُونَ ﴿ [الفصص: ٨١ - ٨٢]..

إنها عبر يسوقها الله لعباده.. ليعلموا أنهم مبتلون بالنعم.. كما قد يتلون بالشدائد والمحن.





الحمد.. والشكر



- مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْكُو.. لِأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ تَحْتَ الْوُرُودِ أَشْوَكَاءَ..
وينسى أن يشكره.. وقد جعلَ فوق الشوكِ وروداً!..
قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
[النحل: ١٨]..
- ركزوا على ما بين أيديكم من نعم.. ولا تنظروا إلى ما في
أيدي غيركم..
فقد تكون النعم التي منحنا الله إياها.. حلماً بالنسبة لكثير من
الناس..
وقد يكون غيرنا مبتلى.. رغم كثرة النعم الظاهرة لديه..
وربَّ شخصٍ شكر الخالق رغم القليل..
وآخر متذمر وغير شاكر رغم ما لديه من الكثير..
- وقد ورد الحمدُ في القرآن الكريم في أكثر من أربعين
موضعاً..

- وافتتح الله بالحمد خمس سور..

في الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ..

والأنعام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ..

والكهف: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ..

وسبأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي

الْآخِرَةِ﴾ ..

وفاطر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ..

- واختتم بالحمد ثلاث سور:

الصفات: ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [١٨٢].

والإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَا وَهْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِئٌ مِّنَ الدُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [١٨١].

والزمر: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [٧٥].

• واختلف أهل العلم في الحمد والشكر هل بينهما فرق على

قولين:

- الأول: أن الحمد والشكر بمعنى واحد.. وأنه ليس بينهما

فرق.. واختار هذا الطبري وغيره. قال الطبري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ومعنى (الْحَمْدُ

لِلَّهِ): الشكر خالصاً لله جل ثناؤه.. دون سائر ما يُعبد من دونه»...

- والثاني: أنّ الحمد والشكر ليسا بمعنى واحد.. بل بينهما فروق.. ومن تلك الفروق:

١ - أن الحمد يختص باللسان.. بخلاف الشكر.. فهو باللسان والقلب والجوارح.

٢ - أن الحمد يكون في مقابل نعمة ويكون بدونها.. بخلاف الشكر لا يكون إلا في مقابل نعمة..

• يقول أحدهم: تألمتُ كثيراً عندما وجدتُ نفسي حافي القدمين..

ولكنني شكرت الله أكثر حينما وجدت آخر ليس له قدمان!..





ويؤثرون على أنفسهم



• الإيثارُ: تفضيل الغير عن النفس.. وتقديم مصلحته على المصلحة الذاتية.. وهو أعلى درجات السخاء.. وأكمل أنواع الجود.. ومنزلة عظيمة من منازل العطاء..

- الإيثار! وما أدراك ما الإيثار! رحمة من الله الكريم الغفار.. رحمة أسكنها الله قلوب المؤمنين.. فبذلت وضحت لوجه رب العالمين..

اقتحم أصحابها العقبة.. ففكوا الرقبة.. وأطعموا في كل يوم ذي مسغبة.. يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة..

قلوب أهلها رقيقة رحيمة.. لا تحتمل فواجع المسلمين.. بل تهتز لدعاء المنكوبين..

- الإيثار رحمة الكريم الغفار.. يوم تُخط في الدواوين الحسنات.. وتُرفع به لأصحابه الدرجات.. فكم من أيدٍ لهم سخت آناء الليل وأطراف النهار.. فغفرت معها ذنوب العُمر..

وَمُحِيَّتْ بِهَا سِيئَاتٌ وَخَطِيئَاتٌ! فما أعظم فوز أهل الإيثار! يوم
خَلَّفُوا الدنْيا وراءَ ظهورهم.. واستقبلوا الآخرة أمامَ عيونهم!..^(١).

- الإيثار أن تسعى في بذل الخير والإحسان.. طمعاً في رحمة
الرحيم الرحمن.. بإجابة دعوةٍ من أرملة.. أو آهةٍ من بائسة.. أو
تنهيدةٍ من مكروب.. أو دعوةٍ من مهموم أو مغموم.. أو كربة
تفرّجها عن مدينٍ مُعسِر.

تقدّمهم على نفسك في مصالحهم.. كأن تطعمهم وتجوّع..
وتكسوهم وتعري.. وتسقيهم وتظمأ.. بحيث لا يؤدي ذلك إلى
ارتكاب ضررٍ أو إتلافٍ لا يجوز في الدين.. قال ابن القيم:
«والإيثار أن تُؤثر الخلق على نفسك.. فيما لا يحرم عليك ديناً..
ولا يقطع عليك طريقاً.. ولا يفسد عليك وقتاً..».

المَالُ لِلرَّجُلِ الكَرِيمِ ذرائعُ

يَبْغِي بهنَّ جلائِلَ الأخطارِ

والنَّاسَ شتّى في الخِلالِ وخيرُهم

مَنْ كانَ ذا فَضْلٍ وذا إِيثارِ

• ذكر ابن القيم فروقاً بين كلِّ من الإيثار والسَّخاءِ والجود..
مع أنّها كلّها أفعالٌ بذلٍ وعطاء.. فقال: المراتب ثلاثة:

(١) أ. أحمد عماري: الإيثار خلق كريم. (بتصرّف).

- الأولى: أَلَّا يُنْقِصَهُ الْبَذْلُ وَلَا يَصْعَبَ عَلَيْهِ.. فهو منزلة السَّخَاءِ..

- والثَّانِيَّة: أَنْ يُعْطِيَ الْأَكْثَرَ وَيُبْقِيَ لَهُ شَيْئاً.. أو يُبْقِيَ مِثْلَ مَا أُعْطِيَ.. فهو الْجُود..

- الثَّالِثَة: أَنْ يُؤْثِرَ غَيْرَهُ بِالشَّيْءِ مَعَ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ.. وهي رِثْبَةٌ الْإِيثَارِ^(١).

• وفي تاريخنا العربي والإسلامي كثيرٌ من قصص الإيثار.. وقد امتدحهم الله تعالى بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]..

خَرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى ضَيْعَةٍ (أَرْض) لَهُ، فَتَزَلَ عَلَى نَخِيلِ قَوْمٍ، وَفِيهِ غَلَامٌ أَسْوَدٌ يَعْمَلُ فِيهِ؛ إِذْ أَتَى الْغَلَامُ بِقُوْتِهِ، فَدَخَلَ الْحَائِطَ (الْحَدِيقَةَ) كَلْبٌ وَدَنَا مِنَ الْغَلَامِ، فَرَمَى إِلَيْهِ الْغَلَامُ بَقَرِصٍ فَأَكَلَهُ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِ الثَّانِي وَالثَّلَاثَ فَأَكَلَهُ، وَعَبَدَ اللَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا غَلَامُ، كَمْ قُوْتُكَ كُلَّ يَوْمٍ؟ قَالَ: مَا رَأَيْتُ!..

قَالَ: فَلَمْ آثَرْتَ بِهِ هَذَا الْكَلْبَ؟ قَالَ: مَا هِيَ بِأَرْضِ كِلَابٍ، إِنَّهُ جَاءَ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ جَائِعاً، فَكَرِهْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَهُوَ جَائِعٌ!..

(١) مدارج السالكين، لابن القيم: ٢٩٢/٢.

قال: فما أنت صانع اليوم؟ قال: أطوي يومي هذا.
 فقال عبد الله بن جعفر: ألامُ على السخاء! إن هذا الغلامَ
 لأسخى مني، فاشترى الحائِطَ (الحديقة) والغلام وما فيه من
 الآلات، فأعتق الغلامَ ووهبه منه ^(١).



(١) إحياء علوم الدين، للغزالي: ٢٥٨/٣.



أحسن الله (بك).. أم (إليك)؟



• هناك أناسٌ بسطاء.. يعيشون معنا على الأرض..

لا مالَ لهم.. ولا جاه..

ولكنَّ أملاكهم في السماء.. قصورٌ تُبنى.. وبساتينُ تُزرع..

بتسبيحةٍ.. باستغفار.. بصدقة..

أو بكلمةٍ طيبةٍ.. ووجهٍ بشوشٍ..

فأكثرُوا من خبايا العمل الصالح..

تجدونها عند الله..

• وإنَّ أحسنتَ لمنْ أحسنَ إليك.. فأنتَ البرُّ الوفيُّ.. لأنَّ الله

تعالى يقول: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠]..

وإنَّ أحسنتَ لمنْ لم يُحسنِ إليك.. فأنتَ الكريمُ الخفيُّ...

فالشاعر يقول:

أَحْسِنُ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدُ قُلُوبَهُمْ

فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانُ

وإن أنت أحسنت لمن أساء إليك.. فأنت المؤمنُ الصفيُّ.. فالله تعالى يقول: ﴿أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]..

• والسؤال: ما الفرق بين (أحسن الله بك) و(أحسن الله إليك)؟..
وإن قال لك أحد: (أحسنت).. فماذا تردُّ؟..

تردُّ ب: أحسن الله (بك).. أم (إليك)؟

- جاءت (أحسن الله بك) في قصة سيدنا يوسف عليه السلام عندما قال تعالى:

﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]

فالإحسان (بالباء) يدل على شدة الصحبة والملازمة.. وكان الإحسان لم يتركه قيد أنملة.. صاحبه في حياته كلها منذ رؤيته أحد عشر كوكباً.. وإلقائه في الجب.. وبيعه بثمن بخس.. وعمله في بيت العزيز.. ونجاته من مكيدة امرأة العزيز.. وحتى في دخوله السجن إلى أن صار هو العزيز.. وقد جمعه الله بإخوته.. وأمه وأبيه.. ومن ثمَّ ف: (أحسن بي) تدل على قرب المُحسِن (الله) من المُحسَن إليه (يوسف)..

ولهذا جاءت الباء في الإحسان بالوالدين.. فقال ربنا جل وعلا: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣].. إشعاراً إلى ضرورة مصاحبة الإحسان للوالدين في كل وقت.. وخاصة في الكبر.

- أما (أحسنَ إليك): فتشعر بتباعد ما بين (المُحسِن) و(المُحسَن إليه).. ولهذا استخدمها مع قارون.. ذلك المنكر لنعم الله.. فقال تعالى: ﴿وَأَبْتِغِ فِيْمَاءَ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا (أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].. ليدلَّ على البعد ما بين الله وبين قارون.^(١)



(١) أ. د. أحمد محمود عبد القادر درويش: من تجليات البيان القرآني: الفرق بين (أحسن الله بك) و(أحسن الله إليك).



اعرف خلف ماذا تركض



• ففي كتاب (كفاية) للملياردير بوكل.. «يروي: أنه زار صديقاً فوجد لديه كلباً شاباً جديداً.. فسأل صديقَه عن شأن هذا الكلب.. قال: إنه كلب سباق حاز على جوائز عديدة.. وله سمعته الرفيعة.. وجاهه في عالم الكلاب.. ولكنه رفض فجأة أن يركض في السباق.. رغم كل المحاولات والإغراءات.

ولا أحد يدري لماذا؟..

فسأله الملياردير: هل قصّر صاحبك في طعامك؟..

قال الكلب: لا.. كان يقدم لي أطيب الطعام..

فهل قصّر في ثيابك؟..

قال: لا.. ألبسني أجمل ثياب الكلاب.

هل سافر وتركك وحيداً؟..

قال: لا.. كان يأخذني في المقدمة ويتباهى بي أينما ذهب.

إذن لِمَ ترفض السباق؟..

قال: لقد اكتشفتُ بعد ركض كثير مُتعبٍ أنني كنت أركض وراء أرنب زائفٍ!!..!!

• فنصيحتي للشباب.. أن يراجعوا حساباتهم.. وأن يتأكدوا من أنهم لا يركضون خلف هدف زائفٍ! ^(١)..

أُيعقل أن يحيا آلاف البشر من الناس فقط ليأكلوا ويشربوا.. ويتنزّهوا ويُنجبوا.. وليس لهم في الحياة أي هدف!..

قد يقول قائل: يمكن أن توجه هذا الكلام للشباب.. لكن هل يمكن لإنسان في الستينيات من عمره أن يحدد هدفه؟..

والجواب: نعم.. ما دام فيك أنفاس تدخل وتخرج.. فكثير من صحابة رسول الله ﷺ أسلموا وقد بلغوا الكِبَر.. وقاموا بأمور عظيمة تنفع الإسلام..

• وليس معنى الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].. أن تصلي وتعبد الله كل وقتك.. بالطبع لا.. فلسوف تمارس حياتك بشكل طبيعي.. لكنك تجعل الهدف الأكبر الذي يصبغ كل تصرفاتك.. رضا الله سبحانه..

(١) أ. د. عبد الحي عباس: درس من الحياة.

مارس كل حياتك الطبيعية على أن يظل هدفك مشغولاً بشيء واحد.. بأن كل شيء هو ملكٌ لله.. وبأن كل ما تفعله خالصٌ لوجهه الكريم...

• حدّد هدفك بالحياة.. وانظر إلى أحلام وأهداف الإمام البخاري.. حين كان البخاري في الرابعة عشرة من العمر.. وأثناء جلوسه في أحد الدروس.. سمع اثنين من العلماء يتحدثان عن كتب الحديث ويتألمان.. أنها تحوي الصحيح والضعيف والموضوع.. ويتمنيان أن يظهر من يهتم بجمع الأحاديث الصحيحة فقط..

فقال لنفسه: أنا لها.. فألّف صحيح البخاري الذي هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم..

• والضياح الحقيقي أن تكون خارج إطار الحياة المستقيمة..
«قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»^(١).

بعيداً عن ربّك.. غارقاً في الدنيا..

لا تميّز بين خبيثٍ وطيبٍ.. بلا هدف وبلا حياة..



(١) رواه مسلم: ٣٨.



أجوبة مفحمة

• قال أبو زرعة للإمام أحمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف تخلصت من سيف المعتصم وسوط الواثق؟..

فقال: لو وُضِعَ الصِّدْقُ عَلَى جُرْحٍ لَبُرِيَ!..

• وعندما قال كاتبٌ مغرورٌ لبرنارد شو: أنا أفضل منك.. فإنك تكتب بحثاً عن المال! وأنا أكتب بحثاً عن الشرف!..

فقال له برنارد شو على الفور: صدقت!.. كلُّ منا يبحث عمّا ينقصه!..

• وحين قال رجلٌ ثقیلُ الدم لبشار بن برد - وقد كان أعمى -: ما أعمى الله رجلاً إلاَّ عَوَّضَهُ.. فبماذا عَوَّضَكَ أنت؟..

فردَّ بشار: عَوَّضَنِي بِأَنْ لَا أَرَى أَمْثَالَكَ!..

• وأراد رجلٌ إحراج المتنبّي فقال له: رأيتك من بعيد فظننتك امرأة!..

فقال المتنبّي: وأنا رأيتك من بعيد.. فظننتك رجلاً!..

• وهذه امرأة قبيحة جداً تقول لرجل: لو كنت زوجي لسكبْتُ في قهوتك السم!..

فقال: لو كنت زوجتي لَمَا ترددتُ لحظة واحدة في شربه..

• ومدح ابنُ الرومي أميراً بخيلاً بقصيدة فلم يعطه شيئاً..
فكتب:

إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ فَضْلٌ لِيْذِيْ أَدَبٍ
فَأَجْرُهُ الْخَطُّ أَوْ كَفَّارَةُ الْكَذِبِ!

• وهذا سخيفٌ حاول أن يهزأ بأبي نُؤاس أمام الناس! فقال له: لقد ولاك الخليفة ولايةً!..

قال: وما هي؟..

قال: ولألك على القردة والخنازير!..

قال: إذن فاسمع وأطع.

• ركبَت سيدةٌ «سمينة جداً» الباصَ.. فصاح أحد الراكبين متهكِّماً: لم أعلم أن هذه السيارة مخصصة للفيلة!..

فردت عليه السيدة بهدوء: لا يا سيدي! هذه السيارة كسفينة نوح! تركبها الفيلة و«الحمير» أيضاً!..

• دخل الشعبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحَمَام.. فرأى داودَ الأوديَّ بلا مئزر.. فغمّض عينيه.. فقال له داودُ: متى عُميتَ يا أبا عمرو؟..

قال: منذ أن هتك اللهُ ستْرَكَ!..

• وقال وزير بريطانيا السمين «تشرشل».. للفيلسوف الإنكليزي النحيف «برنارد شو»: مَنْ يراك يا «شو» يظنُّ بأن بريطانيا في أزمة غذاء!..

فردَّ عليه «شو»: ومن يراك يعرف سبب الأزمة..

• والتقى الجاحظُ بامرأة قبيحة في أحد حوانيت بغداد فقال:
﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥]..

فنظرت إليه المرأة وقالت: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾

[يس: ٧٨]..





خط أحمر للأطفال

• من أصعب المواقف التي قد يمرُّ بها الوالدان اكتشافهم أن أحد أبنائهم تعرَّض للتحرش..

وتتعدد أسباب هذه الظاهرة وتتنوع.. وقد لا يكون «الإهمال» هو السبب في كل الحالات.. فقد يكون السبب هو «الثقة المفرطة» حتى في المقرَّبين لسنين..

وقد يقوم بعض الخدم باستغلال «الثقة» بمخدوميهم.. من خلال السنين التي أمضوها معهم.. مظهرين حسن التعامل والتودد..

وقد يكون إظهار «التدوين» عامل إغراء.. فيظن أولياء الأمور أن أبنائهم قد تركوا في أيدي أمينة..

• فهناك أمور لا بد من تعليمها لأطفالنا.. أنها خط أحمر لا يمكن القبول به.. وذلك بالتزام الطفل بالإشارات الآتية:

- عدم خلع ملابسه أمام أحد..

- عدم تزك باب الحمام مفتوحاً..
- عدم الاستحمام مع أحد..
- عدم النوم في فراش واحد مع أحد..
- عدم الجلوس على رجل أحد أو الوقوف بين قدميه..
- عدم التقبيل من الفم..
- عدم دغدغة الطفل وتدليكه في أماكن العورة..
- عدم ركوب المصعد بمفرده.. فقد يحدث عطل بالمصعد ولا يعرف التصرف..
- عدم ترك الأطفال بمفردهم في المنزل ولا مع أحد..
- عدم فتح الباب لأحد..
- عدم ارتداء حليّ تحمل اسم الطفلة فيسهل استدراجها..
- عدم تناول شيء من الغرباء..
- عدم منح الثقة المطلقة للمحارم.. وأطفال العائلة.. والأصدقاء..
- راقبوا الطفل دوماً ولا تثقوا بأحد ثقة مفرطة..

- ولا تمنحوا أحداً فرصة الاختلاء بالطفل لفترات طويلة ومتكررة.. بحجة أخذ الطفل «لفتة» في السيارة.. أو لشراء حلوى من البقالة.. ولكي لا تخرجوهم.. اذهبوا معهم.

- كونوا مع أطفالكم دائماً.. فنحن في زمن منفتح على كل شيء.. قلّ فيه عند البعض الخوف من الله.. وقست بعض القلوب.. وشاعت الفاحشة..

- تعرفوا على أفلام الكرتون والألعاب الإلكترونية التي يشاهدونها..

- انتبهوا إلى حمامات السباحة.. والتنزه على الشواطئ..

- لا تجبروا الطفل على تقبيل أحد أو حضنه.. واحترموا رغبته في ذلك.. حتى لا يعتاد الاستسلام اذا تعرّض لتحرشٍ لا سمح الله..

- علموه ألا يذهب مع أي شخص يدّعي أن أباه أرسله ليأخذه..

- وفي الصباح الباكر يحمل السائق (الغريب) فلذات أكبادنا.. يمضي بهم إلى مدارسهم.. فانتبهوا إلى السائق في أساليب الحماية.. والركوب والنزول.. وغيرها..

- تجنبوا ترك الأولاد الصغار أو أحدهم مع السائق.. في مشوار المدرسة أو أي مشوار آخر.. بل يرافقه إخوانهم الكبار.. فيتم إيصال الأطفال أولاً.. ومن ثمَّ الإخوة الكبار.. فإن لم يُوجد إخوة كبار فيجب أن ترافق الطفل خادمة على الأقل.. فلا يذهب بمفرده مع السائق..^(١).

ولا بد من الاعتدال في التوجيهات.. والتوازن في الرقابة.. فلا إفراط ولا تفريط..



(١) د. حسان شمسي باشا: السائق والخادمة.. بين الحذر والتسليم، دار القلم - دمشق، حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي.



أصعب ما في الحياة: (أمور قاسية.. اقرؤوها بنرو)..



• أصعب ما في الحياة:

- أن تخسر أشياء.. لا يكون في حسابك خسرانها..
- أن تتمنى عودةَ زمان جميل انتهى..
- أن تتذكر إنساناً عزيزاً.. رحل بلا عودة..
- أن تنادي بصوت مرتفع.. فلا يصل صوتك..
- أن تشعر بالظلم.. وتعجز عن الانتصار لنفسك..
- أن تبدأ بالتنازل عن أشياء تحتاج إليها.. باسم الحب..
- أن تضطر إلى تغيير بعض مبادئك.. لتساير الحياة..
- أن تتظاهر بما ليس في داخلك.. كي تحافظ على بقاء صورتك في أعين الناس جميلة..
- أن تضع أجمل ما لديك تحت قدميك.. كي ترتفع عالياً وتصل إلى القمة..

- أن تصافح بحرارة يداً.. تدرك مدى تلوثها!..
- أن تبتسم في وجه إنسان.. تتمنى أن تبصق في وجهه وتمضي..
- أن تعاشر أناساً.. فرضت عليك الحياة وجودهم في محيطك..
- أن ترى الأشياء حولك تتلوث.. وتتألم بصمت!..
- أن يداخلك إحساسٌ مقلقٌ بأنك تسببت في ظلم إنسانٍ ما!..
- أن تضحك بصوت مرتفع.. كي تخفي صوت بكائك..
- أن ترتدي قناع الفرح.. كي تخفي ملامح حزن وجهك الحقيقي..
- أن يداخلك إحساسٌ أنك سبب تعاسة أحد الناس..
- أن تنحني لذل العاصفة كي لا تقتلعك من مكانك الذي تحرص عليه..
- أن تقف عاجزاً عن الإحساس بشعور جميل.. يتضخم به قلب أحدهم تجاهك..
- أن تكتشف أنك تمثل شطراً عظيماً من خارطة أحلام إنسان ما وتدرك خذلانك المسبق له..

- أن تمدّ يدك لانتشال أحدهم.. فيسحبك لإغراقك معه!..
- أن تشعر بأنك خسرت أشياء كثيرة.. لم يعد عمرك يسمح باسترجاعها..
- أن تلتقي شخصاً شاطرَكَ نفسك يوماً ما.. فتكتشف أنّ مشاغل الحياة قد غيّبتك عن ذاكرته تماماً..
- أن تتعد عمّن يهتمك أمرهم.. لدرجه ألا تعلم بنياً رحيل أحدهم إلا صدفة..
- أن ترى في منامك حلماً مزعجاً.. وتبقى أسيراً للحظة حدوثه واقعياً..
- أن يداخلك الشعور بالشك في كل ما حولك.. حتى نفسك..
- أن تمر عليك لحظة.. تتمنى فيها التخلص من ذاكرتك..
- أن يتغير الذين من حولك فجأة وبلا مقدمات.. تؤهلك نفسياً لتقبّل الأمر..
- أن تطرح على نفسك أسئلة.. لا تملك القدرة على الإجابة عليها..
- أن تصافح الآخرين باستفساراتك.. فيصفعوك بإجاباتهم..
- أن تلوّح مودعاً لأشياء.. لا تتمنى توديعها يوماً..

- أن تغمض عينيك على حلم جميل.. وتستيقظ على وهم مؤلم..

- أن تبكي سرّاً.. فقط لأن أحدهم أقنعك بأن البكاء نوع من أنواع الضعف الإنساني..

- أن تفني نصف عمرك بزراعة الورد في طريقهم.. وتفني النصف الآخر في تجنّب أشواكٍ زرعوها في طريقك..

- أن تصل يوماً إلى قناعة أنّ كل من مرّ بك.. أخذ جزءاً منك.. ومضى^(١).



(١) أ. محمد حسين. (بتصرّف).



حَسْبُنَا اللَّهُ



• ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾: قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار.. فجعل الله النار برداً وسلاماً عليه..

وقالها محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه بعد غزوة أحد.. حين قيل لهم: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾.. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]..

• حسبنا الله.. يستشعر فيها العبد اسم الله (الحسب).. والحسب هو: الكافي.. فهو سبحانه كافٍ من توكل عليه.. وفوض أمره إليه..

- فَإِنْ كَانَ كَرْبُكَ بِسَبَبِ ظُلْمٍ عَلَيْكَ.. فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)..

وَأِنْ كَانَ بِسَبَبِ مَرَضٍ شَدِيدٍ.. أَوْ فَقْدِ عَزِيزٍ.. فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)..

- وَإِنْ قَلَّ مَالُكَ وَكَثُرَ دَيْنُكَ .. فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ...
 - وَإِذَا ضَاقَتْ بِكَ السُّبُلُ .. وَأُغْلِقَتْ دُونَكَ الْأَبْوَابُ .. وَتَعَسَّرَتْ
 عَلَيْكَ الْحَيَاةُ .. وَلَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ أَنْيساً وَلَا مُؤْنِساً .. فَقُلْ:
 (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ..

عسى الله يُفَرِّجَ عَنْكَ كَرْبَكَ .. وَيُزِيلَ هَمَّكَ وَغَمَّكَ ..

- وَإِذَا خِفْتَ مِنْ عَدُوٍّ .. أَوْ ظَلَمْتَ .. أَوْ ابْتَلَيْتَ .. فَاهْتَفْ:
 (حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) ..

- وَإِنْ سَلِبَ حَقُّكَ .. وَضَعُفَتْ عَنْ اسْتِرْدَادِهِ .. فَقُلْ: (حَسْبِيَ اللَّهُ
 وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) .. فَهِيَ مَلَاذُ الْعَبْدِ وَمَلْجَأُهُ عِنْدَ الْأَزْمَاتِ .. وَفِي
 أَصْعَبِ الضَّائِقَاتِ ..

- هِيَ السَّلْوَى فِي الْمَصَائِبِ .. وَالْحِصْنُ فِي الشَّدَائِدِ .. هِيَ
 أَمْضَى مِنَ الْقَوَى الْمَادِيَةِ .. وَالْأَسْبَابِ الْأَرْضِيَّةِ ..

• (حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) .. دُعَاءٌ مِنْ قَوِي قَلْبِهِ .. فَلَا تُؤَثِّرُ فِيهِ
 الْأَوْهَامُ .. وَلَا تُزَعِّجُهُ الْأَحْدَاثُ ..

مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِشَجْرَةٍ يَابِسَةٍ الْوَرَقِ .. فَضْرَبَهَا بِعَصَا .. فَتَنَاشَرَ
 الْوَرَقُ .. فَقَالَ: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ..
 لَتَسَاقِطَ مِنْ ذُنُوبِ الْعَبْدِ كَمَا تَسَاقِطُ وَرَقُ هَذِهِ الشَّجَرَةِ»^(١) .

(١) صحيح الترمذي: ٣٥٣٣ .

ويقول ﷺ: «خصلتان من حافظ عليهما دخل الجنة، هما يسيرٌ، ومن يعمل بهما قليلٌ.. من سبح الله في دبر كل صلاة عشرًا، وكبر الله عشرًا، وحمد الله عشرًا، فذلك خمسون ومئة باللسان (أي: ٣٠ تسبيحة تقال في خمس صلوات باليوم) وألف وخمسمئة في الميزان.. وإذا أوى إلى فراشه سبح ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر أربعاً وثلاثين، فذلك مئة باللسان وألف في الميزان..»

وأياكم يعمل في اليوم والليلة ألفين وخمسمئة سيئة؟..

قال عبد الله بن عمرو: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده.

قالوا: يا رسول الله، كيف من يعمل بهما قليل؟..

قال: «يجيء الشيطان أحدكم في صلاته فيذكره حاجة كذا وحاجة كذا، فلا يقولها.. ويأتيه عند منامه فينوممه فلا يقولها»^(١)..

قوله: «فذلك خمسون ومئة باللسان»: لأنها تفعل خمس مرات في اليوم والليلة كل مرة ثلاثون.. ومجموعهم مئة وخمسون..

«وألف وخمسمئة في الميزان» يعني: أنها تكون مضاعفة؛ لأن الحسنه بعشر أمثالها..



(١) رواه أبو داود: ٥٠٦٥، والترمذي: ٣٤١٠، والنسائي: ٧٤/٣.



مَنْ مَنَا مُسْتَعِدٌّ؟



• فليكنْ مَنْ يَكُونُ.. فاليوم يمشي.. وفي يوم من الأيام هو مدفون.. فاهتماماتنا شديدة جداً بمسميات.. دكتور.. مهندس.. بروفيسور.. أو غيرها من الألقاب..

لكن..! ماذا أعدنا لمسمياتنا في الآخرة؟..

الصائمون.. القائمون.. القانتون.. المتصدقون.. الراكعون..
الذاكرون..

سؤالٌ يستحق التأمل!.. يقول تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ [الشورى: ٢٠].

• يقول ابن القيم: والله ما سعى أحدٌ إلى الآخرة.. إلا كان أجره أعظم من سعيه..

• دخل رجلٌ على عمر رضي الله عنه فقال له: أوصني!..

قال: أوصيك بثلاث:

أن تحفظ «آلاء الله» عليك.. في أي حالة كنت..
 وأن تذكر «إطلاع الله» عليك.. في كل حالة كنت..
 وأن تذكر «الموت ودخول القبر».. على أي حال كنت..
 فهل فعلنا ما أوصى به عمر؟..

• يقول الشيخ علي الطنطاوي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ركبت من بيروت.. وكان معي أخي ناجي.. فقعدنا في المقصف (البوفيه) نأكل شيئاً قبل السفر.. ونشرب الشاي. وكان المقصف ممتلئاً بالناس.. وكراسيهم مزدحمة يكاد الكرسي يمس الكرسي.. وكلُّ يأكل ويشرب كما كنا نشرب ونأكل..

فإذا بالمكبّر يخرج منه الصوت: «ركاب الطائرة الهولندية المسافرون إلى جزيرة جاوة».. فيترك ناس طعّمهم وشرابهم ويقومون.. ثم ينادي ركاب الطائرة البريطانية المسافرة إلى لندن.. فيقوم ناس.. ثم ينادي ركاب الطائرة البلجيكية المسافرة إلى الكونغو.. وطائرة البان أمريكيان المسافرة إلى نيويورك.. فرأيتُ أن هذا هو مثال الدنيا:

ناس يعيشون.. يأكلون ويشربون.. ويجمعون الأموال..
 ويظنون أنهم خالدون..

لا يدرون متى يخرج النداء.. يدعو هذا أو يدعو ذاك..

فَمَنْ دُعِيَ ترك ما كان فيه وأسرع.. لا يأخذ إلى الطيارة مائدة
المطعم.. ولا كرسي القهوة.. بل يتركها ليأتي غيره فيجلس
عليها..

لا يأخذ معه إلا حقيبته.. إن كانت حقيبته مُعدّة معلقة حملها
وسار..

فإذا أردتم أن تحملوا معكم من حسناتكم.. حينما تُدعون
الدعوة التي لا بدّ منها للقاء ربكم.. فكونوا مستعدين.

وكما يجمع المسافر متاعه في الحقيبة ليحملها ويمشي..
يستعدُّ المرء بالتوبة وقضاء الحقوق.. فكونوا دائماً في حال
التوبة..

انظروا كل يوم فيما اقترفتُم من سيئات.. فتوبوا إلى الله منها..
وإن كان عليكم حقوقٌ فأدّوها.. حتى تكونوا مستعدين..
فإذا دُعيتُم إلى ذلك السفر الذي لا بُدَّ منه.. السفر إلى
الآخرة.. كنتم دائماً له متهيئين..





أبواب الجنة وأبواب النار



• للجنة ثمانية أبواب.. فرسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أُمَّتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»^(١).

- ولهذه الأبواب أسماء ثبتت بنصوص شرعية.. مثل: باب الصلاة، والجهاد، والصدقة، والريان..

ومنها ما اختاره بعض العلماء، مثل: باب الأيمن، وباب التوبة، وباب الكاظمين الغيظ، وباب محمد ﷺ، وهو باب الرحمة، وباب الحج، وباب صلة الرحم، وباب العمرة، وباب الوالدين (الوالد أوسط أبواب الجنة)، وباب الذكر، وباب العلم.

(١) رواه البخاري: ٣٤٣٥، ومسلم: ٢٨.

أما الأبواب الأربعة الأولى (الصلاة والجهاد والصدقة والريان): فرسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين^(١) (أي: شيئين من صنف واحد: درهمين، ركعتين) في سبيل الله، نودي من أي أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»^(٢).

وهناك اسم خامس قد ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في حديث الشفاعة: «يقول الله: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة - فسّمَاه الأيمن - وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»^(٣).

واختلف شراح الحديث في أسماء البقية بعد أن اتفقوا على تسمية الأربعة الأولى..

• وعلينا أن نجتهد لعلنا ندعى من كل الأبواب.. والاستكثار على الأقل في باب واحد..

(١) من أنفق زوجين: معناه عند أهل العلم: من أنفق شيئين من نوع واحد، نحو درهمين أو دينارين أو فرسين أو قميصين، وكذلك من صلى ركعتين، ومشى في سبيل الله خطوتين، أو صام يومين، ونحو ذلك كله، وإنما أراد - والله أعلم - أقل التكرار، وأقل وجوه المداومة على العمل من أعمال البر؛ لأن الاثنين أقل الجمع. (التمهيد: ١٨٥/٧).

(٢) رواه البخاري: ١٧٩٧، ومسلم: ١٠٢٧.

(٣) رواه البخاري: ٤٧١٢، ومسلم: ١٩٤.

ومن استطاع أن يستكثر في بابين أو ثلاثة ليدعى منها يوم القيامة فهنيئاً له..

• وأما النار فلها سبعة أبواب، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

- وليس هناك نص ثابت عن النبي ﷺ في تسمية هذه الأبواب..

لكن جاءت آثار عن الصحابة في ذلك.. منها: ما ذكره القرطبي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أنه قال: هل تدرّون كيف أبواب جهنم؟ قلنا: مثل أبوابنا.

قال: لا، هي هكذا بعضهم فوق بعض. ووضع إحدى يديه على الأخرى..

فأسفلها جهنم.. وفوقها الحطمة.. وفوقها سقر.. وفوقها الجحيم.. وفوقها لظى.. وفوقها السعير.. وفوقها الهاوية.. وكل باب أشد حرّاً من الذي يليه سبعين مرة.





من أسرار يوم الجمعة

• قُلْ لِأَحْلَامِكِ الَّتِي تَظُنُّهَا مَسْتَحِيلَةً: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقَدِّرًا﴾ [الكهف: ٤٥]..

وحيث ترى الناس يتنافسون في جمع الأموال فقل: ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]..

وإذا ضاعت منك فرصة.. واحترق قلبك عليها.. فأطفئ لهيبها بقوله تعالى: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ [الكهف: ٨١].

أليست الآيات الثلاث كلها في سورة الكهف التي تقرأونها كل يوم جمعة؟..

والرسول ﷺ يقول: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين»^(١).

• وفي يوم الجمعة لا تنس ثلاثة أمور:

- حبيباً ينتظرُ صلاةً منك.. فأكثرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ..

(١) صحيح الجامع: ٦٤٧٠.

- ونوراً بين الجمعيتين.. فاقروا سورة الكهف..
 - وساعة إجابة.. فاعتنمها بدعوة قبل الغروب..
 وعندما تبحث عن النور في زمن الظلمة.. فاقراً سورة الكهف
 يوم الجمعة.

• وفي ليلة الجمعة ويومها يتنافس الصالحون في الإكثار من
 الصلاة على النبي ﷺ ..

يُصَلِّي اللَّهُ بِالصَّلَاةِ عَشْرًا
 وَتَسْلِيْمًا عَلَى الْمَبْعُوْثِ بُشْرَى
 وَيُغْفِرُ ذَنْبًا مِنْ صَلَّيَ عَلَيْهِ
 وَيُكْفِي هَمَّهُ سِرًّا وَجَهْرًا

• ولصلاة فجر الجمعة سحر خاص.. نستشعر في هواء تلك
 الساعة نسمات من الرحمة والمغفرة..

وإن كانت الصلاة جماعةً فهي خيرُ صلاةٍ يصلِّيها المسلم في أسبوعه:
 «أفضلُ الصَّلَاةِ عِنْدَ اللَّهِ صَلَاةُ الصَّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ»^(١) ..

ومن خصائص صلاة الفجر في يوم الجمعة: أنه يُسن أن يقرأ
 المصلي فيها سورة السجدة في الركعة الأولى.. وسورة الإنسان

(١) صحيح الجامع: ١١١٩.

في الثانية.. فقد كان النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِـ ﴿الرَّ * تَنْزِيلٌ ﴾ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى .. وَفِي الثَّانِيَةِ ﴿ هَذَا أَنَا عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾^(١).

وقيل: إِنَّ الْحِكْمَةَ فِي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ الْإِشَارَةُ إِلَى مَا فِيهِمَا مِنْ ذِكْرِ خَلْقِ آدَمَ .. وَأَحْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .. لِأَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَسَيَقَعُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ.

• والجمعة محطة إيمانية رائعة لا تجعلها تفوتك بلا تغيير في ذاتك.

فيوم الخميس تُرفع الأعمال إلى الله..

ويوم الجمعة تُرفع الدعوات الصادقات إلى الله..

فاجعل لك.. ولأحبابك نصيباً من تلك الدعوات.

اليوم يوم الجمعة

مُبَارَكٌ مَا أَرْوَعَهُ!

يَوْمٌ لَهُ فَضَائِلٌ

فِي دِينِنَا مَا أَرْفَعَهُ!

رَفَعْتُ كَفِّي بِهِ

لِلسَّاعَةِ الْمُشَفَّعَةِ

(١) رواه البخاري: ٨٩١.

وَقُلْتُ: يَا رَبِّ اهْدِنِي
 يَا رَبِّ نَفْسِي مُفْرَعَهُ
 وَقُلْتُ يَا رَبِّي بِمَا
 أَوْلَيْتَنَا فِي الْجُمُعَةِ
 أَدْرِكُ عُبَيْدًا قَدْ هَمَى
 مِنْ جَفْنِهِ مَا أَدَمَعَهُ
 وَالطُّفْ بِه يَا رَبَّنَا
 وَاْمُنُّنْ بِبُشْرَى مُسْرَعَهُ





«نونية القرآن»

القصيدة التي حملت أسماء سور القرآن الكريم

• في عام (١٤٠٠هـ = ١٩٧٩م) نظم القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية مسابقة شعرية بمناسبة مرور (١٤٠٠) سنة على هجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.. فاشترك في المسابقة ألف ومئتان من الشعراء.. وكان الفائز الأول شاعر من السنغال اسمه «عبد الله باه».. والقصيدة الفائزة تتضمن كل سور القرآن الكريم مرتبة حسب ورودها في المصحف الشريف..

افتح كتاب الله إنَّ الفاتحة	فتح وبرهانٌ وسبعٌ مثنائي
بقرٌ وعمرانٌ كظلِّ سحابة	وعلى النساءِ موائدُ الرحمنِ
اجعل من الأنعام قُربى وازعها	في ذروة الأعرافِ والوديانِ
لله أنفالٌ وآل محمدٍ	والتوبة تغشى يونس بأمانِ
أوما علمت بأن هوداً مرسلٌ	وبأن يوسفَ أجملُ الشبانِ
وإذا سمعت الرعدَ حنَّ بصوتهِ	فاعلم بأن الماءَ ذو جريانِ
واسمَع لإبراهيمَ لا تسمعَ لِمَا	قد قال أهلُ الحجرِ من نُكرانِ

والنحلُ لَمَّا رَبُّهَا أَوْحَى لَهَا
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ كَهْفًا أَمْنًا
 وَبِأَنَّ طَهَ أَمَّ كُلِّ الْأَنْبِيَا
 وَبِأَنَّ حِجَّ الْبَيْتِ رُكْنٌ خَامِسٌ
 وَالنُّورُ يَكْسُوهُمْ لِحْسَنِ خِصَالِهِمْ
 وَأَنْهَلُ مِنَ الشُّعْرَاءِ عِلْمًا نَافِعًا
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ النَّمْلَ جَاءَ حَدِيثُهَا
 وَالرُّومُ فِي أَدْنَى الْبِلَادِ تَدَنَسَتْ
 وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ خَاشِعًا مُتَذَلِّلًا
 سَبَأَ وَفَاطَرَ ثَمَّ يَاسِينَ بَعْدَهَا
 صَادٌ تَعَلَّمَ وَالزَّمْرَ لَا تَنْسَهَا
 شُورَى فَالزَّمَمَهَا وَهَذَا نَهَجُنَا
 وَالسَّاعَةَ آتِيَةً وَمِنْ أَسْرَاطِهَا
 وَبِهَا تَرَى كُلَّ الْخَلَائِقِ جَائِيَةً
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ مُحَمَّدًا فَتَحَ الدُّنْيَا
 وَأَقَامَ فِي الْحُجُرَاتِ طَوْلَ حَيَاتِهِ
 وَالذَّارِيَاتِ مَفْصَلًا آيَاتِهَا

تَأَقَّتْ إِلَى الْإِسْرَاءِ فِي الْأَوْطَانِ
 وَبِأَنَّ مَرْيَمَ أَطَهَرُ النَّسْوَانِ
 فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِلَا نُقْصَانِ
 وَالْمُؤْمِنُونَ أَتَوْهُ فِي إِذْعَانِ
 وَلَهُمْ كَمَالُ الْوَضْفِ فِي الْفُرْقَانِ
 تَكْسَبُ لِسَانًا نَاطِقًا وَبَيَانِ
 قِصَصًا وَبَيْتَ الْعَنْكَبُوتِ مُهَانَ
 وَاعْمَلْ بِمَا أَوْصَى بِهِ لِقْمَانَ
 وَاحْذَرْ مِنَ أَحْزَابِ ذَوِي خُسْرَانَ
 وَالصَّافَاتُ تَقِي مِنَ الشَّيْطَانِ
 غَافِرٍ وَرَتَّلْ فُصِّلَتْ بِاتِّقَانِ
 وَالزُّخْرَفَ احْفَظْ لَا تَكُنْ وَلِهَانَ
 مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ دُخَانِ
 حَتَّى تُقْرَى الْأَحْقَافِ تَجْتَمِعَانَ
 وَالْفَتْحُ الْأَعْظَمُ جَاءَ بَعْدَ ثَمَانَ
 وَمَرْتَلًا (قَافٍ) بِكُلِّ أَوَانِ
 وَالطُّورَ مَسْكُ فَاحٍ فِي الْأَرْكَانِ

وكذا القمر نورٌ من الرّحمنِ
فَصَلُّ وَأَنَّ الْحُكْمَ لِلدِّيَانِ
وَسَمِعَ لَخَوْلَةٍ يَوْمَ يَجْتَدِلَانِ
وبه تَرَى الثَّقَلَانِ يَمْتَحِنَانِ
في يومِ جمعةٍ ما لَهُ مِنْ ثَانِ
يَوْمَ التَّغَابُنِ يُعْرِفُ الْبَهْتَانِ
وَأَجَعَلَهُ كَالْتَحْرِيمِ فِي الْمِيزَانِ
الأولُ تعالَى خَالِقُ الثَّقَلَانِ
يَوْمَ الْمَعَارِجِ يُخَسِّفُ الْقِمْرَانِ
وَالجِنُّ حَقٌّ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُبْعَثُ الْإِنْسَانَ
وَالنَّازِعَاتِ تُزَلِّزُ الْأَبْدَانَ
لَا يَا مُحَمَّدُ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
يَتَلَوُ وَلِلْمُطَفِّفِينَ نِيرَانَ
وَالطَّارِقِ الْأَعْلَى تَرَاهُ دَانَ
وَتَرَى طُلُوعَ الْفَجْرِ فِي الْبُلْدَانِ
وَالانْشِرَاحِ لِفَائِزِ بَجْنَانَ

وَالنَّجْمِ نَوْراً لِلخَلَائِقِ تَهْتَدِي
والله أَخْبَرَ أَنَّ يَوْمَ الْوَأَقِعَةِ
جَعَلَ الْحَدِيدَ مُنْزَلاً سُبْحَانَهُ
وَالْحَشْرُ آتٍ أَلْفُ يَوْمٍ طُولُهُ
وبه تَرَى الْأَمْلاكِ صَفّاً وَاحِداً
أَهْلُ النِّفَاقِ تَهْتَكْتُ أَسْتَارَهُمْ
أَمَّا الطَّلَاقُ فَلَا تَبَادِرْ لَفِظَهُ
وَالْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْقَلَمُ مَخْلُوقُهُ
وَالْحَاقَّةُ حَقٌّ وَمِنْ أَسْمَائِهَا
نُوحٌ نَبِيٌّ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ
وَإِذَا الْمُزْمَلُ وَالْمُدْتَرُّ جَاءَتَا
وَالْمُرْسَلَاتُ أُنْتُ تُبَشِّرُ بِالنَّبَأِ
عَبَسَ مِنَ الْأَعْمَى فَقَالَ الْوَحْيُ لَا
وَإِذَا أَتَى التَّكْوِيرُ أَنْ الْانْفِطَارِ
وَتَرَى انْشِقَاقاً فِي السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
وَتَرَى وَجُوهاً ذِكْرُهَا فِي الْغَاشِيَةِ
وَالشَّمْسُ بَعْدَ اللَّيْلِ تُشْرِقُ بِالضُّحَى

والتين والزيتون حُلُوُّ طَلْعُهَا
 فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الْمَبَارِكِ أَنْزَلْتَ
 ثُمَّ تَوَالَى لِلرَّسُولِ مُنْجَمًا
 وَإِذَا رَأَيْتِ الْأَرْضَ حَوْلَكَ زُلْزَلَتْ
 لَعَلِمْتَ أَنَّ الْقَارِعَةَ قَدْ آذَنْتِ
 وَالْعَصْرَ إِنَّ الْهَمَزَ شَيْنٌ فِعْلُهُ
 وَالْفِيلُ أَدْبَرَ فِي شُرُودٍ عِنْدَمَا
 مَنْ يَمْنَعِ الْمَاعُونَ يُحْرَمُ شُرْبَةً
 وَالْكَافِرُونَ تَنَكَّسَتْ رَايَاتُهُمْ
 وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ تَبَّتْ وَالْمَسَدُ
 فَاحْرِضْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَالزُّمِّ حَبْلَهُ
 وَاعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ مَالِكُ أَمْرِهِ
 وَبَذَا أَكُونُ قَدْ خَتَمْتُ قَصِيدَتِي



فهرس المحتويات

- المقدمة ٥
- ١ - لقاء أهل الجنان ١٢
- ٢ - رافق نبئك في الجنة ١٦
- ٣ - لقاء أسري ١٩
- ٤ - رفاق الروح والإيمان ٢٣
- ٥ - لقاء على موائد القرآن ٢٧
- ٦ - لقاء المحبين ٣٠
- ٧ - عائذ إلى الرحمن ٣٣
- ٨ - حجاب من موت بالطيران... ٣٧
- ٩ - لقاء يوم العمر ٤٠
- ١٠ - في أعماق البحر لقاءان ٤٣
- ١١ - لقاء البصيرة لا البصر ٤٧
- ١٢ - لقاء مع شيخ علماء الشام ٥٠

- ١٣ - ازرع حبي في قلب ابني..... ٥٤
- ١٤ - أرى بها وجهك الغالي..... ٥٨
- ١٥ - لقاء أهل الفضل والإحسان..... ٦٢
- ١٦ - تائبٌ من الهجران!..... ٦٥
- ١٧ - خمس دقائق أخرى!..... ٦٩
- ١٨ - لن أتركك بعد الآن أبداً..... ٧٢
- ١٩ - أبي.. ما زلتُ ألقاه!..... ٧٦
- ٢٠ - أعمالك تلقى الأثر..... ٨٢
- ٢١ - البط يشكو.. والنسورُ تُحلِّقُ..... ٨٥
- ٢٢ - إخلاص قلب..... ٨٨
- ٢٣ - اغتنم فرصتك..... ٩١
- ٢٤ - الوفاء شيمة الأصفياء..... ٩٥
- ٢٥ - الوقت الضائع..... ٩٨
- ٢٦ - امرأة تحب سبعة رجال..... ١٠٢
- ٢٧ - حكاية برّ..... ١٠٥
- ٢٨ - مع المساكين لقاء..... ١٠٨
- ٢٩ - مَا أَدْرِي مِنْ أَيِّ أَمْرِيكَ أَعْجَبُ؟..... ١١١
- ٣٠ - ماذا لو عاد بك الزمان؟..... ١١٥

- ٣١ - اثبت على مبادئك .. ١١٨
- ٣٢ - دروس .. بالمجان؟ ١٢١
- ٣٣ - في أعماق النفس ١٢٥
- ٣٤ - أنا الدكتورة فاطمة..... ١٢٨
- ٣٥ - المُنُونَاتُ الغَالِيَات ١٣٥
- ٣٦ - بيوتكم ليست لكم! ١٣٨
- ٣٧ - «هارون أخي .. اشدد به أذري»..... ١٤٢
- ٣٨ - تفقدوا إخوانكم..... ١٤٦
- ٣٩ - روح الحياة ١٤٩
- ٤٠ - هنيئاً لك يا صاحب القرآن ١٥٣
- ٤١ - هنيئاً لك يا حاملة القرآن..... ١٥٦
- ٤٢ - من جوار الكعبة .. أبعث لكم..... ١٦٠
- ٤٣ - حين تكون الزوجة معلّمة!..... ١٦٣
- ٤٤ - خذوا بأيديهم إلى الله..... ١٦٧
- ٤٥ - سبق درهم مئة ألف درهم..... ١٧٠
- ٤٦ - سرّ رباني ١٧٤
- ٤٧ - شكر الله..... ١٧٧
- ٤٨ - عامل الناس كما تحب أن..... ١٨١

- ٤٩ - لا تعجب بنفسك! ١٨٤
- ٥٠ - كلمة طيبة ١٨٧
- ٥١ - ابدأ بنفسك ١٩١
- ٥٢ - التمس لأخيك عذراً.. ١٩٥
- ٥٣ - ممحاةٌ وقلم ١٩٩
- ٥٤ - السَّعادة لَيْست حلماً ولا وَهْماً! ٢٠٢
- ٥٥ - كن أنت! ٢٠٦
- ٥٦ - مصائب غيرك! ٢٠٩
- ٥٧ - كيف تُخرج الدجاجةَ من الزجاجة؟ ٢١٢
- ٥٨ - أحسن الظن ٢١٥
- ٥٩ - لا تُتَّبَطِّوا الآخرين ٢١٨
- ٦٠ - لا تقل: من سوء حظي! ٢٢١
- ٦١ - ادفع بالتي هي أحسن ٢٢٥
- ٦٢ - لاجئ على ظهر قارب يصبح أستاذاً للأطباء ٢٢٨
- ٦٣ - لأنْ أبيت نائماً وأصبح نادماً! ٢٣١
- ٦٤ - أولادنا ٢٣٤
- ٦٥ - سارقو الأحلام ٢٣٧
- ٦٦ - من يبعث فيك السعادة؟ ٢٤٠

- ٦٧ - نُصَلِّحُهُ.. ولا نرميه!.. ٢٤٤.....
- ٦٨ - وصية أب لابنه يوم زواجه ٢٤٧
- ٦٩ - من أي نوع أنت؟ ٢٥٠
- ٧٠ - هل أنت هيّين لين؟ ٢٥٣
- ٧١ - رفيقُ السوء كالبعوض! ٢٥٦
- ٧٢ - الوعظ فن ومهارة..... ٢٥٩
- ٧٣ - امحها يا عليّ..... ٢٦٢
- ٧٤ - شيخ الإسلام في بريطانيا! ٢٦٥
- ٧٥ - سبقتنا.. يا حبيب! ٢٦٨
- ٧٦ - أربع مهارات ٢٧١
- ٧٧ - فتشْ بداخلك.. ستجد اسماً..... ٢٧٥
- ٧٨ - وفاءً بالعهود..... ٢٧٨
- ٧٩ - الدنيا تغيرت! ٢٨١
- ٨٠ - احمد الله على نعمائه..... ٢٨٥
- ٨١ - الحمد.. والشكر ٢٨٨
- ٨٢ - وَيُؤَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ٢٩١
- ٨٣ - أحسن الله (بك) .. أم (إليك)؟ ٢٩٥
- ٨٤ - اعرف خلف ماذا تركض ٢٩٨

- ٨٥ - أجوبة مفحمة..... ٣٠١
- ٨٦ - خط أحمر للأطفال..... ٣٠٤
- ٨٧ - أصعب ما في الحياة: (أمور قاسية.. اقرؤوها بترؤ).. ٣٠٨
- ٨٨ - حَسْبُنَا اللهُ..... ٣١٢
- ٨٩ - مَنْ منا مستعدّ؟..... ٣١٥
- ٩٠ - أبواب الجنة وأبواب النار..... ٣١٨
- ٩١ - من أسرار يوم الجمعة..... ٣٢١
- ٩٢ - «نونية القرآن» القصيدة التي حملت أسماء سور القرآن الكريم... ٣٢٥
- فهرس المحتويات..... ٣٢٩

